إتحاف المُهَج

بذكر أخبار وادي أَمَج

(خُليص)

ويليه رسالة :

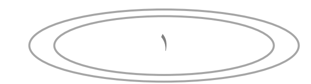
مراجعة ما أشيع حول ماء الرجيع

تأليف

فهد بن محمد بن معيوف الصّحْفِي

الطبعة الأولى

١٤٤٥ هـ




بسم الله الرحمن الرحيم


صلى الله عليه وسلم
محمد

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على أشرف الأنبياء وخاتم المرسلين نبينا محمد و على آله و أصحابه أجمعين أما بعد :

فإني حينما شرعت في جمع و تأليف كتابي (مدرج عثمان للوصول إلى تاريخ قبيلة الصحاف من حرب و ديارها بوادي غران) حاولت بقدر الإمكان اقتصار مادته على عنوانه و عدم التفرع بالتطرق إلى غيره ، أو الاستطراد خارج مضمونه .

و ذلك أن التفرع إلى غير محتوى الكتاب سيخرجه عن المقصود و ربما حصل به تشتت الذهن و فوات ما يرجى تحصيله من جمع تلك المادة على الرغم من الارتباط الوثيق بين محتوى ذلك الكتاب و بين ما حوله من القرى والسكان كما لا يخفى على المهتمين بمثل هذه العناوين ، إلا أنني بفضل من الله و توفيقه التزمت بقدر الإمكان بذلك التقرير .

و كنت في أثناء ذلك أقيد الفوائد و الاستدراكات على أوهام من سبقني ، و التي أحسبهم و الله حسيبهم أنهم قد وقعوا فيها بدون قصد ، و توهموها بحسن نية لا عن عمد ، و بذلوا قصارى جهدهم مع وعورة ما سلكوه وصعوبة التحقق في بعض ما كتبوه ، فجزاهم الله خيرا .

و إن كانت تلك الأوهام اليسيرة لا تنقص رتبتهم ولا تبخسهم حقهم ، فقد فازوا بقصب السبق في هذا المضمار وحازوا جميل الثناء من أهل الرتب و الأقدار .

ثم صح العزم بجمع تلك الفوائد و الاستدراكات ، و تهذيبها و ترتيبها ، و إخراجها في كتاب لتعم به الفائدة ، و ينضم إلى ركب المصنفات التي سبقته ، و وسمته :

بإتحاف المهج بذكر أخبار وادي أمج (خليص) .

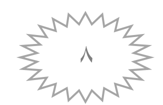
وقد جاء سبب اختيار هذا العنوان لأمرين :

الأول : لأن جل مادته متعلقة به و بأعماله من القرى والوديان ، أو ممن اشتهر من أهلها من الأعيان .

الثاني : لأن وادي أمج أقدم ذكرا من خليص في بطون الكتب و بخاصة في السيرة النبوية و تراجم أعيان صدر الإسلام أو في الأحاديث النبوية و آثار سيد الأنام ، و أما خليص فقد أطلق على وادي أمج فيما بعد و صار علما له بالغلبة وسيأتي بيانه مفصلا في موضعه إن شاء الله تعالى .

فخدمة للباحثين أشهرته في العنوان ، كي يجد الباحث عنه بإذن الله رغبته ، و يسد بما طالعه فيه نهمته ، و لا أدعي الإحاطة بذلك و إنما هو لبنة في جهد من سبقني ، و كتب عن المنطقة قبلي ، إما قصدا أو اتفاقا .

والجدير بالذكر أن الدارس لتاريخ هذه المنطقة و بخاصة وادي أمج (خليص) يجد أنها على العكس تماما مما تصوره بعض المتأخرين ، حيث رسموا صورتها بمعزل عن الإطار السياسي في ذهن المتلقين ، و وصفوها بما يشبه الفوضى تتجاذبها المخالب القبلية بين الفينة و الأخرى .



فأدى ذلك إلى قصور في تصور تاريخ الحجاز بشكل عام وكذلك إلى ضعف في القدرة على الربط بين مجريات أحداثه و لعل السبب في حصول مثل هذه الأوهام هو : استصحاب المرويات الشفهية المتأخرة ، و إنزالها على الحقب المتقدمة فحصل بذلك التعارض ، فانبرى آخرون من المعاصرين أيضا بدفع تلك المرويات الشفهية بحجة التناقض .

وكان الواجب على كلا الطرفين التحقق من النصوص والمرويات الشفهية ، ثم الجمع و الإعمال ، بدلا من المزج بينهما أو تقديم إحداهما على الأخرى ، فيحصل على إثر ذلك الترك و الإهمال .

فكان المنهج لتصحيح ما سبق التنويه به هو :

التجرد عن الانتماء و إفراغ الذهن من أي تصور مسبق وترك النصوص التاريخية يصطف بعضها بجوار بعض لتصل بالباحث إلى النتيجة ثم عليه التسليم لها عند ذلك و إن لم ترق له !.

وأما المرويات الشفهية فإنها لا يمكن أن تتعارض مع النصوص التاريخية المسرودة وفق المنهج الآنف ، بل ستعمل النصوص على تصفية تلك المرويات ، و سينكشف عنها ما شابها من أساطير و خرافات ، ثم يبقى ما انطوت عليه من حقائق ، و التي غالبا ما تأتي مطابقة لتلك النتائج أو مكملة لها أو مظهرة لما استغلق منها ، فيكون موقع تلك المرويات الشفهية في خُلل ذلك البنيان ، قد جاءت متجانسة مع مكوناته بإحكام و إتقان ، لأن ما يتوارثه المعمّرون ويحفظونه من تاريخهم و أنسابهم كابرا عن كابر لابد له من أصل صحيح .

والباحث المحقق لا يكون كذلك إلا إذا تجرد لتمييز الصحيح من السقيم ، و إلا فكيف سيتصف بهذه الصفة إن كان ديدنه الترك و الإهمال ! ، فهذا يحسنه كل أحد !.

وكذلك ينبغي الإشارة إلى رافد مهم في تاريخ المنطقة بشكل عام ، و بخاصة في الأزمنة المتأخرة وهو : الوثائق ، بجميع أنواعها ، الحكومية الرسمية ، كالأرشيف العثماني و نحوه ، أو المحلية ، كالبيوع و الدعاوى و الأحلاف القبلية و غيرها .

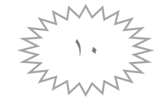
فهذه مرتبطة بما تقدم من النصوص التاريخية و المرويات الشفهية ، ومكملة لها ، و كاشفة عنها ، و أما الزعم بأنها الأصل ، و لا يقدم عليها غيرها ، فهذا غلو و شطط ، لأنها بآخرة تقاس على المخطوطات ، فتحقق و يُستظهر منها الفوائد .

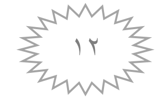
و أما مكتنزوها أو من وُجدت لديه وهي لا تخصه في أكثرها فهذا لا يعدو كونه مثل خزائن المحفوظات و رفوف المخطوطات ، فلا يظن أنه يكتسب صفة تميزه عن غيره أو تعطيه أحقية لفهمها ، وإنما الأحقية للمتأهل ، وشروط التأهل لا تخفى على المشتغلين .

بل ربما في بعض الأحيان تكشف عن دوره الإداري والسياسي الذي مكنه من جمعها والاحتفاظ بها فينبغي التنبه لهذا .

هذا وقد واجهتني مشكلة في الاطلاع على الوثائق الأهلية والرسمية لإكمال مادة البحث و إثرائها ، وذلك لعدم التفرغ لزيارة من يُظن تملكه لها أو بتعذر القدرة علي السفر إلى تركيا و مصر للحصول عليها فلذلك اكتفيت بما نُشر منها مع الاعتراف بالفضل لمن أخرجها .

وقد جاءت خطة البحث مفهرسة كالتالي :





وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

الفصل الأول :

تعريف عام بوادي أمج .

و فيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : ضبط لفظه واشتقاق معناه .

المبحث الثاني : موقع وادي أمج من الحجاز .

المبحث الثالث : مساقط مياه وادي أمج و مسيله .

المبحث الأول : ضبط لفظه و اشتقاق معناه .

أَمَج : بفتح أوله و ثانيه و آخره جيم .

هكذا ضبطه المحدثون و اللغويون و البلدانيون في دواوينهم منهم :

الحازمي الهمذاني في الأماكن حيث قال (٨٧ص) : و أما الثالث (يقصد أمج) بعد الهمزة ميم مفتوحة ، بلد في أعراض المدينة منها حميد الذي أَمَجٌ داره ، دخل على عمر بن عبدالعزيز .

ابن منظور في لسان العرب حيث قال (٢٠٨/٢) : أَمَج بفتحتين و جيم .

والبقاعي في مراصد الاطلاع حيث قال (ص١١٥) : أَمَج : بفتحتين والجيم ، بلد من أعراض المدينة .

والسمهودي في الوفا حيث قال (١١٣٠) : أمج بالجيم وفتحتين ، بلد من أعراض المدينة .

والصالحي في سبل الهدى و الرشاد حيث قال (٤٢٠/٥) : أَمَج : بفتح الهمزة والميم و بالجيم المخففة : اسم واد .

وليس الغرض من سرد هذه النصوص التكثر و إنما إيضاح عناية العلماء بهذا الأمر و اتفاق المبرزين فيه على ذلك كما ترى مما يدل على اشتهاره و ذيوع صيته .

ومما تجدر الإشارة إليه هاهنا خدمة للمشتغلين بمثل هذا المبحث أن (رفح) الموضع المشهور بين حدود الشام ومصر قديما قد تصحف في دواوين المتقدمين كابن عبدربه في العقد الفريد (٢٤٣/٧) والبكري في المسالك والممالك إلى (أمج) .

قال العليمي الحنبلي في الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل (١٢٦/٢) : و أول حدود فلسطين من طريق مصر أمج قال أبو محمود لعلَّه رفح وهو العَريش .

وأما أصل اشتقاقه ومعناه :

أَمَج : الأمج في اللغة هو : الحر الشديد والعطش .

قال الأزهري في تهذيب اللغة (٢٢٧/١١) : الأصمعي : الأَمَجُ : توهج الحر ، قال العجاج و أنشد :

حتى إذا ما الصيف كان أمجا

و قال الجوهري في صحاحه (١/٢٩٨) : أبو عمرو : الأَمَجُ : حر و عطش . يقال : صيف أَمَجٌ ، إي شديد الحر .

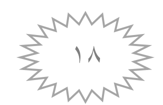
و أصل الأمَج من الثلاثي : أَمِجَ .

قال الأزهري : و قال الليث : أَمِجَت الإبل تأمج إذا اشتد بها حر أو عطش .

و قال ابن سيده في المحكم و المحيط (٤٩٧/٧) : الأَمَج : شدة الحر و العطش و الأخذ بالنفس . و أَمِجَت الإبل أَمَجا : عطشت .

و أما الفعل الثلاثي مفتوح العين (أَمَجَ) فهو بمعنى السير الشديد ، قال الأزهري : عمرو عن أبيه : أَمَجَ ، إذا سار سيرا شديدا ، بالتخفيف .

فهذه أصول مرويات أئمة اللغة والتي عولت عليها كتب اللغة بعد ذلك ، و الله أعلم .



المبحث الثاني : موقع وادي أمج من الحجاز .

اعتنى العلماء والمؤرخون والبلدانيون بموقع وادي أمج لشهرته وتعلقه بأحداث السيرة النبوية إلا أن أوصافهم جاءت متفاوتة بعض الشيء فمنهم من أجمل ومنهم من فصل وآخرون وصفوه بالمقاربة .

قال الحموي في معجمه (٢٥٠/١) : أَمَج بالجيم و فتح أوله وثانيه ، و الأمج في اللغة العطش ، بلد من أعراض المدينة .

و هو ناقل عن الحازمي في الأماكن و قد تقدم ، و معنى من أعراض المدينة ، أي من أعمالها و مخاليفها ، و هو صحيح وسيأتي تفصيله إن شاء الله ، و لكنه لا يصلح في وصف موقعه لاختلاف أحوال النفوذ و السلطة بين الأقاليم .

و قال ابن الأثير في غريب الحديث (٦٥/١) : أمَج بفتحتين وجيم : موضع بين مكة و المدينة .

و هذا وصف مجمل لا تزال معه نفس الباحث متشوفة لمعرفة مزيد تفصيل لأن المسافة بين المسجدين كبيرة جدا .

و قال الحميري في الروض المعطار (ص ٣٠) : أَمَج بفتح أوله و ثانيه و بالجيم ، قرية جامعة ما بين مكة والمدينة على أميال من قديد لها سور ، وهي كثيرة المزارع و أهلها خزاعة وبها آثار كثيرة و بها نخل ، وهي محلة بني نمرة و جماعة من الناس و فيها حوانيت و سوق .

قوله : لها سور ، صوابه سوق لأنه يكثر النقل عن البكري وقوله : على أميال من قديد ، فيه تفصيل لما أجمله ابن الأثير لأن قديدا يقع شمال وادي أمج مما يلي المدينة ، و قد

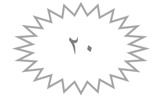
يكفي في التعريف بموقعه لمن سلك الاختصار و لكن لا يزال الوصف بحاجة لتفصيل أدق .

و أفضل من وصف موقع أمج وصفا شافيا و كافيا هو الإمام ابن جرير الطبري في تاريخه حيث قال (٥٧٦/٧) : بأمج و هو ماء لخزاعة بين عسفان وقديد .

و عليه يكون وصف موقع وادي أمج كالتالي : **واد بين مكة والمدينة بين منزلتي قُديد و عسفان .**

و وصفه بالوادي أشمل لأن الماء يقع فيه ، و أما خزاعة فقد دُثرت من تلك الجهات و دوام الحال من المحال .

وأما تحديد الموقع و المكان بلغة الحساب و الأرقام وخطوط الطول و دوائر العرض كما يفعل المعاصرون فهذا لا أحسنه وإنما طريقتي سلوك مسلك المتقدمين لذا جرى التنويه بالاعتذار و الله المستعان .



المبحث الثالث : مساقط مياه وادي أمج و مسيله .

يبدأ مسيل وادي أمج من حرة بني سليم هكذا وصفه الحموي في معجمه و عزاه للكلبي حيث قال (٢٥٠/١) : وقال أبو المنذر هشام بن محمد : أمج و غران واديان يأخذان من حرة بني سليم و يفرغان في البحر .

و يسمى أعلاه مما يلي الحرة وادي ساية نص على ذلك البكري في معجمه حيث قال (١٩٠/١) : أَمَج بفتح أوله وثانيه وبالجيم قرية جامعة بها سوق وهى كثيرة المزارع والنّخل وهى على ساية ، وساية : واد عظيم ، و أهل أمج خزاعة .

و أبرز معالم وادي ساية أعلى أمج جبل شمنصير الذي يغذي ساية بشبكة من الروافد كالشرايين تصب جميعها فيه إضافة إلى الحرة ، قال البكري في معجمه (ص٨١١) : قال ابن الأعرابي : شمنصير جبل بساية ، و ساية واد عظيم به أكثر من سبعين عينا تجري ، تنزله مزينة و سليم ، و ساية : واد أمج ، و أهل أمج خزاعة .

و نقل هذه الرواية الحموي في معجمه عن ابن جني حيث قال (١٨٠/٣) : وقال ابن جنى في كتاب هذيل لقد قرأته بخطه ، شمنصير جبل بساية ، وساية واد عظيم به أكثر من سبعين عينا ، وهو وادى أمج .

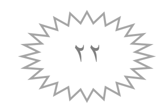
و أفضل من وصف وادي ساية و أخبر عن سكانه و عماله وملاك عيونه و تجاره هو عرام السلمي في رسالته المشهورة أسماء جبال تهامة حيث قال (٤١٣/٢) : **ساية** وهو واد بين حاميتين ، وهما حرتان سوداوان ، و به قرى كثيرة مسماة وطرق كثيرة من نواح كثيرة ، فأعلاها قرية يقال لها **(الفارع)**

بها نخل كثير و سكانها من كل أفناء الناس ، ومياهها عيون تجري تحت الأرض ، فُقُر كلها ، والفُقر و القنا واحد ، و واحد الفُقر فقير ، ثم أسفل منها **(مهايع)** و هي قرية كبيرة غناء وبها منبر ، **و والى ساية من قبل صاحب المدينة** ، وفيها نخل ومزارع وموز ورمان وعنب ، و أصلها لولد علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وفيها من أفناء الناس و تجار من كل بلد ، ثم خيف يقال له : **(خيف سلام)** و الخيف : ما كان مجنبا عن طريق الماء يمينا و شمالا متسعا ، و فيه منبر وناس كثير من خزاعة ، و مياهها فقر أيضا ، و باديتها قليلة وهي جشم و خزاعة و هذيل ، وسلام هذا رجل من أغنياء هذا البلد من الأنصار ، وأسفل من ذلك **(خيف ذي القبر)** وليس به منبر و إن كان آهلا ، و به نخل كثير و موز و رمان وسكانه بنو مسروح و سعد و كنانة و تجار ألفاق ، وماؤه فقر و عيون تخرج من ضفتي الوادي كلتيهما ، وبقبر أحمد بن الرضا سمى خيف ذي القبر ، و هو مشهور به ، وأسفل منه **(خيف النعم)** به منبر ، و أهله غاضرة و خزاعة و تجار بعد ذلك و ناس و به خيل و مزارع **و هو إلى والي عسفان** و مياهه عيون خرارة كثيرة .

قلت : و لا تزال قريتا الفارع و مهايع آهلة بالسكان ، عامرة بالمزارع و البنيان ، زادهم الله من فضله .

فإذا تجاوز سيل وادي أمج منطقة ساية و روافدها هبط الخوار .

و الخُوَار : ماء أعلى وادي أمج .



و قد وهم الحموي في موقعه أو تصحف لديه فعرّفه بأنه بستارة لا ساية ، حيث قال في معجمه : الخُوَار بضم أوله وآخره راء .... و الخوار : قرية في وادي ستارة من نواحي مكة قرب بُرزة فيها مياه و نخيل .

و الخوار أغزر عيون الحجاز على الإطلاق بحسب مشاهدتي واطلاعي و هو من أملاك الأشراف ذوي عنان بن مغامس أمير مكة في أواخر القرن الثامن الهجري و ذِكْره و ولده علي بن عنان مبثوث في تواريخ مكة و غيرها .

و لهم ديار واسعة تمتد جنوب الخوار و شماله و شرقه وغربه و لديهم من الوثائق و الصكوك و المكاتبات ما لو نُشر بعضه لتغير وجه تاريخ المنطقة ، و قد حدثني الشيخ الشريف سعيد بن علي العناني أن وادي أبي حليفاء مما يلي الخوار من أملاكهم و قد حفر أحد أجداده به بئرا سبيلا للرعاة و عابري السبيل ، ونفى أن تكون من ديار معبد كما زعم أحد المعاصرين .

وبجوار الخوار شعبة صغيرة تسيل شمالا و جنوبا يقال لها : طلاح ، لها ذكر في شعر جعدة الخزاعي يوم فتح مكة .

فإذا تجاوز سيل وادي أمج عين الخوار هبط فسيحا واسعا من الأرض يُسمى أمج ، و هو متصل بخبت وادي غران من الشمال و يفصل بينهما مسيل وادي أبي حليفاء ، ثم إذا أقبل على جبل جمدان التقى بوادي غران عند طرف جمدان الشمالي ثم دفعا إلى الساحل ثم منه إلى البحر .

ومن المعالم المرتبطة بأمج (بشمى و سكران) ذكرهما علماء البلدان في معاجمهم إلا أنهما لا يعرفان اليوم ، فلعل من يأتي ويحققها أو يكشف تصحيف رسمها والله أعلم .

و نختم هذا المبحث بمناقشة أقوال أحد المعاصرين حيث قال :

١- **وادي خليص : ... يُعرف أعلاه بأمج .**

و هذا ظاهر البطلان و لا يحتاج لزيادة بيان .

فخليص عين بوادي أمج عقدنا لها فصلا سيأتي إن شاء الله تعالى .

٢- **ثم ينحدر السيل على المرواني .... حتى يهبط تهامة .**

و مقصوده أن تهامة تطلق على منطقة أمج بعد الخوار أو ما يسمى اليوم بالمرواني .

و هذا الكاتب عرّض نفسه للتندر ، فلست أدري هل ينزل عليه وحي يخبره بالفروق بين تهامة و الجلس ؟!

و مثله قوله عن غران : **غران واد من أطول الأودية نصفه في جلس الحجاز بما في ذلك قرية رهاط و هي قديمة منذ العصر الجاهلي و نصفه الآخر في تهامة و أحسبه يدخل غورها في أسفل حوض البرزة .**

فهذا النص يدل على أن الكاتب قصر في تتبع معاني هذه الألفاظ في كتب اللغة ، هدانا الله و إياه للصواب .

فتهامة هي الغور عند علماء اللغة و بالعكس .

قال الأزهري في تهذيبه (٢٤٣/٦) : قال الرياشي و الغور : تهامة .

وقال (٥٨٣/١٠) : و الجلس ما ارتفع عن الغور في بلاد نجد و قال ابن السكيت : جلس القوم إذا أتوا نجدا و هو الجلس .



و قال (١٨٤/٨) : و الغور : تهامة و ما يلي اليمن .

و قال الأصمعي : ما بين ذات عرق إلى البحر غور تهامة .

و قال الباهلي : كل ما انحدر سيله مغربيا فهو غور .

قلت : فتبين بطلان قوله أن تهامة يُهبط إليها بعد الخوار والبرزة ، و تبين تحكمه في تحديد تهامة و الغور و الجلس وهو مردود عليه عقلا و نقلا .

٣- **و به ثلاثة مجاري قديمة للسيول منها أمج و الأزرق ... و خليص ثالثها و هو الشمالي منها .**

و هذا الكلام وهم فاحش ينبغي أن لا يصدر من مثله ، فأمج إذا هبط من الخوار انقسم سيله إلى مشارب و لا يقال (مجاري) و كل هذه المشارب تسمى خليص لأن أمجا اندثر فلم يعد يعرف ، و أما الوادي الأزرق فهو وادي غران مما يلي أمج و سيأتي في مبحث مستقل حتى يعلم هذا الكاتب أننا لا نتجنى عليه و لا نتقصد تغليطه هدانا الله و إياه للصواب .

الفصل الثاني :

معالم تاريخية مرتبطة الذكر بأمج .

وفيه خمسة مباحث :

المبحث الأول : وادي غران .

المبحث الثاني : الكديد .

المبحث الثالث : الوادي الأزرق .

المبحث الرابع : جبل جمدان .

المبحث الخامس : ثنية لفت .

الفصل الثاني : معالم تاريخية مرتبطة الذكر بأمج .

هذا الفصل ضروري لفهم تاريخ أمج و الحاجة إليه تكمن في استكمال التصور الصحيح لأحداثه ، لأن الباحث في مثل هذه العناوين قد يمر به بعض المعالم التاريخية المحيطة بأمج فيظنها بعيدة عنه أو قد يُشكل عليه موقعها منه ، فبالتالي لا يستظهر التحليل الصحيح للحدث و لا يصل للنتائج المطلوبة منه ، فعقدت هذا الفصل كمقدمة بين يدي تاريخ أمج ليسهل على القارئ تصور النصوص التاريخية التي تمر به بعد ذاك ، خاصة و أن وادي أمج قد مر بتحولات سياسية وإدارية أدت لاختفاء مسماه نهائيا إلا في بطون الكتاب .

فعلى سبيل المثال نجد ارتباط وادي أمج بوادي غران في الذكر ، بحيث لا يُذكر الأخير إلا معه و لا يُعرَّف إلا به ، بل هما متحدان في المنبع و المصب كما ذكرناه عن الكلبي في المبحث السابق .

ومثله الكديد أحد منازل الطريق قديما له ارتباط و مُتَعلق بأمج لقربه منه ، و مع أنه من وادي غران إلا أن شهرته أوسع من الوادي الذي يقبع به ، فيظنه المطلع على أخباره منفصلا عنه .

و قد عولت في تحرير هذا الفصل على كلام المتقدمين لسبقهم و حاولت أن أسلك مسلكهم لسهولته و اختصاره بعيدا عن حشو المتأخرين و أوصافهم التي لا تخلو من إسهاب أو استطراد لا يُحتاج إليه .

المبحث الأول : وادي غران .

المطلب الأول : ضبط لفظه ورسمه .

غُرَان : بضم أوله و تخفيف الراء ، هكذا ضبطه المحققون من البلدانيين و اللغويين و أهل السير و الأخبار .

قال البكري في معجمه : غران : بضم أوّله و تخفيف ثانيه .

و قال الحازمي (ص٧١٣) : أما الأول (أي غران) بضم الغين وتخفيف الراء .

و قال ابن الأثير في النهاية : غُرَان هو بضم الغين وتخفيف الراء .

و قال الحموي في معجمه : غُرَان : بضم أوله و تخفيف ثانيه كذا ضبطه أبو منصور وجعل نونه أصلية مثل غراب .

قلت : أبو منصور هو الأزهري أحد أوعية اللغة في عصره وسيمر معنا كثيرا في هذا الكتاب .

و قال البقاعي في مراصده : غران : بضم أوله .

و قال السمهودي في وفاء الوفاء : غران : بالضم والتخفيف .

و قال الزرقاني في شرح المواهب (١٠٧/٣) : (غران) بضم المعجمة و خفة الراء فنون .

و قد اشتبه ضبطه على بعض العلماء فضبطه بعضهم بتشديد الراء كالصالحي في سبل الهدى و الرشاد حيث قال (٨٢/٦) : غران : بضم الغين المعجمة وتشديد الراء والنون .

و يظهر أنه وهم منه أو سبق قلم أو تصحيف من النساخ لأنه ضبطه في موضع آخر فقال (٥٣/٥) : غران بضم الغين المعجمة وتخفيف الراء وآخره نون .

و كذلك تصحف رسم غران في شرح ألفية ابن مالك لابن هشام (٥١/٢) إلى **(غراز)** ثم تلقفته أقلام الشراح من بعده كالأشموني في منهج السالك (١٥٨/١) و الفارضي في شرحه على الألفية أيضا (١٢/٢) و غيرهم .

المطلب الثاني : أصل اشتقاقه و معناه .

غُرَان : فُعَال من الثلاثي غَرِن يَغْرَن غَرَنا .

قال الفيروزأبادي في القاموس (ص١٢١٩) : غَرِن العجين على القرو ، كفَرِح : يبِس .

و منه الغِرْيَن كدِرْهَم .

قال الأزهري في تهذيب اللغة (٩٩/٨) : أبو عبيد عن الفراء : الغرين و الغريل ما بقي في أسفل القارورة من الثفل ، و أسفل الغدير من الطين .

و حكى ابن سيده في المحكم و المحيط (٤٩٣/٥) رواية أخرى عن الأصمعي حيث قال : و قال يعقوب : قال الأصمعي : الغرين أن يجيء السيل فيثبت على الأرض فإذا جف رأيت الطين رقيقا على وجه الأرض قد تشقق فأما قوله :

تشققت تشقق الغرينّ

غصونها إذا تدانت مني

إنما أراد الغِرْين فشدد للضرورة .

و نقل عن ثعلب فقال : و قال ثعلب الغرين ما يبقى من الماء في الحوض ، و الغدير الذي يبقى فيه الدعاميص لا يقدر على شربه .

هذه أشهر الأقوال في معنى الغرين و ضَبْطه ، و قد اختار اللغوي الكبير ابن جني اشتقاق غران من الغرين أسند هذا القول إليه البكري في معجمه حيث قال (ص٩٩٢) : قال أبو الفتح غران : فعال من الغرين ، والغرين والغريل : هو الطين

ينضب عنه الماء ، فيجفّ فى أسفل الغدير و يتشقق ، قال كثير :

رسا بغران واستدارت به الرحا

كما يستدير الزاحف المتغيف

و أما قول الحموي في معجمه (١٩١/٤) : و ما أراه إلا علما مرتجلا . فلا أميل إليه ، والله أعلم .

و قد تصحف ضبطه عند اللغوي الكبير ابن سيده في المحكم و المحيط حيث ظنه على وزن فَعّال فقال (٤٩٣/٥) : وغَرّان : اسم واد فَعّال منه كأن ذلك يكثر فيه .

و قد يقال أنه أراد موقعا آخر !. قلنا الموقع الآخر لا يقال عنه واد و ليس مشتقا من غرن وإنما من مادة (غرّ) .

قال البكري في معجمه (ص٩٩٤) : الغَرّان على لفظ تثنية الذي قبله : موضع بالشام ، قال الطائي :

فقد فارقت **بالغرين** دارا

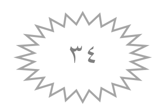
من أرض الشام حف بها النعيم

و يقصد بالذي قبله (الغَرّ) .

و قال الحموي في معجمه (١٩١/٤) : الغَرّان : بفتح أوله وتشديد ثانيه تثنية الغر ...... اسم موضع في قول مزاحم العقيلي :

أتعرف **بالغرين** دارا تأبدت

من الوحش و استفت عليها العواصف



المطلب الثالث : موقع وادي غران من الحجاز .

هناك أربعة أقوال مشهورة في تحديد موقع وادي غران وبيانها كالتالي :

القول الأول : قول ابن إسحاق .

أفضل من وصف موقع وادي غران هو إمام المغازي و السير الإمام ابن إسحاق رحمه الله في سيرته المشهورة عند حديثه عن غزوة بني لحيان حيث قال : حتى نزل على غران وهي منازل بنى لحيان **و غران : واد بين أمج وعسفان إلى بلد يقال له : ساية .**

فهذا الوصف أغنى عن كل وصف و تعريف ، فقد أبان عن حدوده المشهورة مما يلي مكة و المدينة ، و أظهر بداية مساقط مياه مسيله .

القول الثاني : قول الأصمعي .

وقد ورد وصف موقعه و لكن ليس بالدقة التي وصفه ابن إسحاق بها ، حيث أورد البكري في معجمه (ص٩٩٢) عن الأصمعي أنه رآه في زمنه فقال : **هو ببلاد هذيل بعسفان** وقد رأيته وأنشد لأبي جندب :

تخذت غران إثرهم دليلا

و فروا في الحجاز ليعجزوني

و قد عَصبّت أهل العَرْج منهم

بأهل صوائق إذ عصبوني

و هذا الوصف اختاره البكري في معجمه حيث قال : غُرَان : ... **موضع بناحية عسفان .**

و هو وصف قريب من وصف ابن سعد في الطبقات حيث قال (٧٥/٢) : **حتى انتهى إلى بطن غران و بينها و بين عسفان خمسة أميال .**

و لكن يؤخذ على هذا القول أنه لم يبين إلى أي جهة من عسفان هو ؟! ، فلو قال مما يلي المدينة أو شمال عسفان لكان وصفا دقيقا شافيا .

القول الثالث : قول الأزهري .

و ممن وصف موقعه من المتقدمين العلامة الأزهري أسند إليه هذا القول الحموي في معجمه حيث قال (١٩١/٤) : وقال (أي الأزهري) **هو اسم موضع بتهامة** ، و أنشد :

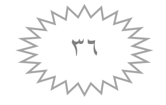
بغران أو وادي القرى اضطربت

نكباء بين صبا و بين شمال

قلت : و هذا الوصف ليس في تهذيب الأزهري و لعل نسخة الحموي أتم من المطبوعة اليوم ، و أما قوله بتهامة فمجمل و لا يشفي في الوصف تنزلا معه ، و إلا فإن في تحديد تهامة نزاعا ليس هذا موضعه ، و أما البيت فقد نسبه الصاغاني في التكملة و الذيل لخداش بن زهير العامري ، و مثله الهجري في التعليقات (ص١٥٤٩) و فيه اختلاف يسير .

القول الرابع : قول ابن السكيت .

و ممن وصف موقعه أيضا ابن السكيت أسند إليه هذا القول الحموي في معجمه ، و لعله أخذه من شرح ابن السكيت



لديوان كُثير الخزاعي فقال : و قال ابن السكيت : **غران واد ضخم بالحجاز بين ساية و مكة .**

و اختار هذا الوصف نصر السكندري في أماكنه حيث قال (٢٤٠/٢) : و ما بعد الغين المعجمة المضمومة راء خفيفة واد عظيم قرب مكة بينها و بين ساية .

و هذا القول قريب من قول ابن إسحاق إلا أن تحديده يصح لأعلاه مما يلي وادي ساية ، حيث أن وادي غران أعلاه يقال له : رهاط ، و هو واقع بين ساية و مكة ، و لو قال بين ساية وذات عرق لكان أدق أو بين ساية و نخلة ، لأن هذه المواقع مشهورة و أقرب إليه من مكة .

و قوله واد ضخم هو كما قال و كذلك قوله بالحجاز أفضل من وصف الأزهري بتهامة لأن الأول لا نزاع فيه بخلاف الثاني .

فهذه أربعة أقوال تصف موقع وادي غران بالحجاز و كلها صحيحة عدا قول الأزهري فيعوزه الدقة ، و عليه يكون وصف موقعه كالتالي :

واد بين أمج وعسفان إلى بلد يقال له : ساية .

و معنى قوله : إلى بلد يقال له : ساية ، أي يمتد شرقا إلى محاذاة ساية .

وأما قول الكجراتي في مجمع بحار الأنوار : غران بضم غين وخفة راء : واد بالحديبية نزل به النبي صلى الله عليه وسلم .

فهذا وهم بلا شك .

المطلب الرابع : مساقط مياه وادي غران و مسيله .

يبدأ مسيل وادي غران من حرة بني سليم هكذا وصفه الحموي في معجمه و عزاه للكلبي حيث قال (٢٥٠/١) : وقال أبو المنذر هشام بن محمد : أمج و غران واديان يأخذان من حرة بني سليم و يفرغان في البحر .

وقد نص جماعة من المتقدمين على أن وادي غران يمتد شرقا بمحاذاة وادي ساية أعلى أمج كما مر معنا من كلام ابن إسحاق و ابن السكيت فلا حاجة لتكراره هاهنا .

وأعلى وادي غران مما يلي حرة بني سليم يقال له : **رُهَاط** بضم أوله و فتح ثانيه بلد مشهور ذائع الصيت كثير الخيرات والمياه و يقع تلقاء ساية مما يلي مكة ، يفصل بينهما جبل شمنصير ، ذلك الجبل الشامخ المشهور بالحجاز و هو أقرب إلى ساية من رهاط ، بل مياهه تسيل جميعها فيه كما مر .

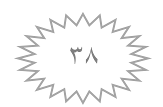
و لذلك وصف بعض المتقدمين وادي غران بأنه واقع بين ساية و مكة و صححنا قوله .

وأفضل من وصف رهاطا هو عرام السلمي في رسالته المشهورة جبال تهامة حيث قال (٤٠٩/٢) : و يطيف بشمنصير من القرى قرية كبيرة يقال لها : **رهاط** ، وهي بواد يسمّى **غران** وأنشد :

فإن غراناً بطنُ وادٍ أحبُّه

لساكنهِ عهدٌ عليّ وثيق

وبغربيه قرية يقال لها الحديبية ليست بالكبيرة ، وبحذائها جبيل يقال له : ضعاضع ، و عنده حِبس كبير يجتمع عنده



الماء و الحبس : حجارة مجتمعة يوضع بعضها على بعض .
قال الشاعر :

وإنّ التفاتى نحو حبس ضعاضع

وإقبالَ عيني في الظُّبا لطويلُ

فهؤلاء القريات لسعد و بني مسروح ، وهم الذين نشأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم ، ولهذيل فيها شيء ، ولفهم أيضاً ، ومياههم بثور ، وهي أحساء و عيون ليست بآبار ومن الحديبية إلى المدينة تسع مراحل ، وإلى مكة مرحلة وميل أو ميلان .

و قد وهم بعض المتأخرين فظن عراما يقصد بالحديبية هذه الحديبية التي وقع عندها الصلح المشهور بين النبي صلى الله عليه وسلم و كفار قريش غربي مكة و لعله ليس كذلك ، لأني وجدته وصفها في موضع آخر من رسالته فقال (٤١٥/٢) : ثم **عسفان** ، وهو على ظهر الطريق لخزاعة خاصة ، بها منبر و نخيل و مزارع كثيرة . ثم إن فصلت من عسفان لقيت البحر ، و تذهب عنك الجبال و القرى ، إلا أودية مسماة بينك و بين مر الظهران ، يقال لواد منها : **مسيحة** و واد يقال له **: مدركة** ، وهما واديان كبيران بهما مياه كثيرة ونخيل منها ماء يقال له **(الحديبية)** بأسفله ، يصبان من رؤوس الحرة مستطيلين إلى البحر .

فيصح وصف عرام إذا حملت قوله : بينك و بين مر الظهران أي بين ساية و مر الظهران لأن الكلام متصل به ، و عسفان ذُكر استطرادا و الله أعلم .

فإذا تجاوز سيل وادي غران رهاطا أتاه من الشمال وادي ثبل : **وهو واد يأتي من حرة بني سليم بين رهاط و نبط ثم يدفع في غران من الشمال قبل التقاء مسيحة بغران بقليل .**

ولثبل هذا ذكر في مصادر المتقدمين حيث ذكره الهجري في النوادر فقال (١٣٥٧ص) : ثبل من غران مهيمة للإبل ، بها هامت إبل حنبل الزهيري (زهير جشم) .... إلى أن قال : وهي قرب نبط .

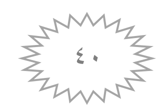
فإذا تجاوز سيل وادي غران وادي ثبل أتاه من الجنوب وادي مسيحة الآنف الذكر في نصوص عرام ، ومسيحة : **واد يأتي من حرة بني سليم بين مدركة و رهاط ثم يصب في غران من الجنوب بين رهاط و البرزة .**

و قد ضبطه الحموي في معجه قائلا (١٣٠/٥) : مَسِيحة : بالفتح ثم الكسر و الياء ساكنة ، من السيح و هو الماء الفائض .

فإذا تجاوز مسيل وادي غران مسيحة انحدر إلى فضاء فسيح بالوادي يسمى : **بَرْزة : و هي ماء بوادي غران أسفل رهاط شمالي مكة بمرحلتين .**

قال الحموي في معجمه : بُرزة : بالضم ..... إلى أن قال : **ووجدته بخط بعض الأدباء بفتح الباء .**

قلت : و هو الصحيح لا بالضم ، قال القلقشندي في صبح الأعشى (٢٦٥/٤) : **البَرْزة** : بألف و لام ثم باء موحدة و راء مهملة ساكنة و زاي معجمة مفتوحة و هاء في الآخر ، و هي بالقرب من عسفان على مرحلتين من مكة ، به أربعة عشر نهرا على كل نهر قرية ، و هي الآن بيد بني سلول و بني معبد



بضم الميم و فتح العين المهملة و تشديد الباء الموحدة المفتوحة .

و لبرزة ذكر في كتب التواريخ سيأتي بعضها في تاريخ الكديد لتعلقها به إن شاء الله تعالى .

وأهلها اليوم معبد و الشيوخ ولهم قصة ستأتي إن شاء الله .

فإذا تجاوز سيل وادي غران البرزة أتاه من شمال شرقي البرزة وادي سبلل أحد روافد وادي غران الشمالية فيدفع به أسفل البرزة غربا .

و سبلل : بفتح أوله و إسكان ثانية بعده لامان على بناء فعلل هكذا ضبطه البلدانيّون ، **واد صغير يأتي من جبل الأضحى (ضاح) فيدفع في غران من الشمال أسفل البرزة .**

وجبل الأضحى (ضاح) جبل أحمر شامخ يقع بين البرزة ووادي حفرة أحد روافد غران الشمالية ، ولجبل ضاح ذكر في شعر هذيل وكتب البلدان .

ثم بعد التفاء مسيل وادي غران بوادي سبلل بقليل أتاه من الجنوب وادي الضجوع ، و ينطقونه اليوم الجضوع هكذا سمعته من سكانه قبيلة مُعَبَّد و قد كُتب على لوحات الطريق (الجضع) .

و له ذكر في كتب البلدان و شعر هذيل ، قال البكري (ص٨٥٧) : **الضجوع** : بفتح أوله و ضم ثانيه و بالعين المهملة ، موضع من بلاد هذيل و بلاد بني سليم قال أبو ذؤيب :

أمن آل ليلى بالضجوع و أهلنا

بنعف قوى و الصُّفَيّة عير

قلت : الضجوع : **واد يسيل من جبل وتن بين وادي فيدة وبرزة ثم يصب في غران من الجنوب .**

والصُّفَيّة لعلها تلك القرية القابعة بأعلى وادي ثبل المتقدم ذكره ، ويوازيها من الشمال وادي نبط الآتي ذكره .

ثم بعد التقاء مسيل وادي غران بوادي الضجوع بمسافة ليست كبيرة أتاه وادي حفرة من الشمال فدفع فيه عند قرية الفج .

وحفرة : **واد يأتي من جبل نبط بين ثبل وإهالى (أحد روافد أمج) فيدفع في غران عند قرية الفج .**

وحدثني أحد رواة معبد أن وادي نبط هو رأس حفرة ثم يجتمع معه وادي النخيل فيصبان في حفرة ، ثم بغران .

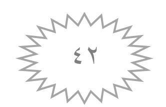
و لنبط ذكر في كتب البلدان و شعر هذيل ، قال الحموي في معجمه (٢٥٨/٥) : نبط : بالفتح ثم السكون ، والنبط بفتح الباء : وهو الماء المستخرج بالحفر ، ولعل سكونه للتخفيف في هذا الموضع : وهو شعب من شعاب هذيل قال ساعدة ابن جوية :

أضر به ضاح فنبطا أسالة

فمَرّ فأعلى حوزها فخصورها

ضاح و مر و نبط : مواضع .

قلت : و زاد البكري عن أبي ذؤيب (ص٦٧٨) :



هبطن بطن رهاط و اعتصبن كما

يسقى الجذوع خلال الدار نضّاح

ثمّ شرين بنبط و الجمال كأنّ

الرّشح منهنّ بالآباط أمساح

وقال الهجري في النوادر (١٦٠٧ص) : نبط واد قبلي رهاط .

وبعد أن يتجاوز سيل وادي غران وادي حفرة دفع في فضاء كبير متصل بأمج من الجنوب يسمى غران ، و بأسفله مما يلي أمج الكديد ذلك الموضع المشهور و سيأتي في مبحث مستقل .

فإذا تجاوز مسيل وادي غران الكديد سُمي بالوادي الأزرق وسيأتي الحديث عنه في مبحث خاص به .

ثم يلتقي بوادي أمج بطرف جبل جمدان من الشمال ثم يدفعان إلى الساحل ومنه إلى البحر .

مراجعات :

و نختم هذا المبحث بتنويه عن وهم وقعت فيه بكتابي مدرج عثمان متابعة للبلادي رحمه الله حيث وصفت وادي غران بأنه يصب في أمج أثناء تعليقي على نص الكلبي المصدر به المبحث فقلت في حاشية (٤) صفحة (٢٤٥) : الصواب غران يصب في أمج عند الدف ثم يفرغان في البحر .

و هذا الوهم وقع من كاتب هذه الأسطر بسبب الاستعجال في إخراج الكتاب ، و عدم العناية بتحقيقه بالشكل الذي أقرره الآن فكان سببا في وقوع مثل هذا الوهم و ها أنا ذا

أصلحه ، و قبل ذلك أقر به ، و لا يعيب الإنسان الاعتراف بالخطأ ، و انما يعيبه التعنت و الاستمرار فيه .

قال البلادي رحمه الله في كتابه على طريق الهجرة عن وادي غران (ص٢٣) : و يعتبر غران في العرف الجغرافي رافدا من روافد أمج رغم كبره و مطاولته أمج على طوله .

وقال في معجم معالم الحجاز (ص١٤٣٤) : الكديد يعرف اليوم بالحمض لكثرة نبات العصلاء فيه ، و هو مكان من أسفل غران قبل مصبه في وادي أمج .

و لعل البلادي توهمه عن البكري حيث قال في معجمه (ص٩٥٦) : و غزال ثنية عسفان تلقاها قبله بأرجح من ميل وعند تلك الثنية واد يجئ من ناحية ساية يصب في أمج .

و الصحيح ، أنهما يجتمعان سويا ثم يفرغان في البحر كما ذكر الكلبي .

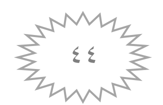
و الذي دعاني لهذا القول أمور :

١- نص الكلبي المتقدم حيث وصفهما بأنهما يجتمعان و لم يقل عن أحدهما أنه يصب في الآخر .

٢- الوقوف و المعاينة على مكان الالتقاء فهو على شكل رأس مثلث بطرف جمدان .

٣- كلام الخبراء الجيولوجيين الذي نقله عبدالقدوس الأنصاري في كتابه تاريخ العين العزيزية و هو كتاب معد بإشراف الدولة و نظرها .

يقول د.فلكس رونر (ص٤٠٨) : يلتقي الواديان المتحدان بهضبة الحجر الأسود .... إلخ



و قال (ص٤١١) : لا تمتد أراضي خليص الزراعية إلى نقطة التقاء الواديين (وادي غران و وادي مرواني) على نهاية السفح الشمالي من سلسلة الجبال الطويلة ذات اللون الأخضر الداكن .

قلت : يقصد بسلسلة الجبال : جمدان و هو عين ما وصفته به و لله الحمد و المنة ، و المرواني اسم حادث يطلق على وادي ساية قبل الخوار .

فإن تمحل أحدهم و أصر على وصف وادي غران بأنه رافد لأمج ، فيحق لمخاصمه أن يقول : بل أمج رافد لغران .

و مثله وادي القاحة و الفرع ، فلا يقال لأحدهما أنه يرفد الآخر ، و إنما يجتمعان سويا في الأبواء (الخريبة) .

و أما وصف البكري رحمه الله فهو تصرف منه و فهم فهمه فلا ينبغي متابعته عليه .

قبيلة الشيوخ بالبرزة .

الشيوخ جمع ، والنسبة إليهم الشيخ ، نزلوا البرزة و تملكوا بها في مدة غير معلومة عندي الآن ، وقد وهم بعض المعاصرين فذكر أنهم حلفاء لبني عمرو من حرب وهذا خلاف ما هو مشهور عند رواة قبيلة الصحاف من زبيد اليمن من حرب حيث يذكرون أن شيوخ البرزة حلفاء لهم .

وسبب الحلف :

أن قبيلة معبد من حرب صبّحت الشيوخ في أموالهم ونفوهم عنها ، فاستفزعوا بالصحاف ، فقال لهم الشيخ محمد بن نفاع الصحفي : هؤلاء بنو عمنا وما لنا طريق عليهم .

ولكن الحدود ما يحددها غير الدم !.

فأشار عليهم بيده إلى مستودع السلاح وقال لهم : تنالون منهم مثلما نالوا منكم ، والقبائل اللي حولكم توحي (أي تسمع وينتشر الخبر) ثم نأتي فزاعة فراعة مثل الناس ، وكل يقف عند حده !.

فقام الشيوخ ليلا بعمل خطة لينالوا من معبد بالبرزة فكمنوا لهم على جانبين ، فما إن أسفر الصبح إلا و الرمي من كل ناحية فأسقط في يد معبد وظنوا فيهم كثرة فحصلت فيهم مقتلة كالتي أصابوها ، فأتى الصحاف حينئذ ، ومن حولهم من القبائل ، فتنادوا للصلح ، فتوقف القتال ورضي كلا الطرفين بالصلح وحددت الحدود بينهم في البرزة إلى يوم الناس هذا .

ولعل هذا الأمر تسبب في عدم مشاركة قبيلة معبد في يوم الثنية كما هو مشهور ، وللاستزادة راجع مدرج عثمان .

المطلب الخامس : أخبار وادي غران .

أقد خبر يصلنا عن وادي غران هو خبر هجرة ضبيعة من بلي و نزوله به قبل البعثة النبوية حيث قال البكري في مقدمة معجمه (ص٢٨) : وانصرفت جماعة من تلك القبائل راجعين إلى بلادهم من تهامة و الحجاز فقدموها و تفرقوا فيها ، فنزل **ضبيعة بن حرام بن جعل بن عمرو بن جشم بن ودم بن ذبيان بن هميم بن ذهل بن هنى بن بلى** في ولده وأهله بين **أمج و عروان** و هما واديان يأخذان من حرة بني سليم ويفرغان في البحر و لهم أنعام وأموال و لضبيعة إبل يقال لها الدجحان سود ، قال : فطرقهم السيل وهم نيام فذهب بضبيعة و إبله فقالت بائحته : سال الواديان **أمج وعروان** فذهبت بضبيعة بن حرام و إبله الدجحان و تحول ولد ضبيعة ومن كان معهم من قومهم إلى المدينة وأطرافها وهم **سلمه بن حارثة بن ضبيعة ، و واثلة بن حارثة والعجلان بن حارثة** فنزلوا المدينة وهم حلفاء الأنصار ، ثم استوبئوها فتحولوا إلى الجندل والسقيا والرحبة .

تحليل النص و شرحه :

١- هذه الرواية من مسانيد محمد ابن السائب الكلبي عن ابن عباس رضي الله عنه و قد ساق إسنادها البكري فقال : قال أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي ، عن أبيه عن معاوية بن عميرة بن مخوس الكندي ، إنه سمع عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ، ثم ساق الخبر .

و محمد ابن السائب وضاع و كذاب ، مشهور بهذا و بخاصة عن ابن عباس رضي الله عنه .

قال الإمام ابن حبان في المجروحين : أخبرنَا عبد الْملك بن مُحَمَّد قَالَ حَدثنَا عمر بن شبة قَالَ حَدثنَا أَبُو عَاصِم قال لي سُفْيَان الثَّوْريّ قال : قال لي الْكَلْبِيّ مَا سمعته مني عَن أبي صَالح عَن بن عَبَّاس فَهُوَ كذب .

وهذا يكفي في طرح الرواية .

فإن قيل : قد تابعه ابن شبة بإسناد آخر إلى ابن عباس وذكره البكري مقرونا به حيث قال : و رواه أبو زيد عمر بن شبة قال : حدثني غياث بن إبراهيم ، عن يونس بن يزيد الأيلي ، عن الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن ابن عباس .

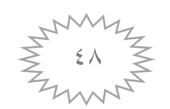
قلنا له : أما رواية ابن شبة فقد عرفنا بدايتها و لكن لا نعلم أين انتهت ؟! ، و صنيع البكري رحمه الله أدرج الروايتين بعضهما ببعض ، و كان ينقحها ، و يستدرك عليها و يتعقبها بمرويات الأصفهاني و الهمداني و ابن شبة و غيرهم .

ثم إن البكري قد صرح قبلها بأنه رجع لرواية الكلبي و ليس لرواية ابن شبة فقال : رجعنا إلى حديث الكلبى عن ابن عبّاس

و قد رواها عن الكلبي أيضا الهمداني في صفة جزيرة العرب حيث قال (ص٨٣) : أما حديث عبد الله بن عباس في جزيرة العرب فإنه ما نقل لنا عن محمد بن السائب الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس من وجه وعن معاوية بن عميرة بن مخوس الكندي أنه سمع عبد الله بن عباس بن عبد المطلب وسأله رجل عن ولد نزار ابن معد .... إلخ

و لكنه اقتصر على روايته عن البلدان و أما ما ذكره عن عدنانية قضاعة فإنه تعقبه في كتاب الإكليل المنسوب إليه .

و رواها ابن الجوزي في المنتظم بعين إسناد البكري .



و إضافة إلى ذلك فهي رواية مضطربة ، ظاهرة الاضطراب فلا يحتاج لكثير عناء لكشف ذلك ، حيث زعم أن بلي و بهراء و خولان نزلوا بمأرب بعد هجرة الأزد ، و هذا تاريخ قريب منقوض بما يلي :

١- أن اليمن لا يحفظونه و ليس مشهورا عندهم و لا يقرونه على ذلك ، و أقر بذلك الكلبي نفسه حيث جاء في الرواية قوله : و إنه خولان بن عمرو بن الحاف ويأبى نسّاب اليمن ذلك ، فيقولون : هو خولان بن عمرو بن مالك بن مرّة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان .

و قد وافقه الهمداني على ذلك فيما نسب إليه و لكنه زعم أنه نسب خولان العالية دون صعدة .

٢- أن بلي و خولان لا يحفظونه كذلك و لا يشتهر عندهم خاصة و أن الأزد هاجروا قبلهم و يحفظونه كأسماء آبائهم وأولادهم .

٣- أن مؤرخي اليمن يزعمون أن سعد بن خولان كان قد ملك على صرواح باليمن في زمن قديم عن خبر هجرتهم الذي زعمه الكلبي .

٤- أن الرواية قد تصح إذا حُملت على رجل واحد نزل بإبله ثم اجتحفه السيل و ذهب بإبله كعادة أهل الإبل ، و ليس على هجرة قبيلة بلي كما زعم الكلبي ، فضلا عن عدنانية قضاعة .

و هناك أدلة عقلية ذكرها الهمداني فيما نسب إليه في نقده لعدنانية قضاعة تركناها لأنه قد يُعترض عليها أيضا ، ثم ندخل في تفريعات لا حاجة لنا بها هاهنا و سيأتي مزيد تفصيل عن هجرة الأزد في فصل تاريخ أمج إن شاء الله .

و بناء عليه فإني أروي هذا الخبر غير محتج به إلا فيما لا يُدفع و يشهد له الواقع أو قرائن من خارجه كوصفه لوادي غران و أمج ، و الله أعلم .

٢- و أما قوله : عروان ، فتصحيف ظاهر لغران و قد جاءت في مواضع أخرى على الصواب ، في كتاب البكري و في غيره .

قبيلة لحيان بن هذيل في وادي غران .

و أما أصح الأخبار عن وادي غران فقد ارتبطت بقبيلة بني لحيان بن هذيل كرا و فرا ، فلولا بنو لحيان لما ذكر غران ولما عرفه أحد في تلك الحقبة .

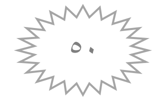
و قبيلة لحيان بطن كبير من هذيل كما ذكر أهل النسب و لها صولات و جولات مع من حولها من القبائل العدنانية ككنانة وخزاعة و سليم و بطون هوازن المختلفة ، و كانت لها معارك مع بني عمها من هذيل أيضا ، و من تلك البطون الهذلية بنو سعد من هذيل و هو بطن كبير تنضوي تحته بطون أخرى من أهمها ما يلي :

١- بنو معاوية بن تميم بن سعد بن هذيل . و منهم

١- بنو سهم بن معاوية .

٢- بنو قِرد بن معاوية .

٣- بتو مازن بن معاوية .



٢- بنو الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل . و منهم :

١- بنو عمرو بن الحارث ، و منهم :

بنو عاترة ، تصحفت عند الكلبي إلى عترة ، و قد جاءت على الصواب عند الخيضري في الاكتساب .

٢- بنو كاهل بن الحارث ، و منهم :

١- بنو صبح بن كاهل .

٢- بنو كعب بن كاهل .

٣- بنو صاهلة بن كاهل . و منهم :

١- بنو خزيمة بن صاهلة .

٢- بنو مخزوم بن صاهلة ، رهط عبدالله بن مسعود رضي الله عنه .

و من بني مخزوم بطن صغير يقال له : زُبيد .

و هؤلاء قد يشتبهون بقبيلة زبيد من حرب كما راج على بعض المعاصرين و هذا وهم يحصل من قليلي البضاعة .

وهذه المقدمة في أنساب هذيل ضرورية لمعرفة سير الأحداث في هذا الكتاب و تصورها تصورا صحيحا ، و إن كنت لست من أهلها و لا أقوله عن نفسي و لا أحب أن أوصف به .

و قد ذكر السكري في شرحه لشعر هذيل أن سبب نزول بني لحيان لوادي غران و وادي فيدة نزاع حصل بينهم و بين بني عمهم من بطون هذيل أدى لهجرتهم و نزولهم بها قبل الإسلام بمدة .

قال السكري في شرحه لشعر أبي قِلابة اللحياني (ص٧٠٩) : قال عبدالله بن إبراهيم الجمحي كان من شأن بني لحيان من هذيل أنها كانت شوكة من هذيل و منعة و بغيا **و كانوا أهل الهزوم و رخمة و ألبان و عرق و كانت لهم مياه كساب** ثم إنهم كان لهم جار .

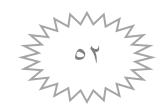
قوله : لهم جار . أي في جوارهم و مستجير بهم (دخيل) وأما هذه المواضع فجنوب مكة .

فقدم له أن يأخذه رجل من **بني خزيمة بن صاهلة بن كاهل** فباعه ، فغضبت في ذلك بنو لحيان **و كانوا بضجن القصائرة** و أما **بنو كاهل** فبين ظر إلى رأس دفاق ، **و أما بنو عمرو بن الحارث** فأهل نعمان .

قلت : كاهل و عمرو إخوة كما تقدم ، و هما بطنان من بني سعد بن هذيل و قذ ذكر النسابون أن عدد بني سعد في بني معاوية و ستأتي لهم أخبار مع لحيان .

فقال أبو قلابة سيد بني لحيان انطلقوا نكلم بني عمنا في جارنا الذي أخذوا و نحن لعمر الله نخشى جهلهم و لكن اظعنوا بالبيوت و ليذهب القوم فليسألوا في جارهم الرضا فإن أرضوا فالحال هين و إن طارت بيننا حرب و جهنا الظعن إلى كساب و ذي مراخ نحو الحرم

قلت : أبو قِلابة اللحياني ترجم له المرزباني في معجمه فقال (ص٦٩) : أبو قلابة الهذلي اسمه في رواية دعبل عويمر بن عمرو ، و قال الزبير ابن بكار اسمه الحارث بن صعصعة بن كعب بن طابخة بن لحيان جاهلي قديم حجازي وقد وُلِد النبي صلى الله عليه وسلم من قبل ابنته أيمة ويقال لها قِلابة بنت أبي قلابة و أبو قلابة عم المتنخل الشاعر . انتهى .



فخرجوا حتى قدموا لبني خزيمة و سيدهم وبرة ابن ربيعة فنادوهم من بعيد و لم يقدموا لهم و قالوا : يا بني حزيمة – أبو عبدالله : **يا بني عاترة** – ردوا علينا جارنا .

قلت : أبو عبدالله هو ابن الأعرابي و مقصود السكري أن يبين لك الاختلاف بين رواية الجمحي و ابن الأعرابي ، و بنو عاترة بطن من هذيل من بني الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل كما تقدم ، و سيأتي في نفس الخبر .

قالوا : لا نفعل و لا نعمة العين . فقرعت لذلك بنو لحيان وتواعدوهم ، و رمى غلام من بني خزيمة – أبو عبدالله : من بني عاترة – نحو بني لحيان ، قال رجل من بني لحيان : أروني سيد القوم . فأشاروا إلى وبرة بن ربيعة **أحد بني عاترة** ، فنزع له اللحياني بسهم فعقى به نحو وبرة فلم يخطئ قلب وبرة فقتله ، و تصارخ الناس : **عمرو و كاهل** ، من كل أوب فأدركوهم بصعيد الأحثّ .

قلت : و هذه الوقعة مشهورة بيوم الأحث .

فاتبعوهم يقتلونهم ، و قد جعلت بنو لحيان حامية لهم دون الظعن ، قال أبو عبدالله : بل كانت بنو عاترة أَخَذوا خَفَرا لبني لحيان ، فغضبت بنو لحيان و قالوا : اطلبوا خفركم ، فقال أبو قلابة : لا يد لكم **ببني الحارث بن تميم** ، و لكن مروا الظعن تظعن ، ثم اغدوا على القوم فاطلبوا خفركم ، فإن رد عليكم فالخطب أيسر والجلل هين ، وإن كان بينكم قتال كنتم قد وجهتم ظعنكم موجها فأبى القوم كلهم عليه ، فخرجوا ومعهم أبو قلابة حتى قدموا لبنى عاترة ، من ها هنا روى الأصمعي ، و أدرك رجل من القوم من حلفاء بنى كاهل يقال له عمار أحد بني وابش فأدرك أبا قلابة اللحيانى والرجل من عدوان و هو حليف **لبنى صاهلة بن كاهل بن الحارث بن**

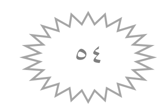
تميم ، فقال : استأسر يا أبا قلابة فأنا خير من أخذك . قال الأصمعى : و كان أبو قلابة قد ثقل و ضعف وهو في أخرى القوم ، فقال أبو قلابة : انكشف عني لا أبا لك فإن وراءك رجالا خيرا منك ، و قال الأصمعي : و في القوم من هو أكرم منك ، **من بني المقعد أو من بنى المحرث بن زبيد أو بني المعترض** ، و أسرع أبو قلابة ثم أدركه الثانية فقال : استسلم يا أبا قلابة فما لي بد من أخذك . قال فادن دونك . فدنا فقنعه أبو قلابة بالسيف فقتله ، ثم أدركهم **بنو الحارث بن تميم** ، فلم يزالوا يقتلونهم حتى غيبهم الليل منهم **بذي مراخ واد من بطن كساب** و قد أكثروا فيهم القتل **فانتقلت بنو لحيان من ذلك اليوم إلى غران وفيدة .**

فهذا نص صريح في تاريخ نزول بني لحيان لهذين الواديين وسببه .

ثم لم يلبث بنو لحيان حتى عدوا على جار لأبي جندب الهذلي من قبيلة بني كعب من خزاعة فقتلوه ، أورد هذا الخبر السكري في شرحه لشعر هذيل حيث قال (ص٣٤٩) : **هذا يوم العرج** ، حدّثنا الحلواني قال : حدّثنا السكرى قال : قال الجمحيّ عبد الله بن إبراهيم : كان أبو جندب اشتكى شكوى شديدة ، و كان يقال له : المشئوم ، و كان له جار من خزاعة يقال له حاطم بن هاجر بن عبد مناف بن ضاطر .

قلت : أبو جندب الهذلي بن مرة ، أحد بني قرد بن معاوية بن تميم بن سعد بن هذيل ، من فحول شعراء الحجاز ، و هو أخو أبي خراش الهذلي ، ترجم له السكري في شرحه لشعر هذيل .

و أما ضاطر فبطن صغير من بني كعب من خزاعة .



فوقعت به بنو لحيان فقتلوه قبل أن يستبلّ من وجعه واستاقوا ماله وقتلوا امرأته قال الأصمعيّ : قتله زهير بن الأغر و كان أبو جندب يومئذ وجعا مدنفا ، قال الجمحى : وقد كان أبو جندب كلم قومه فجمعوا له غنما ، فلما أفاق أبو جندب من مرضه خرج من أهله حتى قدم مكة ، ثم جاء يمشي حتى استلم الركن و قد شق و كشف عن استه ثم طاف بالكعبة فعرف من رآه من الناس أنه أتى بشر ثم صاح و طفق يقول :

إني امرؤ أبكي على جارية

أبكي على **الكعبيّ و الكعبيّة**

و لو هلكت بكيا عليه

كانا مكان الثوب من حقويّة

من مبلغٌ ملائكِي حُبْشِيّا

أخَا **بنِي زُلَيفةَ الصُّبْحِيّا**

أما تَرَوْنِي رَجلاً جُونِيًّا

حَفَلَّجَ الرِّجْلين أفَلِجيّا

سَلُوا **هُذَيلا** وسَلوا **عَليًّا**

أما أَسُلُّ الصارمَ البُصْرِيّا

حتى أموت ماجدًا وَفِيّا

إذا رأيتُ جارَنَا مَغْشِيّا

قلت : قوله : عليا ، هذا لقب لبعض بطون كنانة و سيأتي تفصيله في مبحث الكديد .

قال أبو عمرو و الأصمعي و أبو عبيدة و الجمحي : فلّما فرغَ من طوافه وقضى حاجته من مكة و قضى نسكه خرج مع الخُلعاء من بكرٍ وخُزاعة ، فاستجاشَهمْ على بني لحيان فخرجوا معه حتى صبح بهم بني لحيان فقَتل فيهم قتلى وسبى نساء من نسائهم و ذراريهم فقال في ذلك أبو جندب :

لقد أَمست بنو لحيان منى

بحمد الله في خزى مبين

جزيتهم بما أخذوا تلادى

بني لحيان كلا فاحربونِي

تخذت **غران** إثرهم دليلًا

و فروا في الحجاز ليعجزوني

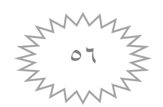
وقد عصّبت أهل العرج منهم

بأهل صوائق إذ عصبوني

تركتهم على الركبات صعرا

يشيبون الذوائب بالأنين

قوله : و فروا في الحجاز ، يظهر ضعف قول من يفرق بين تهامة و الحجاز ، لأن تهامة جزء من الحجاز و ليس العكس و مثل هذا في الغالب نشأ من ضعف أولئك الكتاب في اللغة وفقد رأيت من يحرر هذه المصطلحات و ليس في مصادره كتاب واحد من كتب أئمة اللغة .



وادي غران في عصر النبوة .

ثم لما جاء الإسلام وقفت فبيلة بني لحيان كموقف عامة القبائل حول مكة من الإمتناع و عدم القبول و التسليم له إضافة إلى اشتراكها في أعمال قتالية ضد المسلمين .

و من ذلك يوم الرجيع حيث كمنت فيه بنو لحيان لبعض الصحابة فقتلت بعضهم و أسرت آخرين ثم باعتهم لأهل مكة .

قال الإمام البخاري في صحيحه (٤٠٨٦) : حدثني إبراهيم بن موسى أخبرنا هشام بن يوسف عن معمر عن الزهري عن عمرو بن أبي سفيان الثقفي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال بعث النبي صلى الله عليه وسلم سرية عينا وأمر عليهم عاصم بن ثابت وهو جد عاصم بن عمر بن الخطاب فانطلقوا حتى إذا كان بين عسفان ومكة ذكروا لحى من هذيل يقال لهم بنو لحيان فتبعوهم بقريب من مائة رام فاقتصوا آثارهم حتى اتوا منزلا نزلوه فوجدوا فيه نوى تمر تزودوه من المدينة فقالوا هذا تمر يثرب فتبعوا آثارهم حتى لحقوهم .

و جاء في رواية الواقدي أن سبب حنق بني لحيان على أصحاب النبي صلى الله عليه و سلم هو اغتيال سفيان بن خالد اللحياني الهذلي الذي جمع جموعا بوادي عرنة لغزو المدينة فاغتاله عبدالله بن أنيس الجهني رضي الله عنه كما هو مشهور في السير .

قال الواقدي في مغازيه : لمّا قُتل سفيان بن خالد بن نبيح الهذليّ مشت بنو لحيان إلى عضل و القارة فجعلوا لهم فرائض على أن يقدموا على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم فيكلّموه فيخرج إليهم نفرا من أصحابه يدعونهم إلى الإسلام

فنقتل من قتل صاحبنا و نخرج بسائرهم إلى قريش بمكّة فنصيب بهم ثمنا ، فإنهم ليسوا لشيء أحبّ إليهم من أن يؤتوا بأحد من أصحاب محمّد يمثّلون به و يقتلونه بمن قتل منهم ببدر .

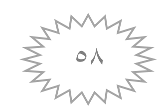
و تحريض عضل و القارة على استدراج الصحابة لبني لحيان يعارض كونهم عينا للنبي صلى الله عليه و سلم كما في رواية البخاري ، لذلك قال الحافظ ابن حجر في الفتح : **وما في الصحيح أصح .**

و قد قُتل جميع أولئك االصحابة على اختلاف في عددهم كما هو مشهور في كتب السير ، و وجد عليهم النبي صلى الله عليه و سلم و حزن حزنا شديدا فلما سنحت الفرصة أخذ بثأر أصحابه فكانت ....

غزوة بني لحيان .

و قد جاء من خبر غزوة بني لحيان ما رواه الإمام ابن إسحاق في سيرته حيث قال (١٦٢/٣) : ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ذا الحجة والمحرم وصفرا وشهري ربيع وخرج في جمادى الأولى على رأس ستة أشهر من فتح قريظة إلى بنى لحيان يطلب **بأصحاب الرجيع** : خبيب بن عدي وأصحابه و أظهر أنه يريد الشام ليصيب من القوم غرة فخرج من المدينة صلى الله عليه و سلم واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم فيما قال ابن هشام .

قال ابن إسحاق : فسلك على غراب جبل بناحية المدينة على طريقه إلى الشام ثم على مخيض ثم على البتراء ثم صفق ذات اليسار فخرج على بين ثم على صخيرات اليمام ثم استقام به الطريق على المحجة من طريق مكة فأغذ السير



سريعا حتى **نزل على غران** وهي منازل بنى لحيان **و غران : واد بين أمج وعسفان إلى بلد يقال له : ساية** ، فوجدهم قد حذروا و تمنعوا في رؤوس الجبال .

فلما نزلها رسول الله صلى الله عليه وسلم و أخطأه من غرتهم ما أراد ، قال : لو أنا هبطنا عسفان لرأى أهل مكة أنا قد جئنا مكة ، فخرج في مئتي راكب من أصحابه حتى نزل عسفان ، ثم بعث فارسين من أصحابه حتى بلغا كراع الغميم ثم كر و راح رسول الله صلى الله عليه وسلم قافلا .

فكان جابر بن عبد الله يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين وجه راجعا : آيبون تائبون إن شاء الله لربنا حامدون ، أعوذ بالله من وعثاء السفر ، وكآبة المنقلب وسوء المنظر في الاهل والمال .

و زعم الصالحي رحمه الله أن الصحابة حينما أحاط بهم بنو لحيان لجأوا إلى فدفد بوادي غران حيث قال في سبل الهدى و الرشاد (٦٥/٦) : فلما أحس بهم عاصم و أصحابه لجأوا إلى فدفد و في لفظ قردد بواد يقال له غران .

و هذا غريب تفرد به رحمه الله ، و الله أعلم بصحته !.

و يظهر أن بني لحيان قد نزحوا من وادي غران و فيدة على إثر هذه الغزوة و نزلوا ديارهم المعروفة اليوم حوالي مكة شرفها الله .

وبآخر الكتاب مرفق رسالتنا عن موقع سرية الرجيع فلتراجع لمن أراد الاستزادة .

وادي غران في عصر بني أمية .

و بعد انقضاء عصر النبوة و الخلافة الراشدة بسطت دولة بني أمية بن عبدشمس بن عبدمناف بن قصي بن كلاب يدها على الحجاز و ظهر في عهدهم شعراء فحول سارت بقصائدهم الركبان ، ككثير الملحي الخزاعي و نصيب الوداني والأحوص الأنصاري و جميل بثينة و غيرهم كثير .

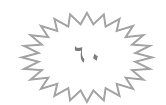
١- كثير الخزاعي (ت١٠٥) .

ساق المرزباني نسبه في معجمه فقال (ص٢١٦) : كثير بن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر بن عويمر بن مخلد بن سعيدة ابن سبيع بن خثعمة بن سعد بن مليح بن عمرو و هو خزاعة بن ربيعة بن عمرو مزيقيا بن عامر ماء السماء بن حارثة الغطريف بن امرئ القيس البطريق بن ثعلبة البهلول بن مازن بن الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان .

و قوله : خثعمة ، تصحيف لجعثمة ، و قد زعم الكلبي في نسب معد أن رهط كثير ليسوا من خزاعة و إنما من بني النمر بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة فقال (ص٦٩٠) : و هؤلاء بنو جعثمة بن النمر ، و ولد جعثمة بن النمر أمر مناة و سبيعا دخل في خزاعة يقولون : سبيع بن جعثمة بن سعد بن مليح بن عمرو بن ربيعة بن خزاعة .

و الله أعلم بصحة ذلك .

و لعل ذلك الذي دعاه للانتساب إلى الصلت بن مالك بن النضر بن كنانة كما هو مشهور في أخباره .



و قد يشتبه بنو جعثمة هؤلاء بجعثمة الأزد الذين ذكرهم ابن إسحاق في سيرته حيث قال (٥٧/١) : فولد كلاب بن مرة رجلين قصي بن كلاب و زهرة بن كلاب وأمهما فاطمة بنت سعد بن سيل أحد بني الجدرة من جعثمة الأزد من اليمن حلفاء في بني الديل ابن بكر بن عبد مناف بن كنانة .

و لوادي غران ذكر في شعر كثير مما يدل على اشتهاره في زمنه و عمرانه بالسكان ، فقد أورد له د. إحسان عباس في ديوان كثير قصيدة له يصف فيها غيثا فقال (ص٤٨٢) :

فَذَرْنِي وَلَكِنْ شَاقَنِي متغرّداً

أغرُّ الذُّرى صاتُ العشيّاتِ أوطفُ

خفيٌّ تعشّى في البحارِ ودونهُ

من اللّجِّ خُضْرٌ مُظْلِمَاتٌ وَسُدَّفُ

فما زالَ يستشري وما زلتُ ناصباً

لهُ بصري حتّى غدا يتعجرفُ

من البحرِ حمحامٌ صراحٌ غمامُهُ

إذا حَنَّ فيه رعدُهُ يتكشّفُ

إذا حَنَّ فيه الرَّعْدُ عَجَّ وأرْزمَتْ

لَهُ عُوَّذٌ مِنها مَطَافِيلُ عُكَّفُ

تربَّعُ أولاهُ على حجراتِهِ

جميعاً، وأخراهُ تنوبُ وتُردفُ

إذا استدبرتهُ الرّيـحُ كيْ تستخفَّهُ

تراجنَ ملحاحٌ إلى المكثِ مرجفُ

ثقيلُ الرَّحى واهي الكفاف دنا لهُ

ببيضِ الرُّبى ذو هيدبٍ متعصِّفُ

رَسَا **بغُرانٍ** واستدَارَتْ بِهِ الرَّحى

كما يستديرُ الزّاحف المتفيِّفُ

فَذَاكَ سقى أُمَّ الحُوَيْرِثِ مَاءَهُ

بحيثُ انتوتْ واهي الأسرَّة ِ مرزفُ

و قال في أخرى يرثي بها عبدالعزيز بن مروان (ص٣١٢) :

أَهاجَتكَ سَلمى أَم أَجَدَّ بُكورُها

وَحُفَّت بِأَنطاكِيّ رَقمٍ خُدورُها

عَلى هاجِراتِ الشَولِ قَد خَفَّ خَطرُها

وَأَسلَمَها لِلظاعِناتِ جُفورُها

قَوارِضُ حَضنَيْ بَطنِ يَنبُعَ غُدوَةً

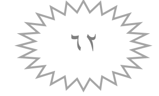
قَواصِدُ شَرقِيِّ العَناقينِ عيرُها

عَلى جِلَّةٍ كَالهَضبِ تَختالُ في البُرى

فَأَحمالُها مَقصورَةٌ وَكؤورُها

بُروكٌ بِأَعلى ذي البُلَيدِ كَأَنَّها

صَريمَةُ نخلٍ مُغطَئِلٌّ شَكيرُها



مِنَ الغُلبِ مِن عِضدانِ هامَةَ شُرِّبَت

لِسَقيٍ وَجَمَّت لِلنَواضِحِ بيرُها

غَدَت أُمُّ عَمرو وَاِستَقَلَّت خُدورُها

وَزالَت بِأَسدافٍ مِنَ اللَيلِ عيرُها

تَبَدَّت فَصادَتهُ عَشِيَّةَ بَينِها

وَقَد كُشِفَت مِنها لِبَينٍ سُتورُها

بِجيدٍ كَجيدِ الرِئمِ حالٍ تزينُهُ

غَدائِرُ مُستَرخي العِقاصِ يَصورُها

تَلوثُ إِزارَ الخَزِّ مِنها بِرَملَةٍ

رَداحٍ كَساها هائِلَ التُربِ مورُها

أَجَدَّت خُفوفاً مِن جَنوبِ كُنانَةٍ

إِلى وَجمَةٍ لَمّا اِسجَهَرَّت حَرورُها

وَمَرَّت عَلى التَقوى بِهِنَّ كَأَنَّها

سَفائِنُ بحرٍ طابَ فيها مَسيرُها

أَو الدَومُ مِن **وادي غُرانَ** تَرَوَّحَت

لَهُ الريحُ قَصراً شَمأَلٌ وَدَبورُها

نَظَرتُ وَقَد حالَت بَلاكِثُ دونَهُم

وَبُطنانُ وادي بِرمَةٍ وَظهورُها

إِلى ظُعنٍ بِالنَعفِ نَعفِ مَياسِرٍ

حَدَتها تَواليها وَمارَت صُدورُها

عَلَيهِنَّ لُعسٌ مِن ظِباء تَبالَةٍ

مُذَبذَبَةُ الخِرصانِ بادٍ نُحورُها

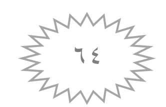
إلى آخر ما قال و هي قصيدة طويلة .

و لم يظهر لي وجه تعلق كثير الخزاعي بوادي غران و كثرة ذكره له في شعره حيث أن المؤرخين ممن ترجم له لم يذكر سكناه به أو تملكه فيه .

إلا أن الأصفهاني ذكر في ترجمة كثير أنه في مقتبل عمره اشترى له عمه ذودا من الإبل و أرسله معها لرعيها ، فلعله كان يكثر النزول بوادي غران حيث موارد المياه وافرة والمراعي الخصبة منتشرة في الربيع ، و ديار خزاعة حوالي غران خاصة أخوال كثير من بني كعب أهل قديد و أعلى أمج بساية ونواحيه ، و قد تقدم من كلام عرام ما يفيد ذلك وسيأتي مزيد أخبار في مبحث جمدان و الكديد .

٢- الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب (ت٩٥) .

و من أولئك الشعراء في عهد بني أمية : الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب اللهبي الهاشمي ، و يلقب بالأخضر لسمرة أتته من قبل جدته لأمه الحبشية ، و هو من فصحاء بني هاشم ، و يقال أنه أول هاشمي مدح بني أمية ، ترجم له الأصفهاني في كتابه الأغاني و ذكر من شعره و خبره إلا أن شعره الذي ذكر فيه وادي غران قد انفرد به الحموي في معجمه حيث قال :



تأمل خليلي هل ترى من ظعائن

بذي السرح أو **وادي غران** المصوّبِ

جزعن **غرانا** بعدما متع الضحى

على كل موار الملاط مذربِ

و علاقة اللهبي الهاشمي بوادي غران ظاهرة لأن قريشا تملكت عيونه كما سيأتي ، و ربما كانوا عمالا عليه من قبل ولاة الحجاز .

وادي غران في عهد الدولة الهاشمية العباسية .

و بعد سقوط الدولة الأموية على يد بني هاشم سنة ١٣٢هـ بسط العباسيون أيديهم على الحجاز بقوة و حزم و ازداد نفوذ قريش به ، و في تلك المدة أو قبلها بقليل و لد الإمام الراوية اللغوي البحر : عبدالملك بن فريب الأصمعي ، أحد أوعية اللغة في زمنه (ت٢١٦) .

و مما سطره العلماء في ترجمته و سيرته ما حكاه عنه البكري في معجمه أن الأصمعي سئل عن وادي غران فيما يظهر فأجابهم بأنه رآه و وصف موقعه حيث قال (ص٩٩٢) : وقال الأصمعي : هو ببلاد هذيل بعسفان ، وقد رأيته ، و أنشد لأبي جندب :

تخذت غران إثرهم دليلا

وفروا في الحجاز ليعجزوني

وقد عصبت أهل العرج منهم

بأهل صوائق إذ عصبوني قال

و لعله رآه أثناء زيارته للحجاز لأداء فريضة الحج فهو على طريقه ، خاصة و أن الكديد كان منزلة من منازل الطريق في زمنه ، و الكديد من وادي غران كما سيأتي .

و في آخر حياة الأصمعي ظهر الراوية البلداني المشهور عرام السلمي و تحدث عن الحجاز و تهائمه و جباله و أشجاره وسكانه ، و كان وادي غران حاضرا في مروياته خاصة في أعلاه مما يلي رهاط و مسيحة و قد تقدم شرح نصوصه فلا حاجة لتكراره .

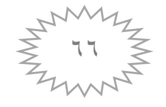
وادي غران في القرن الثالث الهجري .

و في أواخر القرن الثالث الهجري في عهد بني العباس زار الحجاز القاضي وكيع (ت٣٠٦) محمد بن خلف بن حيان وسجل مشاهدته عن وادي غران دون أن يصرح باسمه فقال في كتابه الطريق (ص٢١٩) : و بعدها بميلين (أي بعد عين الكديد مما يلي مكة) عين و نخل كثير و أبيات يسيرة على الطريق ، و أراك قبل عسفان بأرجح من ميل .

و لم يسم ملاك العين و النخيل و سكان القرية كعادته إلا أنه وقع تعيينهم عند البكري في معجمه حيث قال (ص٩٩٣) : غران ...... موضع بناحية عسفان ، ينزله بنو سراقة بن معتمر من بني عدي بن كعب ، و لهم بها أموال كثيرة .

و هذه العين تقع غربي قرية النزهة بجوار الطريق القديم بقليل مما يلي جسر غران في ما يعرف اليوم بأرض الأمير حيث دلني عليها الشيخ رحيم الصحفي من رواة النواجعة من الصحاف وبها آثار قصر خرب لم يبق منه سوى قواعده .

و هي على الطريق للمتجه من أمج إلى مكة كما قال القاضي رحمه الله ، و هي تبعد عن عسفان خمسة أميال ، ولعل ابن



سعد حينما وصف موقع غران في طبقاته في أحداث غزوة بني لحيان أرادها بعينها كما تقدم .

و أما بنو سراقة بن معتمر فهم : عبدالله و عمرو ، هكذا ذكر الزبير بن بكار في أخبار قريش .

و اختلف أهل النسب في عقب بني سراقة بن معتمر ، فقال ابن إسحاق عن عبدالله بن سراقة أنه مات و ليس له عقب حكاه عنه ابن سعد في الطبقات ، و ذكر الزبير بن بكار أن عمرا ليس له عقب ، و الصحيح ما ذكره الزبير بن بكار و لعله سهو وقع من ابن إسحاق و الله أعلم .

و بنو عبدالله بن سراقة بن معتمر رضي الله عنه من أهل الرياسة و الزعامة و كانوا متنفذين لدى الولاة بالحجاز .

منهم :

١- عبدالله بن عبدالله بن سراقة ، ذكر الزبير بن بكار في نسب قريش (ص٧٩٧) أنه تزوج زينب بنت عمر بن الخطاب فولدت له عثمان و حميدا و عثمة .

وقال الزبير : حدثني عثمان بن عبدالرحمن عن عبدالله بن عبدالعزيز بن عثمان السراقي قال : قال أبي : مات جدي وعمي سراقة فأوصيا إلى عمر بن الخطاب بابن عبدالله بن سراقة فجعله عمر بن الخطاب عند بنته زينب بنت عمر فلما بلغ الحلم قال له عمر : يا حبيبي هل تحب أن أزوجك من بناتي ؟ قال : أمي زينب – و كان يدعوها أمه – فقال له عمر : يا حبيبي إنها ليست أمك ، إنها ابنة عمك ، وقد زوجتك إياها فولدت له عثمان بن سراقة فهي أم كل سراقي على ظهر الأرض .

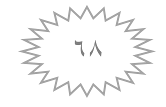
قلت : الذي مات هو عبدالله بن سراقة رضي الله عنه و ابنه سراقة ، و عليه يكون مدني الأصل و سيأتي تاريخ نزول ذريته بوادي غران ، و أما زينب فهي أصغر ولد عمر .

٢- عثمان بن عبدالله بن عبدالله بن سراقة ، أبو عبدالله المدني ، تابعي ثقة ، ترجم له الكلاباذي في الهداية و ذكر أنه كان واليا على مكة ، و توفي سنة ١١٨هـ ، و هو ابن ٨٣ سنة .

و ذكر الفاسي في العقد أن ولايته لمكة كانت في زمن خلافة عمر بن عبدالعزيز نقلا عن الفاكهي ، فهي إذا في آخر حياته .

و ذكر البلاذري من شأنه فقال : و قال أبو اليقظان كان عثمان بن عبدالله بن سراقة مع الحجاج فقطع الأعراب الطريق فبعثه إليهم فكان يأخذهم فيعذبهم بالنار .

و ذكر الزبير بن بكار ما يقتضي أنه كان يخوفهم و يزجرهم بها و ليس كما زعم أبو اليقظان حيث أورد في نسب قريش أنه أصلح بين بني جعفر بن كلاب و الضباب في حرب وقعت بينهم فقال (ص٨٣٥) : و حدثني عمي مصعب بن عبد الله قال : وقعت حرب بين بني جعفر بن كلاب والضباب كادوا يتفانون فيها قتل فيها منهم سبعة وثلاثون قتيلا ، فأرسل إليهم عثمان بن عبد الله بن سراقة فدعاهم إلى الصلح فأبوا فأمر بحظيرة فعملت وجلبهم وأنعامهم فأدخلهم الحظيرة وقال : إنكم لأهل أن تحرقوا إنكم لتقطعون أرحامكم وتسافكون دماءكم وأمر بنار فأشعلت في الحظيرة فجعلت النار تأكل الحطب وتحوشهم حتى صاروا في جانبها فصاحوا : نحن نصطلح فقال : من أطفأ النار في الحظيرة فله درهم فوثب الناس من كل جانب فأطفئوا النار واصطلح القوم بذلك السبب .



قلت : و هذا هو الظن به رحمه الله ، و الله أعلم .

و من ولد عثمان هذا عبدالعزيز والد عبدالله المذكور في إسناد الزبير الآنف و عبدالرحمن والد أيوب الآتي ذكره و الزبير نص عليه السمعاني في أنسابه و عبدالله الذي يكنى به .

٣- الزبير بن عثمان ، ترجم له الإمام البخاري في الكبير فقال : الزبير بن عثمان بن عبد الله بن سراقة السراقي ، من بني عدي بن كعب القرشي ، قتل سنة ثلاثين ، أو إحدى وثلاثين ومئة .

قلت : و لعله قتل في فتنة أبي حمزة الخارجي .

٤- أيوب بن عبدالرحمن بن عثمان السراقي ، ذكر الزبير أنه من وجوه قريش ، ولي الشرط بالمدينة .

و ذكر البلاذري عن الكلبي ما يقتضي أنه التحق بأبي حمزة الخارجي فقال في أنساب الأشراف (٤٧٥/١٠) : و قال الكلبي من ولد سراقة زائدة بن عبدالرحمن بن عثمان بن عبدالله بن سراقة ولي شرطة المدينة ، وكان أخوه أيوب مع الخوارج .

فكما يظهر من تراجم بني سراقة بن معتمر أنهم أسرة غنية ومتنفذة في الحجاز لذلك نراهم تملكوا عيون الحجاز كغيرهم من قريش من أبناء الصحابة و تقلدوا المناصب الإدارية والقضاء و الشرط ، و قد ذكر الطبري في تاريخه (٥٧٥/٧) عند حديثه عن خروج النفس الزكية سنة ١٤٥هـ أن السري العباسي أمير مكة خرج منها وأناب أحد بني سراقة فقال : قال وحدثني يعقوب بن القاسم قال حدثني الغمر بن حمزة ابن أبي رملة مولى العباس بن عبد المطلب قال لما أخذ الحسن بن معاوية مكة وفر السرى بلغ الخبر أبا جعفر فقال لهفي على ابن أبي العضل قال وحدثني ابن أبي مساور بن عبد الله بن مساور مولى بن نائلة من بنى عبد الله بن معيص قال

كنت بمكة مع السرى بن عبد الله فقدم عليه الحسن بن معاوية قبل مخرج محمد والسري يومئذ بالطائف وخليفته بمكة ابن سراقة من بنى عدى بن كعب قال فاستعدى عتبة بن أبي خداش اللهبي على الحسن بن معاوية في دين عليه فحبسه فكتب له السرى إلى ابن أبي خداش أما بعد فقد أخطأت حظك وساء نظرك لنفسك حين تحبس ابن معاوية وإنما أصبت المال من أخيه وكتب إلى ابن سراقة يأمره بتخليته وكتب إلى ابن معاوية يأمره بالمقام إلى أن يقدم فيقضى عنه قال فلم يلبث أن ظهر محمد فشخص إليه الحسن بن معاوية عاملا على مكة .

و الأظهر أن الذين نزلوه منهم و تملكوا به من غير من ذكر في التراجم السابقة كأبناء حميد و عثمة و غيرهم ، و لعلهم نزلوا بوادي غران بعد فتنة طالب الحق سنة ١٣٠ هـ ليبتعدوا عن الأنظار قليلا خاصة و مثل هذه الفتن تؤدي للنفور منهم وعدم الثقة فيهم و بالتالي يفقدون وجاهتهم و لا يسند إليهم من الأعمال الإدارية كسابق عهدهم فيؤدي لضعف مداخيلهم و مصدر مهم من مصادر ثرائهم ، ولا يعلم تاريخ نزوحهم عنه إلا أنه قد يكون في زمن اندثار أمج كما سيأتي إن شاء الله ، و الله أعلم .

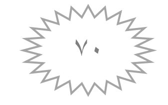
و في أواخر القرن الثالث الهجري روى الهجري في النوادر أبياتا نسبها لامرأة زهيرية من زهير جشم فقال (١٥٤٩) :

حننت لذكرى من جمال و قومها

لنعلم في الأيام ما كان حالها

كما حن للألاف نضو أصابه

هيام غران بين حمر قفالها



وادي غران في عهد الأشراف القتادات .

و في آخر حكم بني هاشم العباسيين و تحديدا في سنة ٥٩٧هـ ظهر بالحجاز الشريف قتادة بن مطاعن فاستولى على حكم مكة ، فأقطع بنيه ولاية خليص (أمج سابقا) ، و كان في زمنه أو ربما قبله ، من يسيطر على خليص يسيطر على غران لاتصالهما ببعض مما يلي طريق القوافل و هو أخطر موضع في الواديين .

و استمرت سيطرة الأشراف القتادات على ولاية خليص إلى بداية القرن التاسع حيث ذكر القلقشندي ما يقتضي تحول ملكية خليص و غران إلى قبيلة بني جابر عرب من القحطانية هكذا نسبهم جار الله بن فهد في حسن القرى ثم بعدهم بمدة يسيرة سيطرت قبيلة بني بشر من حرب على المنطقة كما حكاه المقريزي ، ثم استولت عليها قبيلة زبيد من حرب سنة ٨٧٣هـ تقريبا كما حققناه في كتابنا مدرج عثمان إلى يوم الناس هذا .

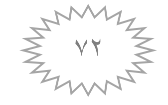
و هناك أخبار ووقائع تخللت هذا السرد سيأتي بيانها في تاريخ أمج إن شاء الله تعالى .

و مما يذكر في تاريخ وادي غران في بداية عهد الأشراف القتادات ما أورده مؤرخ مكة الفاسي رحمه الله عن خبر تولية حسن بن عجلان بن رميثة بن أبي نمي بن أبي سعد حسن بن علي بن قتادة إمرة مكة بعد مقتل أخيه علي فقال : ووصل الخبر بولايته إلى مكة ، فى أثناء العشر الأخير من ذى القعدة. وقام بخدمة الحاج أخوه محمد بن عجلان وكان بالبلد من حين قتل علىّ و وقع فى هذا الموسم فتنة فى يوم التروية نهبت فيها للحاج أموال كثيرة وطمع الحرامية فى الحجاج فنهبوهم بطريق عرفة وكان معظم النّهب بالمأزمين مأزمى

عرفة ويسميها أهل مكة المضيق ورحل الحاج أجمع فى هذه السنة يوم النفر الأول وما توجه السيد حسن من مصر إلا بعد وصول الحاج إليها بأيام نحو نصف شهر وتوجه معه بجماعة من الترك قيل إنهم مائة وثلاثون وقيل سبعون ومعه من الخيل تسعون بتقديم التاء وغير ذلك مما يحتاج إليه ويتجمّل به ولما انتهى إلى ينبع طالب أميرها وبير بن مخبار بما أنعم به عليه السلطان عنده لأن السلطان كان بعث قمحا للبيع إلى ينبع فاستولى عليه وبير ثم أنعم به السلطان على السيد حسن فتوقف وبير فى تسليم ذلك إليه فأمر حسن غلمانه بلبس السلاح والتهيؤ للقتال فلما عرف ذلك وبير أرضاه بخمسة وثلاثين ألف درهم ورحل عنه حسن إلى مكة وأمر أخاه محمد وأصحابه بلقائه فاجتمعوا قريبا من ثنيّة عسفان أو السويق وكان الأشراف لما سمعوا بإقبال حسن إلى مكة وخروج محمد ومن معه منها للقائه رحلوا من عسفان إلى **غران إلى شق طريق الماشى** فطلب حسن الأشراف يوما وليلة فلم يلحقهم لارتفاعهم فى الحرار وأمر علىّ بن كبيش أن يخرج من مكة بجماعة من أهلها إلى خيف بنى شديد ليقطعوا بها نخيلا للأشراف ففعل ذلك ثم أشير عليه بالإعراض عن ذلك فترك وانتهى إلى بئر شميس وأقام بها عشرا ثم دخل مكة **فى يوم السبت الرابع والعشرين من ربيع الآخر سنة ثمان وتسعين وسبعمائة** فلبس الخلعة وقرئ عهده بالولاية وطاف بالبيت وأقام بها إلى أثناء ليلة الأحد.. انتهى كلامه رحمه الله .

و قوله : طريق الماشي يفيد بأنهم ساروا مع الوادي إلى البرزة لأن طريق الماشي يمر بها .

و طريق الماشي : هو درب يطرقه الزوار مشيا من مكة للمدينة ، يمر بمر الظهران ثم هدى الشام (الهدة) ثم البرزة



ثم الخوار و يقال ساية ثم ستارة ثم حجر و وادي الفرع إلى النقيع ثم أبيار الماشي بالقرب من المدينة .

و البرزة في تلك المدة بيد قبيلة معبد و سلول كما تقدم من خبر القلقشندي في مبحث وصف مساقط مياه وادي غران .

و أما غران مما يلي أمج (خليص) فعلى الأظهر لا يزال تحت سيطرة و نفوذ الأشراف ذوي قتادة في تلك المدة .

و سيأتي مفصلا في تاريخ خليص إن شاء الله تعالى .

و بعد وفاة الشريف حسن بن عجلان آل حكم مكة شرفها الله إلى الشريف بركات بن حسن بن عجلان ، فنازعه في الحكم سنة ٨٣١هـ أخواه أبو القاسم و إبراهيم ، فاستعد لهما و سار بجيش من مكة للقائهما إلا أنه لم يحصل قتال بينهم كما حكاه ابن فهد في اتحافه حيث قال (٣٨/٤) : و أما خبر السيد بركات فإنه توجه من عسفان إلى أن طلع إلى **غران** فسمع به السيد إبراهيم و من معه فلم يقفوا للعسكر و هربوا و طلعوا إلى ساية و حورة و مكث بها أياما يسيرة ثم توجه إلى المضيق فآواه أهل المضيق عاترة و نباته و أضافوه و أظهروا له المساعدة .

وعسفان و غران في تلك المدة قد نزل بهما بنو بشر من حرب كما سيأتي في سنة ٨١٦هـ .

و أما عاترة و نباتة فمن هذيل أهل المضيق .

ثم بعد وفاة الشريف بركات آل الحكم لولده الشريف محمد فعصى عليه أحد مواليه و يدعى : القائد بديد بن شكر الحسني نسبة لمولاه الشريف حسن بن عجلان ، ترجم له ابن فهد في الدر الكمين فقال : بديد - واسمه أحمد - بن شكر

عتيق السيد حسن بن عجلان والده وزير السيد بركات وولده محمد والد محمد الماضي وأخو سيف وعلي الآتيين ووالدهما العابد شهاب الدين ولد في سنة سبع وثمانمائة ويقال : في سنة تسع بمكة المشرفة ونشأ بها وخدم السيد بركات بن حسن من صغره ، واختص به بعد الثلاثين وكثر إقباله عليه لوفور رأيه وشهامته وكفايته ولما رأى فيه من الأمانة والصدق والمروءة والعقل والأدب ودخل معه في أمور خاصة لم يدخلها غيره وقطع عليه بأشياء بغير مشاورة فأمضاها له فكثر اعتباره عند الناس لذلك واستفاد نقدًا وعقارًا وإبلاً وغير ذلك وفيه مروءة وتواضع ولما مات السيد بركات كان القائم بأعباء ولاية ولده السيد محمد بن بركات ولم يكن له معه من الأمر شيء وكان يخلع عليه معه في بعض الأوقات ثم وشى الواشون بينهم في أواخر سنة أربع وستين فخرج نافرًا عن طاعة السيد محمد **ونزل عند طائفة من عرب بشر بموضع يقال له اليربوع** وكان الشريف محمد بمكة ، فلما سمع به توجه لجدة وأرسل لإبل القائد بديد باليمن وأخذها وهي ألف وثمانمائة ناقة الثمن لها ستة وثلاثون ألفًا عن كل ناقة عشرون دينارًا واستولى أيضًا هو والأمير جانبك على بعض حواصله وحواصل أصحابه ثم خرج إليه الشريف في عسكر كبير وقد عاد إليه جماعة ممن كان مع بديد ونزل بموضع يقال له قوس بقرب جدة وراسل بديد أن يرسل له ما عنده له من الخيل والزانة فأجاب بشرط أن يرد عليه إبله ويؤمنه على نفسه وماله فلم يجبه إلى شيء وأحب أن يناجزه ويصبحه فأحس بديد بذلك فرحل بمن بقي معه **إلى موضع بالقرب من خليص يقال له غران** ثم عاد الشريف إلى الركاني وأرسل إليه بديد أن يدفع إليه جميع ما عنده من الخيل والزانة وأن جميع ما صار إليه من المال والإبل له وأنه يؤمنه على ما بقي ولا يتعرض للفحص عن

ذلك ويأمره أن يقيم حيث ما أحب الشريف وأن يكون الواسطة الشيخ عبد الكبير فتوجه إليه هو ونائب القاضي الشافعي جمال الدين بن نجم الدين واجتمعا به بدغيم - موضع بالقرب من جدة - ولاماه على فعله فاعتذر بما سمع وحلفاه على الطاعة وكتب عليه مكتتب بذلك كتب فيه خطه هو وولده وصهره أحمد بن قفيف وتوجه إلى صوب اليمن وأقام به ثم اصطلحا في جمادى الآخرة سنة سبع وستين فدخل مكة وأقام بها إلى أن مات في أول ليلة السبت سابع جمادى الأولى سنة تسع وستين وثمانمائة بوادي الآبار وحمل إلى مكة على أعناق الرجال فوصلها في آخر ليله وغسل وصلي عليه صبح ليلته عند باب الكعبة ودفن بالمعلاة .

ففي هذا الخبر ظهر دور قبيلة بني بشر الإداري و أكد ما ذكرناه ، و نزول القايد بديد في غران أي عند قبيلة بشر أيضا لأنهم أصحاب الدرك (درك خليص) كما سيأتي و أما اليربوع فلا أعرفه .

و يظهر في هذا الخبر أيضا ثراء هؤلاء الموالي و الذي اكتسبوه من خدمة أسيادهم و كان ولاة الحجاز من القتادات يسندون إلى بعض هؤلاء القواد حكم المخاليف الصغيرة أو ما يسمى اليوم بالمحافظات ، إضافة إلى كونهم وزراء و جباة .

و إلى هنا ينقضي الحديث عن وادي غران و سنستكمله في مبحث تاريخ خليص لاتصاله به و تعلق أخباره بالأخير أكثر منه .

و يلحق بتاريخ وادي غران تاريخ الكديد فهو جزء منه يقبع في أسفله مما يلي أمج إلا أنه استقل في الذكر عنه كونه منزلة من منازل الطريق ، فقد يظنه من لا معرفة له بالمنطقة موضعا بعيدا عنه .

و الكلام عنه كالتالي :

المبحث الثاني : الكَدِيد .

الكَدِيد من أهم المعالم البلدانيّة بالحجاز و أشهرها ذكرا في بطون الكتب ، فذكره يفوق ذكر أمج و جمدان و لفت وغران بل لو قال قائل أنه مساو لعسفان و الجحفة و بدر لكان لقوله وجه ، فقلما تجد مُصَنفا في الفنون الشرعية إلا و يذكره لتعلقه بالمغازي و السيرة النبوية حيث ورد ذكره في أعظم الفتوحات الإسلامية و هو فتح مكة ، و له ذكر في المطولات الفقهية في أبواب الصيام خاصة كمن دخل عليه رمضان ثم سافر أو سافر و هو صائم فهل يجوز له الفطر و إلى غير ذلك من المسائل المتعلقة بذلك الحديث ، و له متعلق بكتب الأدب و الأخبار في قصة فارس مضر المشهور ربيعة بن مكدم الكناني ، بل حتى علماء اللغة و الصرف احتفلوا به واستشهدوا بأخباره كقول الصحابي الجهني : عشيشية التي وردت في بعض طرق سرية غالب الليثي .

و تكمن أهميته بالإضافة لما سبق كونه محطة من محطات طريق القوافل و التجارة في الجاهلية و صدر الإسلام ، حيث ذُكر بأنه ماء ، و بعضهم وصفه بأنه عين كما سيأتي .

وأما تعلقه بوادي أمج فظاهر جدا ، فهو واقع بجهته الجنوبية مما يلي مكة ، بحيث أنه لا يذكر إلا معه عند وصفه و تحديد مكانه ، لذلك قررنا إلحاقه به في الحديث حتى يتصور القارئ شكل المنطقة ومحيطها بالكامل .

و قد ذكرته في كتابي مدرج عثمان باقتضاب لتعلقه بوادي غران فهو واقع به ، و لم أتوسع في الحديث عنه لاستعجال إخراجه ، و لعلي أوفيه بعض حقه في هذا المبحث .

المطلب الأول : ضبط رسمه و لفظه .

اعتنى العلماء من المحدثين و الفقهاء و البلدانيين بضبط لفظ الكديد و رسمه أيما عناية ، بحيث يصعب حصر ذلك وعده ، و سنورد جملة من أقوالهم تظهر صحة ذلك الزعم .

قال البكري في معجمه (ص١١١٩) : الكديد : بفتح أوله وكسر ثانيه بعده دال وياء مهملة أيضاً .

و قال القاضي عياض في مشارق الأنوار (١٤٦/٣) : الكديد : بفتح الكاف و دالين مهملتين أولاهما ساكنة ، ما بين قديد وعسفان على اثنتين و أربعين ميلا من مكة .

و قال الكرماني في الكواكب الدراري (١٢٩/١٦) : الكديد : بفتح الكاف وكسر المهملة الأولى .

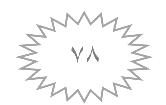
و قال ابن الملقن في التوضيح (٣٣٢/١٣) : الكَديد : بفتح الكاف ، ثم دال مهملة ، ثم مثناة تحت ، ثم دال مهملة .

و قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٤٠٦/٦) : الكديد بفتح الكاف وكسر الدال المهملة .

و قال السيوطي في تنوير الحوالك (٢٧٥/١) : الكديد بفتح الْكَاف وَكسر الدَّال الْمُهْملَة مَكَان بَين عسفان وقديد .

و قال الصالحي في سبل الهدى (٢١٨/٦) : الكديد : بفتح الكاف وكسر الدال المهملة فتحتية ساكنة فدال مهملة .

و قال الزرقاني في شرح المواهب (٣٣٢/٣) : (بالكديد بفتح الكاف) وكسر الدال المهملة وسكون التحتية آخره دال مهملة .



وفي هذا القدر كفاية في إظهار عناية أهل العلم به و بتحرير رسمه و ضبط لفظه ، و هذا الضبط يكاد يجمع عليه أهل التحقيق و الإتقان خاصة حفاظ الحديث الذين تلقوه بالسماع جيلا بعد جيل ، و عامة أهل العلم ممن وقفت على كتبهم ضبطوه بفتح أوله ، إلا ما حكاه الحموي و من تابعه بأن في ضبط لفظه روايتين حيث قال في معجم البلدان (٤٤٢/٤) : الكديد : فيه روايتان رفع أوله وكسر ثانيه و ياء وآخره دال أخرى ، وهو التراب الدقاق المركل بالقوائم ، وقيل الكديد ما غلظ من الأرض ، و قال أبو عبيدة : الكديد من الأرض خلق الأودية أو أوسع منها ، و يقال فيه الكديد تصغيره تصغير الترخيم و هو موضع بالحجاز .

والأظهر أنه تصحيف وقع من الناسخ .

قال المحدث الكاندهلوي في أوجز المسالك (١٠٦/٥) : وقال ياقوت الحموي فيه روايتان رفع أوله كذا في الأصل و الظاهر أنه تصحيف من الناسخ و الصواب فتح أوله .

و هو كما فال رحمه الله ، و يؤكد صحة ذلك :

١- أن البقاعي اعتمده في تلخيصه للمعجم حيث قال (ص١٥١٢) : قيل بالفتح و بالكسر و آخره دال أخرى موضع بالحجاز على اثنين و أربعين ميلا من مكة بين عسفان و أمج .

٢- وكذلك المعاني التي ساقها الحموي للكديد ذكرها أهل اللغة للمضبوط بفتح أوله و ليس برفعه .

٣- أنه ذكر في آخر كلامه : و يقال فيه الكديد تصغيره تصغير الترخيم .

فدل على أن كلامه في أول الوصف قد صُحّف .

ومما يستدرك هاهنا أيضا ما جاء في تاج العروس حيث قال الزبيدي (٧/٩٨) : قلت : والذي في مُعجَم البكري : الكُدَيْد مُصغَّراً هكذا ضبطه بين مكَّة والمَدِينة بَيْنَ ثَنِيَّةِ غَزَالٍ وأَمَجَ وأَمَّا بفتح الكاف وكَسر الدال ماءٌ لبني ثَعْلَبَةَ بنِ سْعدِ بن ذُبْيَانَ بِرَحْرَحَانَ .

وهذا سهو وقع منه بلا شك ، وإنما هو من كلام نصر الإسكندري في كتابه الأمكنة (٤١٥/٢) ، وأما البكري فقد مر معنا كلامه مصدرا في أول المطلب ، و ضبطه بفتح أوله لا بالتصغير فليراجع .

و قبل أن أختم هذا المبحث أشير إلى أني تابعت الحموي في كتابي مدرج عثمان و ضبطته مصغرا ، و لم أتحقق من نقله كما نصنع هاهنا و ذلك لثقتي به و الاستعجال الذي صاحب إخراج الكتاب و ها أنا ذا أصلح الخطأ و أقر به و الله المستعان في كل حال .

المطلب الثاني : أصل معناه و اشتقاقه .

كَدِيد : فعيل بمعنى مفعول ، هكذا جزم به ابن الأثير في النهاية حيث قال (١٥٥/٤) : الكديد : التراب الناعم فإذا وطيء ثار غباره ، أراد أنهم كانوا جماعة وأن الغبار كان يثور من مشيهم و كديد : فعيل بمعنى مفعول .

و فسره ابن فارس به حيث قال في مقاييس اللغة (١٢٥/٥) : (كد) الكاف والدال أصل صحيح يدل على شدة وصلابة من ذلك الكَديد : وهو التراب الدقيق **المكدود** المركل بالقوائم .

و جمع الأزهري أصول المرويات في معناه حيث قال في تهذيب اللغة (٤٣٦/٩) : والكديد : موضع بالحجاز .

و الكديد : التُّراب الدِّقاق المُركَّل بالقوائم . وقال امرؤ القيس :

مِسح إذا ما السانحاتُ على الوَنَى

أثَرْن الغُبارَ بالكديد المركَّلِ

ثعلب عن ابن الأعرابيّ : الكَديد : صوتُ المِلح الجَريش إذا صُبَّ بعضُه على بعض. والكديد : ترابُ الْحَلْبَة .

وقال شمر : الكَدِيد : ما غَلُظ من الأرض .

قال : و قال أبو عبيدة : الكديد من الأرض : البطنُ الواسع خُلِقَ خَلْقَ الأودية أو أوسع منها .

وجل هذه المعاني منطبقة عليه فترابه كما ذكر الأزهري وموقعه في أوسع مكان من مسيل وادي غران كما وصفه أبو عبيدة ، والله أعلم .

المطلب الثالث : موقعه و مكانه .

اختلفت أقوال أهل العلم في وصف موقع الكديد و تحديد مكانه على قولين ، **و مع هذا الاختلاف فإن كلا القولين صحيح إن شاء الله تعالى** ، إلا أن أحدهما أدق من الآخر .

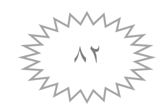
و قد جاءت هذه الأوصاف في حديث واحد و هو حديث خروج النبي صلى الله عليه و سلم لفتح مكة في رمضان ، وكلا القولين ينسبان للصحابي الجليل عبدالله بن عباس .

الرواية الأول :

قال الإمام البخاري في صحيحه (٤٢٧٦) : حدثني محمود أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا معمر قال أخبرني الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس رضي الله عنهما : أن النبي صلى الله عليه و سلم خرج في رمضان من المدينة ومعه عشرة آلاف وذلك على رأس ثمان سنين ونصف في مقدمه المدينة فسار هو من معه من المسلمين إلى مكة يصوم يصومون حتى بلغ **الكديد وهو ماء بين عسفان وقديد** أفطر و أفطروا .

الرواية الثاني :

قال ابن هشام في تهذيبه (٢٢/٤) : قال ابن إسحاق و حدثني محمد بن شهاب الزهري عن عبيدالله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود عن عبدالله بن عباس قال : ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لسفره و استخلف على المدينة أبا رهم كلثوم بن حصين بن عتبة بن خلف الغفاري و خرج لعشر مضين من رمضان فصام رسول الله صلى الله عليه وسلم وصام الناس معه حتى إذا كان **بالكديد بين عسفان و أمج** أفطر .



و كما قدمنا أن كلا القولين صحيح ، و أما تحقيق أدق الأقوال منهما فهو كالتالي :

اتفقت الروايتان على ذكر عسفان ، و إنما حصل الخلاف على الجهة الشمالية للكديد مما يلي المدينة ، و لا شك أن أمجا أقرب إلى الكديد من قديد ، و عليه يترجح القول بأن وصف موقع الكديد من طريق ابن إسحاق هو الأدق ، و الله أعلم .

و قد اختار هذا القول أبو عبيد البكري إمام هذا الفن حيث قال في معجمه : الكديد : ... **موضع بين مكة والمدينة بين منزلتي أمج وعسفان و هو ماء عين** جارية عليها نخل كثير لابن محرز المكي .

و تابعه الحميري في الروض حيث قال : الكديد : بفتح أوله وكسر ثانيه ، موضع بين مكة والمدينة بين منزلتي أمج وعسفان ، وهو ماء عين جارية عليها نخل كثير .

و أما حفاظ الحديث و شراحه فقد اختاروا الوصف المروي في الصحيح ، متابعة للإمام البخاري ، و قد تقدم أن كلا القولين صحيح ، و إنما الفرق في الدقة .

قال القاضي عياض في المعلم (٦٤/٤) : الكديد : عين جارية عليها نخل ، على اثنين وأربعين من مكة ، وعسفان : قرية جامعة بها منبر ، على ستة وثلاثين ميلاً من مكة ، والكديد ما بينها و بين قُديد .

فيلاحظ أن القاضي نقل وصف البكري عدا قوله بين أمج وعسفان ، متابعة للحديث الذي يشرحه .

وقال النووي في شرح مسلم (٢٣٠/٧) : و الكديد : عين جارية بينها و بين المدينة سبع مراحل أو نحوها و بينها و بين مكة قريب من مرحلتين و هي أقرب إلى المدينة من عسفان .

ثم ذكر النووي كلام القاضي عياض مستشهدا به إلا المسافة بين عسفان و مكة فقد تعقبه فيها حيث قال : هذا كلام القاضي وهو كما قال إلا في مسافة عسفان فإن المشهور أنها على أربعة برد من مكة و كل بريد أربعة فراسخ و كل فرسخ ثلاثة أميال فالجملة ثمانية وأربعون ميلا هذا هو الصواب المعروف الذي قاله الجمهور .

قلت : و هو كما قال ، و ينبغي أن يعلم القارئ أن هذا التعقب له مألات و يترتب عليه أحكام ، كقصر الصلاة من مكة إلى عسفان ، و مسافة حاضري المسجد الحرام ، و غير ذلك .

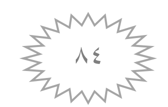
هذه أقوال شراح مسلم و المعول عليهم بعد ذلك و تركنا الأسماء الأخرى خشية الإطالة .

نأتي لوصف شراح صحيح البخاري ، و سنكتفي بالأشهر منهم و المعول عليهم فيما بعد .

الحافظ الكرماني في الكواكب الدراري حيث قال (١١٦/٩) : الكديد : بفتح الكاف وكسر المهملة الأولى عين جارية بينهما وبين مكة قريب من مرحلتين .

ويظهر هنا متابعته للنووي في ذكر المراحل بين عسفان ومكة مع بعض الاختصار .

الحافظ ابن الملقن في التوضيح حيث قال : الكديد .... بينه وبين المدينة سبع مراحل أو نحوها ، وبينه وبين مكة نحو مرحلتين ، وهو أقرب إلى المدينة من عسفان ، قال أبو عبيد :



بينه وبين عسفان ستة أميال ، وعسفان على أربعة برد من مكة ، وبالكديد عين جارية بها نخل كثير . و في البخاري كما سلف : و الكَدِيد مَاء بين عُسفان وقُديد . و رواه بعد : حتَى بلغ عسفان . قال عبد الملك : والكَديد : العقبة المطلة على الجحفة ، وذكر صاحب المطالع أن بين الكديد ومكة اثنين وأربعين ميلًا ، وكذا قاله قبله القاضي عياض .

فالحافظ ابن الملقن هاهنا جمع لك أقوال من سبقه و حاول التأليف بينها مع بعض الاختصار ليزيد من وضوح الوصف وليس تقميشا كما قد يُتوهم .

الحافظ ابن حجر في الفتح (٤٠٦/٦) حيث قال : (قوله فلما بلغ الكديد) بفتح الكاف وكسر الدال المهملة مكان معروف وقع تفسيره في نفس الحديث بأنه بين عسفان وقديد .... إلى أن قال : لان الكديد أقرب إلى المدينة من عسفان وبين الكديد و مكة مرحلتان قال البكري هو بين أمج بفتحتين وجيم و عسفان و هو ماء عليه نخل كثير .

فجمع الحافظ بين القولين كصنيع شيخه ابن الملقن لزيادة الإيضاح في الوصف .

و أما شراح الموطأ فلم أجد لديهم تحريرا شافيا في المسألة إلا الزرقاني و هو متأخر و سنورد كلامه في شرح المواهب اللدنية لأنه أتم ، و أما المتقدمون فكانت عنايتهم منصبة في المباحث الحديثية و الفقهية كابن عبدالبر و الباجي و غيرهم .

و أما شراح السيرة و المصنفون فيها فكثر ، و سنورد نقول المعتنين منهم بشرح غريبها و تهذيب نصوصها .

قال الصالحي في سبل الهدى و الرشاد (٤٢٠/٥) : الكديد بفتح الكاف ، وكسر الدال المهملة الأولى ، بعدها تحتية فدال مهملة : موضع بين مكة والمدينة بين منزلتي أمج وعسفان ، وهو اسم ماء ، وهو أقرب إلى مكة من عسفان .

و قوله و هو أقرب إلى مكة من عسفان ، سبق قلم و صوابه : و هو أقرب إلى المدينة من عسفان . كما تقدم عند النووي .

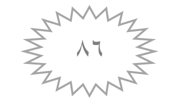
و قال الزرقاني في شرحه للمواهب (٣٩٧/٣) : و لما بلغ صلى الله عليه وسلم (الكديد) بفتح الكاف وكسر الدال المهملة الأولى فتحتية فمهملة (الماء الذي بين قديد) بضم القاف وفتح الدال بلفظ التصغير قرية جامعة قرب مكة (وعسفان) بضم العين وسكون السين المهملتين و بفاء و نون ، قرية جامعة على ثلاثة مراحل من مكة ، و الكديد أقرب إليها من عسفان ، وهو على اثنين وسبعين ميلا من مكة ، وهذا تعيين للمسافة .

و قول ابن عباس : ماء . تعيين للمحل فلا تنافي .

وفي رواية ابن إسحاق بين عسفان و أمج بفتح الهمزة و الميم وجيم خفيفة اسم واد .

فهذا شرح يدل على اتقانه رحمه الله حيث جمع بين القولين و صنيعه أنه لا منافاة بينهما ، و هو كما قال عدا قوله اثنتين وسبعين ميلا من مكة ولعله تصحيف و الله أعلم .

و قبل أن نختم هذا المبحث نشير إلى أنه يوجد بنواحي المدينة موضع يسمى الكَديد أيضا ، و له شهرة في الحوادث وذكره البلدانيّون في مصنفاتهم ، و قد نبه عليه العلامة السمهودي في تاريخه وفاء الوفاء حيث قال (ص١٢٩٥) : الكديد : بالفتح ودالين مهملتين بينهما مثناة تحت ساكنة واد



قرب النخيل يقطعه الطريق من فيد إلى المدينة ، على ميل منه مسجد تقدم ، وقال بعضهم : هو قرب نخل والمعروف اليوم ما سبق . والكديد أيضا : عين بعد خليص بثمانية أميال لجهة مكة يمنة الطريق .

ويلاحظ ذكره لخليص في زمنه و ذلك لاندثار أمج فلم يعد يُعرف منذ وقت مبكر و كذلك وضوح حدود مسمى خليص عنده فلم يخلطه مع غيره كما يُفعل في زماننا هذا .

المطلب الرابع : الكَديد في الأحاديث و الأخبار .

أقدم خبر يصلنا عن الكديد هو : **يوم الكديد** ، تلك المعركة المشهورة بين قبيلة سُليم (عوف و خفاف) و قبيلة بني فراس من كنانة ، و التي وقعت أحداثها قبيل البعثة بقليل ، و قد تحدثتُ عنها في كتابي مدرج عثمان و لكن كان معتمدي في النقل على المعاصرين ، و في هذا المبحث سنحاول أن نستقصي الخبر من مصادره الأصلية فهي الأَولى بالنقل عنها لاستيعابها و شمولها ، مع بعض الشرح إن تيسر .

قال أبو الفرج الأصفهاني في الأغاني (٤٠/١٦) : أخبار مقتل ربيعة بن مكدّم و نسبه .

و هذا الشعر قيل في قتل ربيعة بن مكدم بن عامر بن حرثان بن جذيمة بن علقمة بن جذل الطعان بن فراس بن عثمان بن ثعلبة بن مالك بن كنانة أحد فرسان مضر المعدودين وشجعانهم المشهورين قتله نُبيشة بن حبيب السلمي في يوم الكديد .

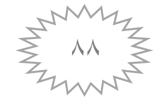
قلت : و قد دُفن ربيعة بن مكدم بثنية غزال نص على ذلك أبو البقاء الحلي في المناقب المزيدية حيث قال (٢٠١/١) : وقد رووا أنهم لا يعلمون فارسا حمى الظعائن حيا وميتاً غيره فإنه قاتل وحده دونهن بثنية غزال حتى أطالعهن الثنية وفيه يقول رجل من قومه :

ومنا **بالثنية من غزال**

فتى منع الظعان إن تراما

يكر ويعتزي ذمار قوم

كما ثب القطامي الحماما



و يقال : أنه دفن بثنية لفت و لكن الأول أرجح ، و ستأتي بعض القرائن المؤيدة لذلك .

و قال الأصفهاني : وكان السبب في ذلك فيما ذكره محمد بن الحسن بن دريد إجازة عن أبي حاتم عن أبي عبيدة ونسخته أيضا من رواية الأصمعي وحماد صاحب أبي غسان دماذ والأثرم فجمعتها ههنا .

قال أبو عبيدة : قال أبو عمرو بن العلاء : وقع تدارؤ بين نفر من بني سليم بن منصور وبين نفر من بني فراس بن مالك بن كنانة فقتلت بنو فراس رجلين من بني سليم بن منصور ثم إنهم ودوهما ثم ضرب الدهر ضرباته فخرج نبيشة بن حبيب السلمي غازياً فلقي **ظعنا** من بني كنانة بالكديد في نفر من قومه و بصر بهم نفر من بني فراس بن مالك فيهم عبد الله بن جذل الطعان بن فراس و الحارث بن مكدم أبو الفارعة وقال بعضهم أبو الفرعة أخو ربيعة بن مكدم قال وهو مجدور يومئذ يحمل في محفة فلما رآهم أبو الفارعة قال هؤلاء بنو سليم يطلبون دماءهم فقال أخوه ربيعة بن مكدم أنا أذهب حتى أعلم علم القوم فآتيكم بخبرهم فتوجه نحوهم فلما ولى قال بعض الظعن هرب ربيعة فقالت أخته أم عزة بنت مكدم أين تنتهي نفرة الفتى فعطف و قد سمع قول النساء فقال :

لقد علمنَ أنَّني غير فَرِقْ

لأطعُنن طعنة وأعتنقْ

أُعْمِل فيهم حين تحمّر الحَدَق

عَضْباً حساماً وسناناً يأتلق

قلت : قوله ظعنا ، يدل على أنهم مرتحلون فمروا بديار بني عمهم بني الملوح من بني ليث من كنانة بالكديد ، و ليس من ديارهم ، و سيأتي في الشعر الذي أورده الأصفهاني ذمهم على عدم نصرة بني عمهم ، و الأظهر أن مسيرهم نحو مكة .

ثم قال الأصفهاني : قال ثم انطلق يعدو به فرسه فحمل عليه بعض القوم فاستطرد له **في طريق الظعن** وانفرد به رجل من القوم فقتله ربيعة ثم رماه نبيشة أو طعنه فلحق بالظعن يستدمي حتى أتى إلى أمه أم سيار فقال اجعلي على يدي عصابة و هو يرتجز و يقول :

شدي عليّ العَصْب أم سيارْ

لقد رُزِيتِ فارساً كالدينار

يطعُن بالرمح أمام الأدبار

فقالت أمه :

إنا بنو ثعلبة بن مالكِ

مُرَزا أخيارنا كذلكِ

من بين مقتول وبين هالك

ولا يكون الرزء إلا ذلك

قلت : قولها : إنا بنو ثعلبة بن مالك ، لأن بني فراس من بني ثعلبة بن مالك بن كنانة كما تقدم في عمود نسبه .

ثم قال الأصفهاني : قال أبو عبيدة وشدت أمه عليه عصابة فاستسقاها ماء فقالت إنك إن شربت الماء مت فكر على القوم فكر راجعا يشد على القوم ويذبّهم ونزفه الدم حتى



أثخن **فقال للظعن أوضعن ركابكن خلفي حتى تنتهين إلى أدنى بيوت الحي** فإني لما بي و سوف أقف دونكن لهم على **العقبة** ، و أعتمد على رمحي فلن يقدموا عليكن لمكاني ففعلن ذلك فنجون إلى مأمنهن .

قلت : قوله العقبة ، الأظهر عندي أنها ثنية غزال ، و قد تقدم ما يعضده .

ثم قال الأصفهاني : قال أبو عبيدة قال أبو عمرو بن العلاء ولا نعلم قتيلا و لا ميتا حمى ظعائن غيره قال وإنه يومئذ لغلام له ذؤابة قال فاعتمد على رمحه وهو واقف لهن على متن فرسه حتى بلغن مأمنهن و ما تقدم القوم عليه فقال نبيشة بن حبيب إنه لمائل العنق وما أظنه إلا قد مات فأمر رجلا من خزاعة كان معه أن يرمي فرسه فرماها فقمصت وزالت فمال عنها ميتا قال ويقال بل الذي رمى فرسه نبيشة فانصرفوا عنه و قد فاتهم الظعن .

قال أبو عبيدة ولحقوا يومئذ أبا الفرعة الحارث بن مكدم فقتلوه و ألقوا على ربيعة أحجارا .

وذكر الغندجاني في أسماء خيل العرب وأنسابها أن فرس نبيشة بن حبيب السلمى في تلك المعركة يدعى الأحزم حيث قال (ص٤٤) : الأحزم : فرس نبيشة بن حبيب السلمي قال يوم قتل ربيعة بن مكدّم و هو يوم الكديد :

سائل كنانة أين فارسها الذي

ورد **الكديد** ربيعة بن مكدّم

فلتخبرنّ بنو فراس أنه

ألوى بمهجته جريء المقدم

لما أطال عنانه متقصّدا

نحوي قصرت له عنان الأحزم

فأثرت بين ضلوعه جيّاشة

فوهاء تنفث بالحقين و بالدم

ثم قال الأصفهاني : فمر به رجل من بني الحارث بن فهر فنفرت ناقته من تلك الأحجار التي أهيلت على ربيعة فقال يرثيه ويعتذر ألا يكون عقر ناقته على قبره وحض على قتلته وعير من فر وأسلمه من قومه :

نفرت قلوصي من حجارة حَرة

بُنيت على طلق اليدين وهوبِ

لا تنفري يا ناق منه فإنه

سَبّاء خمر مِسْعَر لحروب

لولا السِّفار وبعد خرق مهمه

تركتها تحبو على العرقوب

مر الفوارس عن ربيعة بعدما

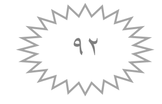
نَجّاهُم من غُمّة المكروب

يدعو علياً حين أسلم ظهره

فلقد دعوتَ هناك غير مجيب

لله در بني عليّ إنهم

لم يُحمشوا غزواً كولْغ الذيب



نِعْمَ الفتى أدى نبيشة بَزَّه

يوم **الكديد** نبيشةُ بن حبيب

لا يبعَدن ربيعة بن مكدم

وسقى الغوادي قبره بذَنوب

قال أبو عبيدة : و يقال إن الذي قال هذا الشعر هو ضرار بن الخطاب بن مرداس أحد بني محارب بن فهر ، و قال آخر هو حسان بن ثابت .

قلت : قوله نفرت قلوصي من حجارة حرة ، يعضد القول بأنه دفن بثنية غزال لأنها مكسوّة بالحجارة ، بخلاف ثنية لفت .

و أما بنو علي المذكورون في القصيدة فهم بنو عبد مناة بن كنانة و هم بطون كثيرة وافرة العدد و متشعبة الديار ، منهم بنو ليث ومن ليث بنو الملوح ، و منهم بنو ضمرة و من ضمرة بنو غفار ، و منهم بنو الديل ، و بنو مدلج ، و بنو جذيمة الذين أوقع بهم خالد بن الوليد بالغميصاء .

قال ابن الكلبي في الجمهرة (ص١٣٤) : فولد عبد مناة بن كنانة : بكرا بطن و عامرا بطن ومرة و هلالا درج ، و الحارث أمهم هند بنت بَكْر بْن وائل بْن قاسط ، و إخوتهم لأمهم : كلب و مجربة و عوف و ساعدة بنو علي بن مسعود ابن مازن بن ذئب بن عدي بن عمرو بن عدي بن مازن بن ذئب بن عدي ابن عمرو بن عدي بن مازن بن الأزد ، وكان على حضن بني عبد مناة فغلب علي نسبهم ، ولهم يقول أمية بن أبي الصلت :

لله در بني علي

أيّم منهم وناكح

و أما بنو فراس فمن بني مالك بن كنانة و ليسوا من بني علي المتقدم ذكرهم ، فالشاعر هاهنا يوبخهم لعدم نصرتهم لبني فراس ، حينما استصرخهم ربيعة بن مكدم .

ثم قال الأصفهاني : وقال عبد الله بن جذل الطعان و اسمه بلعاء :

لأطلبنْ بربيعة بن مكدم

حتى أنال عُصَيّة بن مَعِيص

يقال : إن عصية من بني سليم وهو عصية بن معيص بن عامر بن لؤي .

وتقاد كل طِمِرةٍ ممحوصةٍ

ومقلِّص عَبْل الشَّوَى ممحوص

وقال رجل من بني الحارث بن الخزرج من الأنصار يرثي ربيعة بن مكدم ، و قال أبو عبيدة زعم أبو الخطاب الأخفش أنه لحسان بن ثابت يحض على قتلته :

و لأصرِفنّ سِوى حذيفة مِدْحتي

لفتى الشتاء وفارس الأجراف

مأوى الضَّريك إذا الرياح تناوَحتْ

ضخم الدَّسيعة مُخِلفٍ مِتلاف

من لا يزال يَكُب كل ثقيلة

كَوْماء غير مُسائل منزاف

رَحْب المَباءة والجناب موطَّأ

مأوىً لكل مُعتَّق بسَواف

فسقى الغوادي قبرك ابن مكدم

من صَوْب كل مُجلجِل وَكّاف

أبلغ **بني بكر** وخُص فوارساً

لحِقوا الملامة دون كل لحاف

أسلمتُم جِذل الطعان أخاكُم

بين **الكديد** وقُلة الأعراف

الأعراف رمل قال الأثرم : الأعراف كل ما ارتفع و منه قول الله تعالى (ونادى أصحاب الأعراف)

حتى هوى مُتزايِلاً أوصاله

للَّحْد بين جنادل وقِفاف

لله در **بني عليّ** إن هُم

لم يثأروا **عوفاً وحيَّ خِفاف**

قلت : بنو بكر بطن من عبد مناة بن كنانة منهم بنو ليث والجميع يشملهم اسم بني علي كما تقدم ، و عوف و خفاف بطون من بني سليم ، و عصية من خفاف ، منهم نبيشة بن حبيب قاتل ربيعة ، و بنو الشريد و سيأتي ذكرهم .

ثم قال الأصفهاني : وقال عبد الله يرثيه :

خَلَّى عليّ ربيعة بن مكدم

حزناً يكاد له الفؤاد يزولُ

فإذا ذَكرتُ ربيعةَ بن مكدم

ظلت لذكراه الدموعِ تسيل

نِعْم الفتى حياً وفارسُ بُهمةٍ

يردي بشكته أقب ذؤول

سقت الغوادي **بالكدَيدِ** رمة

و الناس إما هالك وقتيل

فإذا لقيتَ ربيعة بن مكدم

فعلى ربيعة من نداه قبول

كيف العزاء ولا تزال خريدة

تبكي ربيعة غادة عُطبول

يأبى ليَ الله المذلة إنما

يعطَى المذلة عاجز تنبيل

و قد ذكر الأصفهاني ما يقتضي أن قاتل ربيعة ليس نبيشة بن حبيب حيث قال : أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثني محمد بن الحسن الأحول عن الطرسوسي عن ابن الأعرابي قال : أجود بيت وصفت به الطعنة قول أهبان بن عادياء قاتل ربيعة بن مكدم حيث يقول :



ولقد طعنتُ ربيعة بن مكدمٍ

يوم **الكديد** فخرّ غير موسَّدِ

في ناقع شَرِقت بما في جوفه

منه بأحمر كالعقيق المُجسَد

و أهبان بن عادياء هو مكلم الذئب الأسلمي رضي الله عنه قال أبو هلال العسكري في جمهرة الأمثال (٤١٠/١) : والصحيح أَن الذي طعن ربيعَة أهبان بن كعب بن أمية بن يقظة **مكلم الذئب** فقتله وجاء بفرسه وسلاحه فوهبه لنبيشة بن حبيب السّلمِيّ .

و ذكر المبرد في الكامل أن أهبان بن عادياء الأسلمي مكلم الذئب أخو نبيشة بن حبيب السلمي لأمه فقال (٧٥/٤) : وربيعة بن مكدم رجل من بني كنانة ، وكان قتله أهبان بن غادية الخزاعي ، وقيس تقول : قتله نبيشة بن حبيب السلمي و كان أهبان أخا نبيشة لأمه ، وكان أتاه زائراً وأغار ربيعة بن مكدم على بني سليم ، فخرج أهبان مع أخيه ، فحمل عليه فقتله و حمل أخو ربيعة على أهبان فقتله .

وفي رواية المبرد تخليط لأن أهبان الأسلمي أدرك الإسلام وأسلم رضي الله عنه و لم يُنقل في ترجمته أن أخا ربيعة قتله و قد وقع في ضبط عمود نسبه تخليط كثير ليس هذا محل تحقيقه ، و كذلك في اسم أبيه ، أشار لذلك الآمدي في المؤتلف و المختلف من أسماء الشعراء حيث قال (ص٣٤) : من يقال له أهبان و وهبان ومنهم أهبان مكلم الذئب و يعرف بابن غادية الأسلمي و أسلم أخو خزاعة و هو أهبان بن كعب بن أمية بن يقظة ابن خزيمة بن مالك بن سلامان بن أسلم (ح) وفي أخرى و يقال هو أهبان مكلم الذئب بن أوس و هو

الأكوع بن ربيعة بن كعب بن أمية بن يقظة بن خزيمة بن مالك بن سلامان بن أسلم ، و أهبان هو الذي طعن ربيعة بن مكدم فقتله وجاء بفرسه وسلاحه فوهبه لنبيشة بن حبيب السلمي .

و بالرغم من هذا الاختلاف في قاتل ربيعة إلا أنه لا يبعد اشتراك الخزاعي في قتله أو انفراده بذلك و رواية أبي عبيدة تشير إلى اشتراك رجل من خزاعة و لم تسمه ، فقد يكون حينما رجع لربيعة وجد به رمقا فأجهز عليه فيصح اشتراكهما في القتل حينئذ .

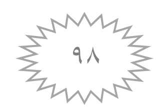
و قد كان من تبعات يوم الكديد **يوم برزة** و الذي ثأرت فيه بنو كنانة من بني سليم ، و قتلوا من بني الشريد أمراء بني سليم وأصابوا منهم .

وذكر الواقدي في عزوة بني جذيمة من كنانة بالغميصاء ما يقتضي مشاركة بني جذيمة مع بني فراس في حربها لسليم حيث قال في المغازي (٢٩٦/٢) : و يقال : إنَّ فتى من بنى جذيمة أدركه الجيش عشيّة فنادى فى القوم فكفَّ عنه وكان الذين يطلبونه بنو سليم و كانوا عليه متغيّظين فى حروب كانت بينهم ببرزة و غيرها و كانت بنو جذيمة قد أصابوهم ببرزة و هم موتورون يريدون القود منهم .

والله أعلم بصحة ذلك .

ثم أعاد الكرة بنو الشريد من سليم على كنانة في **يوم الفيفاء** وأصابوا منهم .

فقال هند بن خالد بن صخر بن الشريد كما في العقد الفريد (٣٨/٦) :



قتلت بمالك عمرا وحصنا

وخلّيت القتام على الخدود

وكرزا قد أبأت به شريحا

على أثر الفوارس **بالكديد**

جزيناهم بما انتهكوا وزدنا

عليه ما وجدنا من مزيد

جلبنا من جنوب العود جردا

كطير الماء غلّس للورد

قال : فلما ذكر هند بن خالد يوم الكديد وافتخر به ، ولم يشهده أحد من بني الشريد ، غضب من ذلك نبيشة بن حبيب ، فأنشأ يقول :

تبخل صنعنا في كل يوم

كمخضوب البنان ولا يصيد

وتأكل ما يعاف الكلب منه

وتزعم أن والدك الشّريد

أبى لي أن أقرّ الضّيم قيس

وصاحبه المزور به **الكديد**

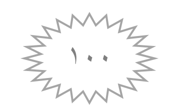
غزوة بني المصطلق من خزاعة .

ثم بعث الله تعالى نبيه سيد الأنام ، فأرسله بالحنيفية السمحة و دين الإسلام ، فكان مشكاة يهتدى بها في دياجي الظلام ، و قد وقعت في مدة نبوته صلى الله عليه و سلم حوادث وغزوات ، وطدت بعد رحيله صلوات ربي وسلامه عليه لقيام دولة الإسلام .

و كان من تلك الحوادث غزوة المريسيع في السنة السادسة للهجرة ، و قيل في الخامسة ، حيث باغت النبي صلى الله عليه و سلم بني المصطلق من خزاعة على ماء لهم يقال له المريسيع من ناحية قديد إلى الساحل لإضمارهم الشر وتحزبهم لقتال المؤمنين ، فهزم الله بني المصطلق و قُتل من قُتل منهم و نفل رسول الله صلى الله عليه و سلم أبناءهم ونساءهم و أموالهم فأفاءهم عليه .

وفي أثناء مقام النبي صلى الله عليه وسلم بتلك الغزوة حدثت فتنة بين المهاجرين و الأنصار كاد يشتعل بسببها فتيل الشر و لكن الله أطفأها و أخزى المنافقين .

قال الإمام ابن جرير الطبري في تفسير سورة الحشر : حدثنا يونس قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قول الله (لَيُخْرِجَنَّ الأعَزُّ مِنْهَا الأذَلَّ) قال : كان المنافقون يسمون المهاجرين : الجلابيب ، وقال : قال ابن أُبي : قد أمرتكم في هؤلاء الجلابيب أمري ، قال هذا **بين أَمَجٍ وعسفان على الكديد** تنازعوا على الماء ، وكان المهاجرون قد غلبوا على الماء ، قال : وقال ابن أُبيّ أيضًا : أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعز منها الأذلَّ لقد قلت لكم : لا تنفقوا عليهم لو تركتموهم ما وجدوا ما يأكلون ويخرجوا ويهربوا فأتى عمر بن الخطاب إلى النبيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم فقال :



يا رسول الله ألا تسمع ما يقول ابن أُبيّ ؟ قال : وما ذاك ؟ فأخبره ، و قال : دعني أضرب عنقه يا رسول الله ، قال : إذًا ترعد له آنف كثيرة بيثرب ، قال عمر : فإن كرهت يا رسول الله أن يقتله رجل من المهاجرين ، فمر به سعد بن معاذ ومحمد بن مسلمة فيقتلانه فقال رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم : إِنِي أَكْرَهُ أَنْ يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ ادْعُوا لِي عَبْدَ اللهِ بنَ عَبدِ اللهِ بن أُبَيّ فدعاه ، فقال : ألا تَرَى ما يَقُولُ أَبُوكَ ؟ قال : وما يقول بأبي أنت وأمي ؟ قال : يَقُولُ لَئِن رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ ، فقال : فقد صدق والله يا رسول الله ، أنت والله الأعزُّ وهو الأذلُّ ، أما والله لقد قَدِمت المدينة يا رسول الله ، وإن أهل يثرب ليعلمون ما بها أحد أبرّ مني ، ولئن كان يرضى الله ورسوله أن آتيهما برأسه لآتِيَنَّهما به ، فقال رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم : لا ، فلما قدموا المدينة ، قام عبد الله بن عبد الله بن أُبيّ على بابها بالسيف لأبيه ثم قال : أنت القائل : لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعزّ منها الأذلّ ، أما والله لتعرفنّ العزة لك أو لرسول الله ، والله لا يأويك ظله ، ولا تأويه أبدًا إلا باذن من الله ورسوله فقال : يا للخزرج ابني يمنعني بيتي ، يا للخزرج ابني يمنعني بيتي ، فقال : والله لا تأويه أبدًا إلا بإذن منه فاجتمع إليه رجال فكلموه ، فقال : والله لا يدخله إلا باذن من الله ورسوله ، فأتوا النبيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم فأخبروه ، فقال : اذْهَبُوا إِلَيْهِ ، فَقُولُوا لَهُ خَلِّهِ وَمَسْكَنَهُ فأتوه فقال : أما إذا جاء أمر النبيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم فنعم .

قلت : ابن زيد هذا الذي روى عنه ابن جرير هو عبدالرحمن بن زيد بن أسلم ، و هو ضعيف الحديث و لكن الخبر له شواهد تجبره عند ابن إسحاق و غيره .

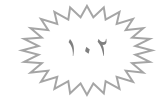
و أهل السير كابن إسحاق و الواقدي و من يعول عليهم في المغازي ذكروا أن الحادثة وقعت على ماء المريسيع نفسه وهو الراجح إن شاء الله .

و مع ذلك فإن هذا الأثر وإن قصر عن الاستشهاد به على المغازي فيظل نصا تاريخيا ، يستفاد منه في غير ذلك كتحديده موضع الكديد بين أمج و عسفان و هو عين وصف ابن إسحاق .

سرية غالب الليثي إلى بني الملوح بالكديد .

ثم في السنة الثامنة من الهجرة و قبل غزوة فتح مكة ببضعة أشهر (هكذا جزم الواقدي و الله أعلم بصحة ذلك) ، أرسل النبي صلى الله عليه و سلم غالب بن عبدالله الكلبي الليثي الكناني إلى بني الملوح من بني ليث من كنانة فأغار عليهم وغنم منهم :

قال ابن هشام في تهذيبه عن ابن إسحاق (١٤٤/٤) : وكان من حديثها أن يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس حدثني عن مسلم بن عبدالله بن خبيب الجهني عن المنذر عن جندب بن مكيث الجهني ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم **غالب بن عبدالله الكلبي ، كلب بن عوف ابن ليث** ، في سرية كنت فيها ، وأمره أن يشن الغارة على **بني الملوح ، وهم بالكديد** ، فخرجنا حتى إذا كنا بقديد لقينا الحارث بن مالك وهو ابن البرصاء الليثي فأخذناه فقال : إني جئت أريد الإسلام ما خرجت إلا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا له : إن تك مسلماً فلن يضيرك رباط ليلة وإن تك على غير ذلك كنا قد استوثقنا منك ، فشددناه رباطاً ثم خلفنا عليه رجلا من أصحابنا أسود ، وقلنا له : إن نازعك فاحتز رأسه .



قال : ثم سرنا حتى أتينا **الكديد** عند غروب الشمس ، فكنا في ناحية الوادي وبعثني أصحابي ربيئة لهم ، فخرجت حتى آتى تلا مشرفا على الحاضر ، فأسندت فيه ، فعلوت على رأسه فنظرت إلى الحاضر ، فو الله إني لمنبطح على التل ، إذ خرج رجل منهم من خبائه ، فقال لامرأته : إني لأرى على التل سواداً ما رأيته في أول يومي ، فانظري إلى أوعيتك هل تفقدين منها شيئاً ، لا تكون الكلاب جرت بعضها قال : فنظرت فقالت : لا والله ما أفقد شيئاً ، قال فناوليني قوسي وسهمين فناولته ، قال : فأرسل سهماً فو الله ما أخطأ جنبي ، فأنزعه فأضعه و ثبت مكاني ، قال : ثم أرسل الآخر ، فوضعه في منكبي ، فأنزعه فأضعه و ثبت مكاني ، فقال لامرأته : لو كان ربيئة لقوم لقد تحرك ، لقد خالطه سهماي لا أبا لك ، إذا أصبحت فابتغيهما ، فخذيهما ، لا يمضغهما علي الكلاب قال : ثم دخل ، قال : وأمهلناهم ، حتى إذا اطمأنوا وناموا ، وكان في وجه السحر ، شننا عليهم الغارة قال : فقتلنا واستقنا النعم ، وخرج صريخ القوم فجاءنا دهم لا قبل لنا به ومضينا بالنعم ، ومررنا بابن البرصاء وصاحبه فاحتملناهما معنا قال : وأدركنا القوم ، حتى قربوا منا ، قال : فما بيننا وبينهم إلا **وادي قديد** ، فأرسل الله الوادي بالسيل من حيث شاء تبارك وتعالى ، من غير سحابة نراها ، ولا مطر فجاء بشيء ليس لأحد به قوة ، ولا يقدر على أن يجاوزه فوقفوا ينظرون إلينا وإنا لنسوق نعمهم ، ما يستطيع منهم رجل أن يجيز إلينا ونحن نحدوها سراعاً ، حتى فتناهم ، فلم يقدروا على طلبنا .

قال : فقدِمنا بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : وحدثني رجل من أسلم ، عن رجل منهم :

أن شعار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان تلك الليلة : أمت أمت . فقال راجز من المسلمين وهو يحدوها :

أبى أبو القاسم أن تعزبي

في خضل نباته مغلولب

صفرا أعاليه كلون المذهب

و رواها الواقدي في مغازيه و جزم بأنها في السنة الثامنة من الهجرة حيث قال (٢/٢٠٠) : سريةٌ أميرها غالب بن عبد الله بالكديد **في صفر سنة ثمان .**

بخلاف ابن إسحاق فلم يعين وقتها ، ، و زعم ابن حبيب في المحبر أنها وقعت في السنة الخامسة من الهجرة (ص١٢٠) ونقل الفاسي في العقد الثمين (ص٤٠٣) عن الإمام الحاكم أنها في السنة السابعة .

و الأظهر و العلم عند الله وقوعها بعد غزوة بني المصطلق و سيأتي تفصيل ذلك في مرويات فتح مكة شرفها الله .

و مما زاده الواقدي في تلك الرواية شطر بيت في الرجز الذي نقله ابن إسحاق حيث قال :

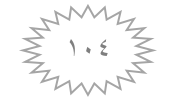
أبى أبو القاسم أن تعز بي

وذاك قول صادقٍ لم يكذب

في خضلٍ نباته مغلولب

صفرٍ أعاليه كلون المذهب

و في غير رواية ابن هشام عن ابن إسحاق زيادة أوردها الحفاظ كالإمام أحمد (١٥٨٤٤) و ابن جرير في تاريخه



(٢٧/٣) عن ابن إسحاق حيث قال فيها : حتى أتينا بطن الكديد ، فنزلنا **عشيشية** بعد العصر .

و هذه اللفظة (عُشيشية) احتفى بها أهل اللغة و تكلموا عليها في مصنفاتهم ، فيما خولف به القياس في التّصغير ، كشروح متون النحو و الصرف و معاجم اللغة و غيرها ، فأشهرت الكديد و مروياته فوق شهرته :

قال ابن الأثير في غريب الحديث (٢٤٣/٣) : وفى حديث جندب الجهني (فأتينا بطن الكديد فنزلنا عشيشية) هي تصغير عشية على غير قياس ، أبدل من الياء الوسطى شين كأن أصلها : عشيية . يقال : أتيته عشيشية و عشيانا وعشيانة و عشيشيانا .

و ذكر السكري في ديوان أشعار الهذليين ما يقتضي أن بعض بطون بني ليث كانوا نزولا مع بني الملوح بالكديد حيث قال (ص٨٦٢) : و في ذلك يقول أمية بن الأسكر أخو بني جندع بن ليث حينما أغارت عليهم و على بني لحيان خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكديد و دلهم عليه رجل من خزاعة يقال له طارق فوجدت عليه بنو بكر و بنو لحيان .

وأمية بن الأسكر الجندعي الليثي أسلم بعد ذلك و سكن الطائف ، و ضبطه ابن عبدالبر بالمعجمة فقال : أمية بن الأشكر ، و صوب ابن حجر ما ذكرناه .

و نقل الأصفهاني عن السكري أيضا أنها وقعت في غزوة المريسيع فقال (١٩/٢١) : و روى محمد بن حبيب فيما روى عنه أبو سعيد السكري و نسخته من كتابه ، قال أبو عمرو الشيباني : أصيب قوم من بني جندع بن ليث بن بكر بن هوازن رهط أمية بن الأسكر ، يقال لهم : **بنو زبينة** أصابهم

أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يوم المريسيع في غزوة بني المصطلق و كانوا جيرانه يومئذ و معهم ناس من بني لحيان من هذيل ، و مع بني جندع رجل من خزاعة يقال له : طارق ، فاتهمه بنو ليث و انه دل عليهم و كانت خزاعة مسلمها و مشركها يميلون إلى النبي صلى الله عليه وسلم على قريش .

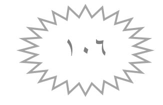
و الأظهر أن رواية السكري في ديوان شعر الهذليين أثبت وأرجح مما نقله الأصفهاني عنه لاحتمال تعاهده بالتهذيب وكذلك للوهم الحاصل في نسخة الأصفهاني حيث نسب بني ليث إلى هوازن .

و سيأتي تحقيق تاريخ سرية غالب الليثي للكديد في مرويات فتح مكة ، مع العلم أن غزوة بني لحيان و غزوة بني المصطلق بينهما شهران في المدة .

الكديد في مرويات فتح مكة .

تقدم معنا في مبحث موقع الكديد ومكانه الاعتماد على رواية الزهري عن عبيدالله بن عبدالله عن ابن عباس في تحديده وذكرنا الرواية الأدق في ذلك .

و في هذا المبحث سنذكر الروايات الأخرى التي ذكرت الكديد و من طرق أخرى ، و سنعلق على بعض أوجه الاختلاف فيها و ملابسات تلك المعركة .



الرواية الأولى :

في الموطأ (ص٢٩٤) : حدثني يحي عن مالك عن بن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن عبد الله بن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى مكة عام الفتح في رمضان فصام حتى بلغ **الكديد** ثم أفطر فأفطر الناس وكانوا يأخذون بالأحدث فالأحدث من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

و قد اختلف الرواة عن ابن عباس في ذكر المكان الذي أفطر فيه النبي صلى الله عليه وسلم أثناء مسيره لفتح مكة فمنهم من قال في قديد و منهم من قال في عسفان ، و بعض هؤلاء الذين ذكروا فطره في قديد و عسفان نُقل عنهم بالكديد أيضا لذلك قال البكري رحمه الله في معجمه معلقا على مثل هذا (ص١٠٥٤) : و روى ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم صام حتى أتى قديدا ثم أفطر حتى أتى مكة . هكذا روى شعبة عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس ، و العلاء بن المسيب عن الحكم عن مجاهد عن ابن عباس ، ورواه الزهري عن عبيدالله بن عبدالله عن ابن عباس : فصام حتى بلغ الكديد ثم أفطر **وهذه الرواية أصح و أثبت** و بين قديد و الكديد ستة عشر ميلا ، الكديد أقرب إلى مكة .

و هو كما قال ، و قوله أصح و أثبت أي اشتركت جميع المرويات في هذا الوصف ، و لكن هذا الطريق أكثر صحة وأكثر تثبتا ، و الله أعلم .

و قد أجاب الحفاظ عن هذا الاختلاف الذي وقع في مكان فطره صلى الله عليه و سلم في رواية ابن عباس أو في رواية غيره بجواب نفيس يزيل الإشكال و يذهب اللبس و إن كان في حقيقة الأمر هو اختلاف غير مؤثر فيما سيق لأجله الخبر

وهو إثبات خروج النبي صلى الله عليه وسلم من المدينة صائما ثم أفطر في الطريق .

قال القاضي عياض في المعلم (٦٤/٤) : وهذا كله في سفرٍ واحدٍ في غزاة الفتح ، سميت هذا المواضع في هذا الأحاديث لتقاربها وإن كانت عسفان متباعدة شيئاً عن هذه المواضع فكلها مضافة إليها و من عملها فاشتمل عليها اسمها .

ثم تناقل الحفاظ كلامه في شروحهم من بعده .

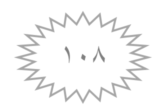
الرواية الثانية :

و في الموطأ : و حدثني عن مالك عن سُمى مولى أبى بكر بن عبد الرحمن عن أبي بكر بن عبد الرحمن عن بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الناس في سفره عام الفتح بالفطر وقال : تقووا لعدوكم ، وصام رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال أبو بكر : قال الذي حدثني : لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعرج يصب الماء على رأسه من العطش أو من الحر ، ثم قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله إن طائفة من الناس قد صاموا حين صمت قال : فلما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم **بالكديد** ، دعا بقدح فشرب ، فأفطر الناس .

قال الزرقاني في شرحه على الموطأ : وإبهام الصحابي لا يضر لأنهم كلهم عدول باتفاق أصحاب الحديث .

و أخرجه أحمد (١٥٩٠٣) وأبو داوود في سننه (٢٣٦٥) .



الرواية الثالثة :

في مسند الإمام أحمد (١١٨٢٦) : حدثنا الحكم بن نافع حدثنا سعيد بن عبد العزيز عن عطية بن قيس عن قَزعة عن أبي سعيد الخدري قال : أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرحيل عام الفتح في ليلتين خلتا من رمضان فخرجنا صواما حتى بلغنا **الكديد** فأمرنا رسول الله صلى الله وسلم بالفطر فأصبح الناس شرجين منهم الصائم والمفطر .

حديث صحيح أصله في مسلم (١١٢٠) و أخرجه الطبري في تهذيب الآثار برقم (١٦٩/١٥٢) مسند ابن عباس .

الرواية الرابعة :

قال الإمام ابن جرير الطبري : حدثنا الربِيع بن سليمان ، قال حدثنا ابن وهب ، قال حدثنا أسامة بن زيد ، أن محمد بن عمرو بن عطاء ، وعطاء بن أَبِي رباح ، حدثاه ، عن جابر بن عبد اللَّه ، أَنَّ رسول الله صلَّى اللَّه عليه وسلَّم خرج عام الفتحِ فصام وصام الناس معه حتى إذا كان بالكَديد أخذ قَدَحًا فيه ماء فشرب والناسُ ينظرون فكان ذلك الصيام وكان الفطر .

أخرجه ابن جرير في تهذيب الآثار في مسند ابن عباس (١٦٧) و أصله في صحيح مسلم (١١١٤) و لكن قال كراع الغميم بدلا من الكديد ، و قد تقدم جواب العلماء عن مثل هذا الاختلاف في الرواية الأولى .

الرواية الخامسة :

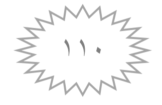
هذه الرواية قد تكون متعلقة بمرويات غزوة الفتح لأنه ذكر في بعض طرقها أنهم صدروا من مكة فاستأذنوا النبي صلى الله عليه و سلم في الذهاب لأهليهم ، و بغزوة فتح مكة أطال

صلى الله عليه و سلم بها المكث أكثر من غيرها حيث ذهب لحنين و تبع فلولهم بأوطاس ثم ذهب للطائف ، لذلك ترجح أن تكون أحداث هذه الرواية بعدها و الله أعلم .

قال الإمام أحمد (١٦٢١٥) : حدثنا إسماعيل بن إبراهيم قال حدثنا هشام الدستوائي عن يحيى بن أبي كثير عن هلال بن أبي ميمونة عن عطاء بن يسار عن رفاعة الجهني قال: أقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كنا **بالكديد** أو قال : بقديد فجعل رجال منا يستأذنون إلى أهليهم فيأذن لهم فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : ما بال رجال يكون شق الشجرة التي تلي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أبغض إليهم من الشق الآخر ، فلم نر عند ذلك من القوم إلا باكيا ، فقال رجل : إن الذي يستأذنك بعد هذا لسفيه .

فحمد الله و قال حينئذ : أشهد عند الله لا يموت عبد يشهد أن لا إله إلا الله ، وأني رسول الله صدقا من قلبه ، ثم يسدد إلا سلك في الجنة ، قال : و قد وعدني ربي عز وجل أن يدخل من أمتي سبعين ألفا لا حساب عليهم ولا عذاب ، وإني لأرجو أن لا يدخلوها حتى تبوّءوا أنتم ومن صلح من آبائكم وأزواجكم و ذرياتكم مساكن في الجنة ، وقال : إذا مضى نصف الليل أو قال : ثلثا الليل ينزل الله عز وجل إلى السماء الدنيا فيقول : لا أسأل عن عبادي أحدا غيري من ذا يستغفرني فأغفر له من الذي يدعوني فأستجيب له من ذا الذي يسألني فأعطيه حتى ينفجر الصبح .

و رواه عن الأوزاعي فقال فيه (١٦٢١٧) : صدرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة .



و بعد أن استعرضنا المرويات التي ذكرت الكديد في غزوة فتح مكة ، نأتي لذكر بعض الفوائد المتعلقة بها و التي لها متعلق ببحثنا هذا ، و أما فقه تلك المرويات و الأحكام المترتبة عليها فمحلها مطولات الفقه و شروح الحديث .

لطائف و نكات نسبية و بلدانية في أخبار فتح مكة .

وقد كان سبب غزوة فتح مكة كما هو مشهور عند أهل السير هو نقض قريش لصلح الحديبية الذي أبرم في السنة السادسة للهجرة ، بينهم و بين النبي صلى الله عليه و سلم .

و كان من بنود ذلك الصلح كما ذكر ابن هشام في تهذيبه عن ابن إسحاق حيث قال (١٨٠/٣) : و أنه من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه ، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل . فوثبت خزاعة فقالوا نحن في عقد محمد و عهده ، و تواثبت بنو بكر فقالوا : نحن في عقد قريش و عهدهم .

فنقضت قريش هذا البند و أعانت بني بكر على خزاعة في حرب نشبت بينهم كما ذكر ابن هشام في تهذيبه عن ابن إسحاق حيث قال (١٦/٤) : ثم إن **بني بكر بن عبد مناة بن كنانة** عدت على خزاعة ، وهم على ماء لهم بأسفل مكة يقال له : الوتير .

و قال : و رفدت بني بكر قريشُ بالسلاح ، وقاتل معهم من قريش من قاتل بالليل مستخفياً ، حتى حازوا خزاعة إلى الحرم .

فعند ذلك استنجدت خزاعة بالنبي صلى الله عليه وسلم للحلف الذي كان بينهم و بين عبدالمطلب أو بني هاشم .

قال ابن هشام في تهذيبه عن ابن إسحاق (١٨/٤) : فلما تظاهرت بنو بكر و قريش على خزاعة ، وأصابوا منهم ما أصابوا ، ونقضوا ما كان بينهم و بين رسول الله صلى الله عليه وسلم من العهد والميثاق بما استحلوا من خزاعة ، وكانوا في عقده وعهده ، خرج عمرو بن سالم الخزاعى ، **ثم أحد بني كعب** ، حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، وكان ذلك مما هاج فتح مكة ، فوقف عليه وهو جالس في المسجد بين ظهراني الناس ، فقال :

يا رب إني ناشد محمدا

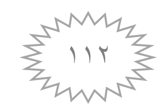
حلف أبينا وأبيه الأتلدا

فأجابه بأبي و أمي هو صلوات ربي و سلامه عليه بقولته المشهورة التي كُتبت على صفحات التاريخ بماء الذهب كما حكاه ابن إسحاق عنه حيث قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **نُصرت يا عمرو بن سالم .**

ثم كان مسيره لفتح مكة شرفها الله .

و مما تجدر الإشارة إليه أن الذين اعتدوا على بني كعب من خزاعة هم بنو الديل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة ، إخوة بني ليث بن بكر .

و ليس كل بني بكر دخل في هذا الأمر ، لذلك قال ابن إسحاق (١٧/٤) : فلما كانت الهدنة اغتنمها (بنو الديل من بني بكر) من خزاعة و أرادوا أن يصيبوا منهم ثأراً بأولئك النفر الذين أصابوا منهم ببني الأسود بن رزن ، فخرج نوفل بن معاوية الديلي في بني الديل ، وهو يومئذ قائدهم ، **وليس كل بني بكر تابعه** حتى بيّت خزاعة وهم على الوتير ، ماء لهم ، فأصابوا منهم رجلاً ، وتحاوزوا واقتتلوا .



قلت : و نسبُ نوفل بن معاوية الديلي قائد بني الديل هو : **النفاثي** .

ورد في شطر بيت لتأبط شرا أورده الكلبي في جمهرته حيث قال (ص١٥٠) :

فلا و أبيها ما نزلنا بعامر

و لا عامر ولا **النفاثي نوفل**

و كذلك ورد في سيرة ابن إسحاق ما يصدق له حيث أورد قصيدة لتميم بن أسد يعتذر فيها عن فراره منهم حينما عدوا على خزاعة ، فقال فيها (١٧/٤) :

لما رأيت **بني نفاثة** أقبلوا

يغشون كل وتيرة و حجاب

و من بني نفاثة هؤلاء اللغوي الكبير أبو الأسود الديلي (الدؤلي) واضع علم النحو .

و هو من **بني حِلس بن نفاثة** ، نص عليه الكلبي في جمهرته حيث قال (ص١٥٢) : و من بني حلس بن نفاثة ، أبو الأسود و هو ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل بن يعمر بن حلس بن نفاثة بن عديّ بن الديل .

و أما بنو كعب من خزاعة فهم أهل قديد رهط أم معبد الكعبية الخزاعية و منهم من ينزل حول مكة بالوتير كما ذكر ابن إسحاق في خبر فتح مكة ، حلفاء بني هاشم من قريش خاصة كما تقدم في قصيدة عمرو بن سالم الكعبي .

بخلاف بني المصطلق من خزاعة (أهل عسفان) فهم يجمعهم مع قريش و بعض بطون كنانة حلف الأحابيش لذلك حاربهم النبي صلى الله عليه وسلم كما تقدم .

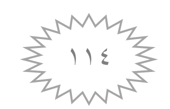
و حلف الأحابيش هذا انعقد في الجاهلية بسبب تسلط بني بكر بن عبد مناة على قريش كما حكاه ابن حبيب في المنمق (ص٢٢٩) و يضم قريشا و بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة إخوة بكر ، و بني المصطلق من خزاعة و بني الهون بن خزيمة و غيرهم .

ثم بعد صلح الحديبية دخلت بنو بكر في عقد قريش ، و إنما كانت قريش بأحابيشها ، لذلك ورد في خبر فتح مكة أن قريش صدت المؤمنين عن العمرة بالأحابيش ، و كان من رسلها في تلك المدة سيد الأحابيش .

قال ابن هشام في تهذيبه عن ابن إسحاق (١٨٠/٣) : ثم بعثوا إليه الحليس بن علقمة أو ابن زبان ، وكان يومئذ سيد الأحابيش ، وهو أحد بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة .

و تاريخ انعقاد صلح الحديبية كان في السنة السادسة و هو الذي دعاني للتوقف في الجزم بتاريخ سرية غالب الليثي لبني الملوح و أنه في السنة الثامنة كما انفرد به الواقدي و جزم لأن بني الملوح من ليث و ليث من بني بكر ، وقد دخلوا في عهد قريش ، و لا يمكن أن يخفر النبي صلى الله عليه وسلم عهده **لذلك فإن المترجح في تاريخها أنها وقعت بين غزوة بني المصطلق و صلح الحديبية و الله أعلم .**

فلما أدب النبي صلى الله عليه وسلم بني المصطلق بالمريسيع نواحي قديد أراد تمهيد الطريق للعمرة ، فأرسل سرية لبني الملوح تضعفهم و تخوفهم ليرحلوا عن الكديد أحد



أهم محطات و منازل الطريق لمكة ، فآتت أكلها تلك السرية لذلك نراهم دخلوا في عقد قريش بعد ذلك .

الكديد من منازل الطريق في صدر الإسلام .

وكذلك مما تقدم من الأخبار يظهر بجلاء أن الكديد منزلة من منازل الطريق و مرحلة من مراحله قبل الإسلام و في زمن البعثة إلى القرن الثالث الهجري كما سيأتي إن شاء الله .

و تحقيق أسماء المنازل التي تلي الكديد شمالا مما يلي المدينة و جنوبا مما يلي مكة شرفها الله تعالى لا يحتاج لعناء و كثرة تأمل و نظر ، فإن الروايات المتقدمة في فتح مكة قد أبانت عن ذلك .

فنجد رواية ابن عباس تذكره بين قديد و عسفان و هما منزلتان في الطريق ، و الكديد يتوسطهما ، و مثله ما جاء عن ابن إسحاق حينما وصفه بين أمج و عسفان ، و وجه ذلك أن النزول بالقوافل في المحطات المتقاربة يعود لنظر قائد القافلة و أميرها فهو أعرف بما يدفع المشقة عن قافلته ويختصر عليهم الطريق .

فمن ينزل بأمج لا يمر بالكديد اختصارا للوقت فيسير حتى ينزل بعسفان ، و منهم من يتجاوز أمج فينزل بالكديد ، كمن تكون قافلته كبيرة الحجم و كثيرة العدد كجيش النبي صلى الله عليه وسلم في فتح مكة فيحتاج إلى مورد ماء أكبر من البئر ليسهل وروده ، فيسد الحاجة بلا مشقة و عناء .

وفاة الصحابي أبو الخريف بن ساعدة بالكديد و دفنه به .

ومما يذكر في أخبار الكديد وفاة الصحابي الجليل صيفيّ بن ساعدة الأنصاري بالكديد بعد رجوعه من إحدى المعارك مع النبي صلى الله عليه وسلم و دفنه به .

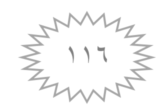
قال ابن الكلبي في جمهرته (ص٦٣١) : ومن بني لوذان بن عمرو بن عوف ، وهم بنو السّميعة صيفيّ وهو أبو الخريف بن ساعدة بن عبد الأشهل بن مالك بن لوذان ، خرج في بعض مغازي النبيّ صلّى الله عليه وسلّم فتوفّي بالكديد وكفّنه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في قميصه .

و هذا الخبر تفرد به ابن الكلبي ، و لكن علماء التراجم تلقوه بالقبول و نقلوه في كتبهم كالحافظ ابن حجر و غيره ، و قوله قميصه ، لعل الضمير فيه يعود على صيفي رضي الله عنه والله أعلم .

عبدالله بن الزبير رضي الله عنه بالكديد .

وبعد وفاة النبي صلى الله عليه و سلم و انقضاء عصر الخلافة الراشدة سيطرت على الحجاز دولة بني أمية ثم بعد وفاة معاوية كثرت الثورات على يزيد بن معاوية لأمور ليس هذا محل تقريرها ، و كان من تلك الثورات ثورة عبدالله بن الزبير بالحجاز ، و التي أسفرت عن خروج الحجاز عن سيطرة بني أمية مدة من الزمان انتهت بعد مقتل ابن الزبير كما هو مشهور في سنة ٧٣ هـ .

و في مدة حياة ابن الزبير رضي الله عنه حدثت له قصة مع جني بالكديد رواها الحافظ البغوي في معجم الصحابة بإسناده فقال : حدثنا أبو بكر بن زنجويه قال : حدثني أحمد بن شبوية قال : ثني سليمان - يعني ابن سلمويه - صاحب



ابن المبارك قال : قرأت على ابن المبارك عن أبي إسحاق عن يحيى عن عامر بن عبد الله بن الزبير قال : أقبل عبد الله بن الزبير من العمرة في ركب من قريش فيهم عبد الرحمن بن أبي ربيعة المخزومي رهط من قريش حتى إذا كانوا **بالكديد** قال ابن الزبير : رأيت رجلا يحب التناصب يعني (الكرا) فقال ابن الزبير : ألا أتقدم أبغيكم لبنا ؟ قالوا : بلى فأقبل ابن الزبير حتى أتاه قال : فسلمت عليه قال : وعليك السلام فقال ابن الزبير : والله ما رأيتني أتيت أحدا قط إلا رأيت له مني هيبة غيره فلما دنوت منه وهو في الأجناد يذهب ولم يتحرك فضربته برجلي وقلت : انقبض إليك إنك لشحيح بظلك ، فانحاز متكئا و هنا فجلست فأخذت بيده وقلت : من أنت ؟ قال : رجل من أهل الأرض من الجن ، قال : فوالله ما عدا إن قالها فقامت كل شعرة مني و اجتبذته بيدي فقلت : إنك من أهل الأرض وتبدا لي هكذا و اجتبذته وإذا ليس له سفلة وانكسر فقلت : إلي هذا و أنت من أهل الأرض فالتمع مني فذهب فجاءني أصحابي فقالوا : أين صاحبك؟ قلت : كان والله رجلا من الجن قد استقال فما بقي منهم رجل ممن رآه إلا ضرب به الأرض ساقطا وأخذت كل رجل منهم فشددته على بعيره بين شعبتي رحله حتى أتيت بهم **أمج** وما يعقلون .

شعراء الحجاز يذكرون الكديد في قصائدهم .

و في عهد بني أمية ، ظهر في الحجاز شعراء فحول سارت بقصائدهم الركبان و دونتها دواوين الشعر و التاريخ ، و كان من أولئك الشعراء :

١- كثير الخزاعي (ت١٠٧)

أحد فحول الشعراء في عصره ، أورد له الهمداني في صفة جزيرة العرب (ص٣٤٥) قصيدة يصف فيها إبلا فقال :

ياخليلي الغداة إن دموعي

سبقت لمح طرفها بانهمال

قم تأمل وأنت أبصر مني

هل ترى **بالغميم** من أجمال

قاضيات لبانة من مناخ

وطواف وموقف بالجبال

حزيت لي **بحزم فيدة** تخدي

كاليهودي من نطاة الرقال

قلن **عسفان** ثم رحن سراعا

طالعات عشيَّة من **غزال**

قارضات **الكديد** مجتزعات

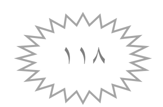
كلَّ **وادي الجحوف** بالأثقال

قصد **لفت** وهن متسقات

كالعدوليّ لاحقات التَّوالي

و هذه القصيدة تظهر استمرار شهرة الكديد إلى أواخر القرن الأول الهجري و بقاء ذكره و إعمار محله .

و مما تجدر الإشارة إليه هو ما ذكره بعض المعاصرين أن وادي أمج كان يعرف بواد الجحوف و لعله اعتمد على هذه الأبيات و هي لا تسعفه لأن ظاهر وصفه ينطبق على أسفل



وادي غران بعد الكديد مما يلي أمج وهو المعروف قديما بوادي الأزرق ، أو محل التقائهما و الله أعلم .

٢- عمر بن أبي ربيعة القرشي (ت٩٣) .

و من القصائد التي ذكرت الكديد قصيدة للشاعر عمر بن أبي ربيعة القرشي و التي ذكر الكديد بها و وصفه بالخيف و من حوله المنازل و هو ما يظهر إعماره و ازدهاره في تلك المدة . وهي قصيدة طويلة سنقتصر على بعضها كما في ديوانه (٣٢٨ص) .

قُل لِلمَنازِلِ **بِالكَديدِ** تَكَلَّمي

دَرَسَت وَعَهدُ جَديدِها لَم يَقدُمِ

لَعِبَت بِجَدَّتِها الرِياحُ وَتارَةً

تَعتادُها دِيَمٌ بِأَسحَمَ مُرهِمِ

دارَ الَّتي صادَت فُؤادَكَ إِذ بَدَت

بِالخَيفِ لَمّا اِلتَفَّ أَهلُ المَوسِمِ

قالَت لآنِسَةٍ رَداحٍ عِندَها

كَالرِئمِ في عَقدِ **الكَثيبِ** الأَيهَمِ

هَذا الَّذي مَنَحَ الحِسانَ فُؤادَهُ

وَشَرِكنَهُ في مُخِّهِ وَالأَعظُمِ

و لعمر بن أبي ربيعة أخبار و قصائد كثيرة قد جُمعت في ديوانه فمن أراد الاستزادة فليراجعه .

٣- عبدالله بن محمد الأحوص الأنصاري .

و من القصائد التي ذكرت الكديد في أواخر القرن الأول الهجري قصيدة للشاعر الأحوص يتغزل فيها بامرأة من قريش أوردها له الشريف المرتضى في الأمالي (٦٦/٢) :

وببطن **مكة** لا أبوح به

قرشية غلبت على قلبي

لو أنها إذ **مر موكبها**

يوم الكديد أطاعني صحبي

قلنا لها حييت من شجن

ولركبها حييت من ركب

والشوق أقتله برؤيتها

قتل الظما بالبارد العذب

والناس إن حلوا جميعهم

شعبا سلام وكنت في شعب

لحللت شعبك دون شعبهم

ولكان قربك منهم حسبي

و له أخبار و شعر كثير مجموع في ديوانه فليراجع .

الكديد في القرن الثالث الهجري .

و في القرن الثاني الهجري انقطعت أخبار الكديد و لم نعثر له في دواوين التاريخ على شيء يُذكر بحسب اطلاعي حتى جاء القاضي وكيع (ت٣٠٦) و تحدث في كتابه الطريق عن الحجاز ومسالكه و قراه و قبائله فأجاد و أفاد و من ذلك قوله (ص٢١٨) : و من أمج إلى الروضة أربعة أميال ، وهي عين وحوض لأبي طلحة يسرة عن الطريق ، و بعد الروضة بميلين عين يقال لها الكاملية ، ماؤها كثير ، عليها نخل لابن محرز المكي ، ومن خليص إلى الكديد ثمانية أميال ، وهي عين جارية و نخل كثير لابن محرز المكي يمنة الطريق .

حدثنا ابن عطار قال حدثنا يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق قال اخبرني الزهري عن عبيدالله بن عبدالله عن ابن عباس قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفره عام الفتح لعشر مضين من رمضان فصام و صام الناس معه حتى إذا أتى الكديد ما بين عسفان و أمج أفطر .

قال و حدثنا يونس عن جعفر بن برقان عن الزهري بنحوه .

وبعدها بميلين عين و نخل كثير و أبيات يسيرة على الطريق وأراك قبل عسفان بأرجح من ميل ، و من الكديد إلى عسفان سبعة أميال تكون من خليص إلى عسفان خمسة عشر ميلا .

ففي هذا النص أمور :

١- بقاء الكديد عامرا و آهلا حتى بداية القرن الرابع الهجري .

٢- استمرار تدفق عينه و بغزارة و انتقال تملكها لقريش على الأرجح لأن قريشا هم ملاك عيون الحجاز في تلك المدة وسادته و سلاطينه و عماله و نوابه ، و قوله ابن محرز المكي

قد يعضد مثل هذا ، و قد ذكر البكري أن وادي غران ينزله بنو سراقة بن المعتمر من بني عدي بن كعب .

تحديد موقع الكديد .

من خلال ما مر معنا من أخبار الكديد والقصائد التي تطرقت له يظهر ما يلي :

١- وصفه بالوادي كما في رواية ابن هشام عن ابن إسحاق حيث قال : ثم سرنا حتى أتينا الكديد عند غروب الشمس فكنا في ناحية **الوادي** .

وكذلك من طريق الإمام أحمد حيث قال : حتى أتينا **بطن الكديد** فنزلنا عشيشية بعد العصر .

و كذلك ما حكاه الأزهري عن أبي عبيدة حيث قال : الكديد من الأرض : البطنُ الواسع خُلِقَ خَلْقَ الأودية أو أوسع منها .

وبناء عليه يكون الكديد هو أسفل وادي غران حينما ينفرش سيله في منطقة الحمض .

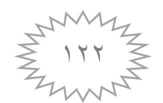
ولعله الذي قصده نصيب الوداني في شعره بقوله :

خليليَّ إن حَلَّتْ كُلَيَّةَ فالرُّبَى

فَذَا أَمَجٍ فالرَّوْضَ ذَا الماءِ **والحَمْضِ**

٢- ذكر في بعض طرق سرية غالب الليثي أنه صعد تلا مشرفا على الحي ، والحمض كثير التلال والكثبان الرملية فهو يعضد ما سبق ذكره .

وقد ورد في شعر حسان رضي الله عنه ما يشير إليها حينما قال في رثاء ربيعة بن مكدم :



أسلمتُم جِذل الطعان أخاكُم

بين **الكديد** وقُلة الأعراف

وقول الأصفهاني : الأعراف رمل قال الأثرم : الأعراف كل ما ارتفع و منه قول الله تعالى (وَنَادَىٰٓ أَصْحَـٰبُ ٱلْأَعْرَافِ)

تحديد موقع ماء الكديد .

٣- جاء في حديث ابن عباس رضي الله عنه وصفه بالماء ومثله عن القاضي وكيع .

وهو صحيح فالماء يقبع به على الطريق .

وهي التي وصفها القاضي وكيع كما مر معنا بيانه .

وقد عثرت على آثارها وقد طالتها يد العبث والتخريب وتحققت منها بأمرين :

١- انطباق المسافة التي ذكرها القاضي وكيع على الموقع وهي سبعة أميال من عسفان وثمانية أميال من خليص وميلان من قرية بني سراقة بغران .

٢- الآثار التي بقيت منها وهي تشبه إلى حد كبير ما بقي من قرية بني سراقة و فقر عينهم بغران ، وهي بحوزتي .

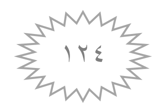
وبناء على ما تقدم يكون موقع عين الكديد شمال غربي مزرعة الشربتلي أحد تجار جدة المعروفين .

وأما قوله : وأراك قبل عسفان بأرجح من ميل ، هذا الكلام مستأنف وليس متصل بما قبله ومقصوده ثنية غزال بها شجر الأراك قبل عسفان بميل .

و فد نقل البكري في معجمه هذا النص باختلاف يسير حيث قال (ص٩٥٦) : ومن أمج إلى الرّوضة أربعة أميال ، ومن الروضة إلى الكديد ميلان ، و من الكديد إلى عسفان ستّة أميال ، **وغزال ثنيّة عسفان تلقاها قبله بأرجح من ميل** وعند تلك الثّنيّة واد يجيء من ناحية ساية ، يصبّ إلى أمج .

فهذا النص نقله البكري و لم يصرح عمن نقله ، و لعله نقله عن مصدر اعتمد على كتاب الطريق لأن فيه زيادات و حذف و تغيير و تبديل يجدها من تتبعها .

وإلى هنا انتهى الكلام عن الكديد وهو آخر ما عثرت عليه من أخباره قبل اندثاره وانقراض أهله والذي يترجح حدوثه مواكبا لاندثار أمج كما سيأتي إن شاء الله تعالى .



المبحث الثالث : الوادي الأزرق .

الوادي الأزرق من أهم المعالم التاريخية بالقرب من وادي أمج ، و له ذكر في كتب المتقدمين و شراح الحديث ، حيث ورد ذكره في حديث الوادي الأزرق المشهور في صحيح مسلم و هو من المعالم المندثرة التي لم تعد تُعرف إلا في بطون الكتب كما اندثر غيره من المعالم و المسميات ، و لتعلقه بوادي أمج في الذكر أوردناه هاهنا .

و قد تحدثتُ عنه باختصار في كتابي مدرج عثمان لتعلقه بوادي غران كما سيأتي ، و لم أشبعه في التحرير بسبب التعجل في إصداره ، و كذلك لم يكن التركيز فيه منصبا على تحرير المباحث البلدانية ككتابنا هذا ، و لعلنا نوفيه حقه هاهنا و نكمل ما نقص هناك إن شاء الله تعالى .

و الحديث عن الوادي الأزرق لا يحتاج إلى بحث لغوي لمعرفة أصل اشتقاقه و ضبط رسمه لظهور هذا الأمر فيه وإنما سيكون حديثنا عنه من حيث تعلقه بوادي أمج وتحرير موقعه و مكانه و جملة من أخباره إن وجدت .

فأول ما يُبدأ به في مبحث هذا الوادي هو خبر ابن عباس الذي أورده الأئمة في مصنفاتهم ، و المشهور بحديث الوادي الأزرق ، و قد ورد من طريقين : الأول عند الإمام مسلم وسنذكره في مبحث ثنية لفت ، و أما هاهنا فسنورده من طريق الإمام ابن ماجة لقصد إظهار بعض الفروق اليسيرة في ألفاظ الحديث و التي يمكن الولوج منها كمدخل لبحثنا هذا .

قال الإمام ابن ماجة في سننه (٢٨٩١) : حدثنا أبو بشر بكر بن خلف قال حدثنا ابن أبي عدي عن داود بن أبي هند عن أبي العالية عن ابن عباس قال : كنَّا معَ رسولِ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ

عليهِ وسلَّمَ بينَ مَكَّةَ والمدينةِ فمَرَرنا بوادٍ فقالَ : أيُّ وادٍ هذا ؟ قالوا : وادي الأزَرقِ قالَ : كأنِّي أنظرُ إلى موسَى صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ فذكرَ من طولِ شعرِهِ شيئًا لا يحفظُهُ داودُ واضعًا إصبَعيهِ في أذُنَيْهِ لَه جؤارٌ إلى اللَّهِ بالتَّلبيةِ مارًّا بِهَذا الوادي قالَ ثمَّ سِرنا حتَّى أتَينا علَى ثَنيَّةٍ فقالَ : أيُّ ثَنيَّةٍ هذهِ ؟ قالوا : ثَنيَّةُ هَرشَى أو لَفْتٍ قالَ كأنِّي أنظرُ إلى يونُسَ علَى ناقةٍ حمراءَ عليهِ جُبَّةُ صوفٍ وخِطامُ ناقتِهِ خُلبَةٌ مارًّا بِهَذا الوادي مُلبِّيًا .

ففي هذا الحديث صرح ابن عباس رضي الله عنه بأنهم كانوا مع النبي صلَّى الله عليه وسلم بين مكة و المدينة ، و بناء عليه فإن موقع الوادي الأزرق قد انحصر فيما بين المسجدين فيحتاج الباحث بعد ذلك لوصف يُقيّد هذا الإجمال .

قال الحموي في معجمه (١٦٨/١) : الأزرق : بلفظ الأزرق من الألوان : وادي الأزرق بالحجاز .

وتابعه البقاعي في مراصد الاطلاع حيث قال (ص٦٧) : الأزرق بلفظ اللّون . وادى الأزرق بالحجاز .

و هذا إجمال و اختصار لا يغني و لا يشفي في التعريف به إلا من جهة اشتقاقه و هو ظاهر ، و قد أعرضنا عنه كما بينا في مقدمة البحث ، و وصف ابن عباس رضي الله عنه أدق منه في التحديد .

و قال الدميري في النجم الوهاج شرح المنهاج (٤٥٩/٣) : وادي الأزرق : في طرف بلاد ساية مما يلي مكة .



و هذا الوصف و إن قيد موقعه بين المسجدين و قارب بعض الشيء إلا أنه وهم فيه ، فليس هو بطرف بلاد ساية ، و إنما صوابه بطرف أمج مما يلي مكة ، إلا إذا فهم نصوص البلدانيين التي وصفت أمجا بأنه على ساية أنهما واقعان في مكان واحد ، و لم يتفطن إلى أن الاسمين لواد واحد و لكن لكل جهة منه اسم يختص به ، فأعلاه ساية و أسفله أمج .

و قال البكري في معجمه (١٤٦ص) : وادى الأزرق : بالراء المهملة بعد الزاى ثم قاف أفعل من الزرقة ، **و هو خلف أمج إلى مكة بميل** ، و من حديث ابن عباس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى على واد فقال : أي واد هذا ؟ فقالوا : وادى الأزرق . فقال : كأنى أنظر إلى موسى وهو هابط في هذه الثنية ، له جؤار بالتلبية . ثم أتى على ثنية ، فقال : أي ثنية هذه ؟ قالوا ثنية هرشى ، فقال : كأنى أنظر إلى يونس بن متى على ناقة حمراء جعدة خطامها خلبة وهو يلبى على هذه الثنية .

وقد يجمع فيقال: الأزارق ، قال الراجز :

قلت لسعد وهو بالأزارق

عليك بالمحض وبالمشارق

واللهو عند بادن غرانق

قلت : و هذا وصف جليل قد أوفى فيه البكري و أغنى .

و قد تابعه القاضي عياض في مشارق الأنوار حيث قال (١٦٧/١) : وادي الأزرق : ذكر في حديث الإسراء و هو خلف أمج إلى مكة بميل .

و الحميري في الروض المعطار حيث قال (ص٦٠٤) : وادي الأزرق ، موضع خلف أمج إلى مكة بميل .

و أما السيوطي فقد تابعهم و لكنه توهمه بالقرب من مكة حيث قال في التوشيح (ص١٢٤٠) : وادي الأزرق ، وهو خلف أمج ، بينه وبين مكة ميل واحد ، و أمج بفتحتين وجيم : قرية ذات مزارع .

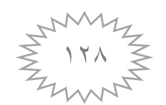
و يظهر أن هذا الوهم تسرب إليه إما لعجلة و سبق قلم أو أن نسخته التي نقل منها أثناء التصنيف كانت محرفة .

و قد ذكر العلامة السمهودي مؤرخ المدينة في كتابه وفاء الوفاء أن الوادي الأزرق يُعرف بغران حيث قال (١٢٧٧) : غران بالضم والتخفيف : اسم وادي الأزرق خلف أمج بميل .

و تابعه العلامة الصالحي في كتابه سبل الهدى و الرشاد حيث قال (٥٣/٥) : غران : بضم الغين المعجمة وتخفيف الراء وآخره نون : وادي الأزرق .

و ممن قال بذلك أيضا الزرقاني في شرح المواهب اللدنية عند حديثه عن غزوة بني لحيان حيث قال (١٠٧/٣) : (غران) بضم المعجمة وخفة الراء فنون (واد) يقال له : وادي الأزرق (بين أمج) بفتحتين وجيم (و عسفان) بضم العين (و بينها) أي : بطن غران (و بين عسفان خمسة أميال)

و قد ذكرت في كتابي مدرج عثمان في مبحث الوادي الأزرق أن وادي غران قد يكون أسفله مما يلي أمج يسمى الأزرق أو قد يكون الوادي كله يسمى بذلك ولم أجزم به ، وذلك لعدم اطلاعي على تلك النصوص و الاستعجال في إخراج الكتاب كما تقدم بيانه أول المبحث .



و بناء عليه يكون تحديده كالتالي : **حينما يفيض وادي غران من الكَديد قبل أمج يسمى بالوادي الأزرق ، فيسيل مسايرا دف جمدان من الشرق حتى يلتقي مع وادي أمج عند الطرف الشمالي الشرقي لجبل جمدان ثم يدفعان غربا نحو الساحل ، و يسمى هناك وادي ثول ثم يفرغان في البحر .**

و عليه يتضح بجلاء علاقة جبل جمدان و الدف بوادي غران أكثر من تعلقهما بوادي أمج و إن كان الجميع أصبح يشملهم الاسم الإداري (خليص) .

و مما تجدر الإشارة إليه في هذا المبحث أن بعض الشراح حاول الوصول إلى سبب تسميته بالوادي الأزرق و اجتهد في ذلك .

قال التوربشتي في الميسر في شرح مصابيح السنة (ص١٢٣٩) : وادي الأزرق موضع بين الحرمين ، ولعله منسوب إلى رجل بعينه كان يحل به ، أو سمي بذلك لزرقة مائه أو لغير ذلك .

و يظهر أن الدهلوي مصنف لمعات التنقيح في شرح مشكاة المصابيح قد اختلط عليه كلام التوربشتي ففهم قوله بعينه أي آلة البصر ، حيث قال (١٩٦/٩) : وادي الأزرق : هو موضع بين الحرمين سمي به لزرقته ، وقيل : منسوب إلى رجل بعينه زرقة .

و لعل هذا الوهم تسرب إليه من تحريف في نسخته ، أو اختلط عليه معناه بمسمى عين أزرق بالمدينة و المنسوبة لمروان بن الحكم حيث ذكر مؤرخو المدينة أنها سُميت بذلك لزرقة عينيه .

المبحث الرابع : جبل جُمْدان .

أبرز المعالم التاريخية بالقرب من وادي أمج على مر التاريخ و أولاها بالذكر هاهنا ، هو : جبل جُمْدان ، ذلك الجبل الذي احتضن عددا من حوادث السيرة النبوية ، و عَرَفه و عرّف به خير البرية صلى الله عليه وسلم ، كما في الحديث المشهور في الصحيح و غيره (سبق المفردون) و هو من أشهر جبال الحجاز ، إن لم يكن أشهرها ، و ذلك لخطورة موقعه ، و كثرة من يطرقه ، فهو حلقة وصل الطرق في قلب الحجاز .

و قد تحدثت عنه كتب السير و اللغة و الآثار و كذلك كتب التاريخ و البلدان و الأخبار ، و قلما تجد مصنفا إلا و يذكره لتعطر ذكره بنفس سيد الأولين و الآخرين صلى الله عليه وسلم ، و اشتدت به عناية العلماء و البلدانيين و اللغويين والإخباريين عناية لا مثيل لها فمن متحر لضبط رسمه ولفظه و من مفتش عن عميق معنى اشتقاقه ، و من منتهض لتحرير مكان موقعه .

فكان هذا دافعا للسير في ركابهم و جمع شتات نثرهم في هذه الوريقات و التي نسأل الله أن ينفع بها .

المطلب الأول : ضبط رسمه و لفظه .

جُمْدان : بضم الجيم و إسكان الميم ، هكذا ضبطه العلماء واللغويون و البلدانيون في دواوينهم :

قال القاضي عياض في مشارق الأنوار (١٦٩/١) : جُمْدان : بضم الجيم و بدال مهملة و آخره نون .

و قال ابن الأثير في غريب الحديث (٢٩٢/٧) : جُمْدَان : هو بضم الجيم وسكون الميم في آخره نون .

و تابعه ابن منظور في لسان العرب حيث قال (١٣٢/٣) : جمدان : بضم الجيم وسكون الميم وفي آخره نون .

و قال الحازمي الهمذاني في الأماكن (٤١٠/١) : و أما الرابع (أي جُمْدان) : أوله جيم مضمومة ، و بعد الميم الساكنة دال مهملة .

و قال الحموي في معجم البلدان (١٦١/٢) : جُمْدَانُ : بالضم ثم السكون .

و قال القرطبي في شرح مسلم (٩/٧) : قوله : هذا جُمْدان هو بضم الجيم و سكون الميم .

و مثله النووي في شرح مسلم (٤/١٧) حيث قال : قوله جبل يقال له جمدان : هو بضم الجيم و إساكن الميم .

و قال في مراصد الاطلاع (٣٤٥/١) : جُمْدان : بالضم ثم السكون .

و ليس الغرض من إيراد هذه النصوص هو التكثر ، و إنما بيان شدة عناية العلماء بضبطه ، و تحرّيهم لرسمه ، بل إن المحدث يزيد بن هارون ، حينما وهم في لفظه تعقبه الأئمة



ذكر ذلك القاضي عياض في مشارق الأنوار (١٦٩/١) حيث قال : و صحفه يزيد بن هارون فقال فيه : جندان بالنون وصحفه بعض رواة مسلم فقال فيه : حمدان .

و حكى الحموي أن بعض رواة مسلم صحفوه إلى : حمران بدلا من حمدان الذي ذكره عياض حيث قال في معجمه (١٦١/٢) : فأما الذي في الحديث فقد صحّفه يزيد بن هارون فجعل بعد الجيم نونا ، وصحّفه بعض رواة مسلم فقال حمران ، بالحاء والراء .

و ممن صحفه من المتقدمين ، العلامة اللغوي أبو منصور الأزهري صاحب تهذيب اللغة ، نسب ذلك إليه الحموي في معجمه حيث قال (١٦١/٢) : وقال الأزهري: قال أبو هريرة مرّ النبيّ صلى الله عليه وسلم في طريق مكة على جبل يقال له : بُجدان فقال : سيروا هذه بجدان سبق المفردون فقالوا : يا رسول الله و من المفردون ؟ فقال : الذاكرون الله كثيرا والذاكرات هكذا في كتاب الأزهري بالباء الموحدة ثم الجيم ثم الدال ، وغيره يرويه كما ترجم به .

و قال في موضع آخر (٣٤٠/١) : بُجدان : بالضم ثم السكون اسم جبل في طريق مكة من المدينة ، روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان على بجدان فقال : هذا بجدان سبق المفردون ، قالوا : ومن المفردون ؟ قال : الذاكرون الله كثيرا والذاكرات ، كذا رواه الأزهري بالضم ثم السكون والدال مهملة ، **وأكثر الناس يرويه جمدان** ، وقد ذكر في موضعه .

و مثل هذه الأوهام لا تعيب أولئك الأئمة ، بجانب علومهم ومعارفهم التي نقلوها و إنما تظهر حرص المتقدمين على تنقيح التراث و نقله على أكمل وجه .

المطلب الثاني : أصل معناه و اشتقاقه .

قال ابن فارس في مقاييس اللغة (٤٧٧/١) : الجيم والميم والدال أصل واحد ، و هو جموس الشئ المائع من برد أو غيره : يقال جمد الماء يجمد .

و قال ابن سيده في المحكم و المحيط (٣٥٠/٧) : و الجُمْد والجُمُد و الجَمَد : ما ارتفع من الأرض ، و الجمع أجماد وجِماد .

وقال الجوهري في صحاحه (٤٩٥/٢) : والجُمْد مثل عُسْر وعُسُر : مكان صلب مرتفع. قال امرؤ القيس:

كأن الصوار إذ يجاهدن غدوة

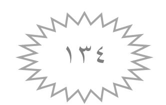
على جمد خيل تجول بأجلال

والجمع أجماد و جِماد ، مثل رمح و أرماح و رماح .

و ذكر البكري أن جُمْدان على بناء فُعْلان حيث قال في معجم ما استعجم (ص٣٩١) : جُمْدان : بضم أوله وبالدال المهملة على بناء فُعْلان .

ومثّل له الزَبيدي بعثمان حيث قال في تاج العروس (٥٢٢/٧) : و روى مسلم في صحيحه : هذا جمدان سبق المفردون ، هو كعثمان .

و ذهب بعض المعاصرين إلى أن بناء لفظه مثنى مستندا إلى الواقع المحسوس ، و لعله توهمه من كلام السمهودي حينما وصفه في وفاء الوفاء فقال (ص١١٧٧) : و قال الأزهري : مرّ النبي صلى الله عليه و سلم في طريق مكة على جبل يقال له



بجدان ، هكذا عنده بالباء الموحدة ، وعند غيره جمدان تثنية جمد .

و السمهودي كثير النقل عن الحموي فلعله قلده في معجمه حينما قال (١٦١/٢) : قال ابن سميل : الجُمْد قارة ليست بطويلة في السماء ، وهي غليظة تغلظ مرّة وتلين أخرى تنبت الشجر ، سمّيت جُمْدا من جمودها أي يبسها ، والجمد أضعف الآكام ، يكون مستديرا صغيرا ، والقارة مستديرة صغيرة طويلة في السماء ، لا ينقادان في الأرض ، وكلاهما غليظ الرأس ، ويسميان جميعا أكمة ، وجُمْدان ههنا كأنه تثنية جُمْد ، يدلّ عليه قول جرير لما أضافه إلى نعامة أسقط النون فقال :

طربت وهاج الشوق منزلة قفر

تراوحها عصر خلا دونه عصر

أقول لعمرو يوم جُمْدي نعامة

بك اليوم بأس لا عزاء ولا صبر

هذا إن كان جرير أراد الموضع الذي في الحديث وإلا فمراده أكمتا أو قارتا نعامة فيكون وصفا لا علما .

و لاشك أن الراجح ما ذكره البكري و أن بناءه أريد به المبالغة كحال كثير من المواضع في الحجاز و غيره ، كعسفان وضجنان و أما الواقع فلا دليل فيه على ذلك لأن الجبل تتخلله ثنايا كثيرة و ليس كما ذهب إليه بعض المتأخرين .

وهنا تنويه : فقد نقل الحموي هذا النص عن تهذيب اللغة للأزهري دون قوله : وجُمْدان ههنا كأنه تثنية جُمْد . إلا أنه وهم في النقل عنه حيث ذكر الأزهري في تهذيبه هذا الوصف لمادة (الجُمُد) و ليس (الجُمْد) .

قال الأزهري في تهذيب اللغة (٦٧٨/١٠) : و قال ابن شميل : الجُمُد قارة ليست بطويلة في السماء ، وهي غليظة تغلظ مرة وتلين أخرى ، تنبت الشجر ، و لا تكون إلا في أرض غليظة سميت جُمُداً من جمودها ، أي يبسها . والجُمُد : أصغر الآكام يكون مستديراً ، والقارة : مستديرة طويلة في السماء ولا ينقادان في الأرض ، وكلاهما غليظ الرأس ، ويسميان جميعاً أكمه .

و حتى لا نُتهم بتغليط الحموي رحمه الله ، فقد نقل ابن منظور هذا الوصف في لسان العرب (١٣٢/٣) عن الأزهري كما ذكرناه ، و مثله الزَبيدي في تاج العروس (٥٢٢/٧) فلتراجع .

و قد يكون خطأ من ناسخ المعجم ، أو وهما في نسخة الحموي التي نقل عنها و لم يتفطن له رحمه الله .



المطلب الثالث : موقعه و مكانه .

اعتنى المتقدمون من المحدثين و البلدانيين و المؤرخين وأهل السير بوصف موقع جبل جُمْدان و مكانه ، و ذلك لشهرته و ذيوع صيته و انتشار سمعته ، فوصفه كل بحسبه فمنهم من وصف موقعه بالمقاربة ، و منهم من وصفه بدقة ولكن توهمه واديا و ليس جبلا ، و منهم من جنح في وصف موقعه و أبعد النجعة ، و مع ذلك فإن مثل هذه الأوهام لا تضيرهم و لا تعيبهم ، لأن المتقدمين لا يتعمدون الغلط وإن حصل منهم فإنه إما بسبب ما وصلهم عنه من أخبار ، أو لرداءة النسخ التي اعتمدوا عليها ، و نحو ذلك من الأعذار الكثيرة التي يعتذر لهم بها .

و ممن وصف موقعه بالمقاربة و أجاد الوصف :

ابن سيده في المحكم و المحيط (٣٥٠/٧) حيث قال : جُمْدان : موضع بين قديد و عسفان .

و القاضي عياض في مشارق الأنوار (١٦٩/١) حيث قال : جمدان ... منزل من منازل أسلم بين قديد و عسفان .

و القاضي رحمه الله ينقل عن البكري و سيأتي .

و تابعه ابن قرقول في مطالع الأنوار (١٩٥/٢) فقال : جُمْدان بالميم والدال .... إلى أن قال : و هو منزل من منازل أسلم بين قديد وعسفان .

و القرطبي في شرح مسلم (٩/٧) حيث قال : هذا جمدان .. وهو جبل بين قديد و عسفان من منازل أسلم .

و قال البكري في معجم ما استعجم (ص٣) : وهو جبل في الحجاز بين قديد وعسفان من منازل بنى أسلم .

و قد تصحفت أسلم في مادة جُمْدان عند البكري إلي سليم حيث قال (ص٣٩١) : جمدان ... جبل بالحجاز بين قديد وعسفان ، من منازل بني سليم . قال مالك بن الريب :

سرت في دجى ليل فأصبح دونها

مشارف جمدان الشريف فغرب

و أما بيت مالك بن الريب فقد فقد ذكره الحموي في مادة جمران و ليس جمدان فانظره .

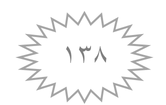
و ممن وصف موقعه بدقة و لكن توهمه واديا :

نصر الإسكندري في الأمكنة (٣٠٢/١) حيث قال : و أما بضم الجيم و سكون الميم و دال : واد بين ثنية غزال و بين أمج وأمج من أعراض المدينة ، و أيضا : جبل بين ينبع و بين العيص على ليلة من المدينة .

و قال أبو بكر بن موسى الحازمي الهمذاني في الأماكن (٤١٠/١) : جبل بين ينبع والعيص على ليلة من المدينة ... إلى أن قال : و أيضا واد بين ثنية غزال و أمج .

و قد رجح الشيخ الجاسر أن الحازمي ناقل عن الإسكندري وكذلك يظهر من صنيع الجاسر أنه لا يمنع وجود جبل آخر قرب المدينة يسمى جمدان حيث قال في حاشية تحقيقه على نصوص كتاب الأماكن للحازمي : قد يكون بين ينبع والعيص جبل يسمى جمدان .

قلت : قول الإسكندري أنه جبل بين ينبع و العيص على ليلة من المدينة و متابعة الحازمي له ، هذا وهم بلا شك ، و أما اعتذار الشيخ الجاسر لهما و تجويزه وجود جبل آخر فهذا من



أدبه رحمه الله ، فإنه لا أظهر على الوهم من قوله : على ليلة من المدينة ، فأين ينبع و العيص من المدينة ؟!.

فأما الذي على ليلة من المدينة فهو : جبل ورقان ، و لعله تصحف لدى المتقدمين إلى جمدان ، ثم تناقلوه بعد ذلك .

و أما الجبل الذي بين ينبع و العيص فهو : جبل رضوى ، و لا يعرف جبل يسمى جمدان هناك ، و الله أعلم .

و ممن أبعد النجعة في وصف موقعه ، ابن الأثير في غريب الحديث (٢٩٢/٧) حيث قال : جُمْدَان : .... جبل على ليلة من المدينة .

قلت : و الاختصار في النقل ظاهر في صنيعه رحمه الله .

و هناك من جمع الأقوال كلها و ترك الحكم للقارئ :

كالحموي في معجمه حيث قال (١٦١/٢) : وهو من منازل أسلم بين قديد وعسفان ، قال أبو بكر بن موسى : جمدان جبل بين ينبع والعيص على ليلة من المدينة ، وقيل جمدان واد بين ثنية غزال وبين أمج ، وأمج من أعراض المدينة .

و ابن منظور في لسان العرب حيث قال : و جمدان موضع بين قديد وعسفان .

قال حسان :

لقد أتى عن بني الجرباء قولهم

ودونهم دف جمدان فموضوع

جمدان : بضم الجيم وسكون الميم وفي آخره نون : جبل على ليلة من المدينة .

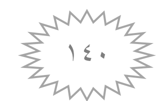
و الزَبيدي في تاج العروس (٥٢٢/٧) حيث قال : جبل بطريق مكة شرفها الله تعالى بين ينبع والعيص ، وقيل بين قديد وعسفان ، ويقال على ليلة من المدينة المشرفة ... إلى أن قال : و جمدان أيضا : واد بين أمج وثنية غزال .

وأما أفضل من وصف موقعه و حرره فهو ابن إسحاق حينما تحدث عن مسير تبع اليماني لمكة قافلا من يثرب ، أسنده إليه الإمام ابن جرير في تاريخه حيث قال (١٠٥/٢) : و كان تبع وقومه أصحاب أوثان يعبدونها ، فوجه إلى مكة ، وهي طريقه إلى اليمن ، **حتى إذا كان بالدف من جمدان بين عسفان وأمج في طريقه بين مكة والمدينة .**

و بناء عليه يمكن وصف موقع جُمدان و تحريره كالتالي : **جُمْدان : جبل على الطريق بين مكة و المدينة بين عسفان و أمج .**

و أما قول من قال : بين أمج و غزال ، فإن غزال ثنية تصب في عسفان ومتصلة به .

و كذلك قولهم : بين قديد و عسفان ، فإن قديدا خلف أمج وعليه يظهر صحة الزعم بأن قول ابن إسحاق أفضل هذه الأقوال و أجودها ، و الله أعلم .



المطلب الرابع : جُمْدان في الأحاديث و الآثار .

أعظم و أجل و أشرف و أكرم و أعطر ما يمكن ذكره في تاريخ هذا الجبل هو تعطر ذكره بأنفاس النبي صلى الله عليه وسلم و معرفته به و إشارته إليه و تنبيه أصحابه عليه ، في الحديث العظيم :

سبق المفردون .

قال الإمام مسلم في صحيحه : حدثنا أمية بن بسطام العيشي حدثنا يزيد (يعني ابن زريع) حدثنا روح بن القاسم عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير في طريق مكة فمر على جبل يقال له جمدان فقال سيروا هذا جمدان سبق المفردون ، قالوا : وما المفردون يا رسول الله ؟ قال الذاكرون الله كثيرا والذاكرات .

و أخرجه أحمد في مسنده (٩٣٣٢) و ابن حبان في صحيحه (٨٥٨) و البيهقي في شعب الإيمان (٥٠٢) .

و قد تابع عبدالرحمن بن يعقوب عن أبي هريرة أبو سلمة بن عبدالرحمن ، و لم يذكر جمدان ، أخرج هذه الرواية الترمذي في سننه (٣٥٩٦) و البيهقي في شعب الإيمان (٥٠٤) .

و تابع العلاء عن أبيه يحي بن كثير ، و لم يذكر جمدان ، أخرج هذه الرواية الحاكم في مستدركه (١٨٤٧) .

و لكن رواية العلاء عن أبيه عبدالرحمن عن أبي هريرة هي **الأثبت و الأصح** لذلك أخرجها الأئمة في الصحاح .

الرواية الثانية : أين السابقون ؟!

و قد رُوي نحو هذا الحديث أو قريب منه بطريق آخر عن معاذ بن جبل رضي الله عنه ، و ذكر فيه جمدان .

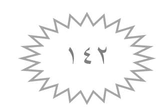
قال الحافظ ابن رجب في جامع العلوم والحكم (حديث ٥٠) : وروى موسى بن عبيدة عن أبي عبد الله القراظ ، عن معاذ بن جبل قال : بينما نحن مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نسير بالدف من جمدان إذ استنبه ، فقال : يا معاذ أين السابقون ؟ فقلت : قد مضوا وتخلف أناس . فقال : يا معاذ إن السابقين الذين يستهترون بذكر الله عز وجل . خرجه جعفر الفريابي .

رواه الحافظ إسحاق بن راهويه في مسنده ، و قد أخرجه موصولا إليه ، الإمام الثعلبي في الكشف و البيان من طريق الفريابي عن ابن راهويه ، في تفسير سورة العنكبوت ، آية : ولذكر الله أكبر .

و الحافظ ابن حجر في نتائج الأفكار (٣٦/١) إلا أنه قال : يهترون بدلا من يستهترون وقد أثبتها في المطالب العالية (٣٣٩٢) .

وروى هذا الحديث مختصرا بدون ذكر جمدان الحافظ ابن أبي شيبة في مصنفه (٣٠٠٥٢ – ٣٦٠٦٩) و من طريقه الطبراني في الكبير (١٥٧/٢٠) .

و عزاه الحافظ السيوطي إلي ابن أبي شيبة و ابن مردويه تاما في الدر المنثور ، تفسير (اذكروا الله ذكرا كثيرا) الأحزاب .



و معنى عبارة : يستهترون أو يهترون ، ليس كما يتبادر إلى ذهن العوام اليوم **، و إنما كشف عن معناها الحفاظ الذين قووا هذا الحديث** و استشهدوا به ، كابن رجب و غيره .

قال الحافظ ابن رجب في جامع العلوم و الحكم : ومن هذا السياق يظهر وجه ذكر السابقين في هذا الحديث فإنه لما سبق الركب وتخلف بعضهم نبه النبي ﷺ على أن السابقين على الحقيقة هم الذين يدمنون ذكر الله ويولعون به فإن الاستهتار بالشيء هو الولوع به والشغف حتى لا يكاد يفارق ذكره وهذا على رواية من رواه المستهترون ورواه بعضهم فقال فيه الذين اهتروا في ذكر الله فسر ابن قتيبة الهتر بالسقط في الكلام كما في الحديث المستبان (شيطانان يتكاذبان ويتهاتران) قال والمراد من هذا الحديث من عمر وخرف في ذكر الله وطاعته .

و أما حديث : هذ جمدان سبق المفردون ، فقد استشهد العلماء به على فضل الذكر ، كالإمام مسلم و غيره .

و قد استشكل العلامة ياقوت الحموي ارتباط عبارة : سبق المفردون ، بجبل جمدان و خفي عليه وجه ذلك حيث قال في معجمه (١٦١/٢) : قلت أنا : ولا أدري ما الجامع بين سبق المفردين و رواية جمدان ، ومعلوم أن الذاكرين الله كثيرا والذاكرات سابقون وإن لم يروا جمدان ، ولم أر أحدا ممن فسر الحديث ذكر في ذلك شيئا وقال كثيّر يذكر جمدان ويصف سحابا :

سقى أمّ كلثوم على نأي دارها

ونسوتها جون الحيا ثم باكر

أحمّ زحوف مستهلّ ربابه

له فرق مسحنفرات صوادر

تصعّد في الأحناء ذو عجرفيّة

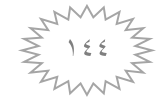
أحمّ حبركى مزحف متماطر

أقام على جمدان يوما وليلة

فجمدان منه مائل متقاصر

و هذا الاستشكال و خفاء المعنى على هذا العلم رحمه الله لا يعيبه و لا يُنقص من قدره و رتبته ، بل يكشف عن تواضعه وسماحة نفسه ، حيث كان بوسعه السكوت و إغفال الكلام عنه ، و لكن لعله أراد التنبيه على تحريره لمن يأتي بعده فكان ذلك بحول الله تعالى و قوته ، حيث أنه لما اطلع الحافظ السمهودي مؤرخ المدينة على استشكال الحموي انتهض للإجابة عليه ، و قد ذكر عدة احتمالات لتفسير ذلك و لعل أرجحها قوله (ص١١٧٧) : و يحتمل أنه لما كان الذكر مطلوبا في الصعود وهبوط الأودية قارن رؤية جمدان أحد الأمرين فذكرهم بذلك ، أي هذا جمدان صعدتم ثنيته أو هبطتم واديه فاذكروا الله ، أو هو سبب السبق .... إلى أن قال : فاتضح ما أشكل على ياقوت حيث قال : لا أدري ما الجامع بين سبق المفردين ورؤية جمدان ، ومعلوم أن الذاكر سابق ، قال : ولم أر أحدا ذكر في ذلك شيئا .

قلت : و ما ذكره ينطبق على الدَّف : دف جمدان و ليس هو بثنية كما تقدم .



تبّع اليماني بالدَّف من جمدان .

و مما يذكر في تاريخ جبل جمدان ، مرور تبع اليماني به أثناء منصرفه من يثرب و حربه للأوس و الخزرج قبل بعثة النبي صلى الله عليه و سلم بمدة ، حيث استدرجته قبيلة هذيل لهدم الكعبة لإرادة إهلاكه ، هكذا زعم من رواه .

قال الإمام الحافظ ابن جرير الطبري في تاريخه (١٠٥/٢) : حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة قال حدثني محمد ابن إسحاق قال :..... و كان تبع وقومه أصحاب أوثان يعبدونها ، فوجه إلى مكة ، وهي طريقه إلى اليمن ، **حتى إذا كان بالدف من جمدان بين عسفان وأمج** في طريقه بين مكة والمدينة أتاه نفر من هذيل ، فقالوا له : أيها الملك ، ألا ندلك على بيت مال داثر ، قد أغفلته الملوك قبلك ، فيه اللؤلؤ والزبرجد و الياقوت و الذهب و الفضة ؟ قَالَ : بلى قالوا : بيت بمكة يعبده أهله ، ويصلون عنده وإنما يريد الهذليون بذلك هلاكه لما قد عرفوا من هلاك من أراده من الملوك وبغى عنده ، فلما أجمع لما قالوا ، أرسل إلى الحبرين فسألهما عن ذلك فقالا له : ما أراد القوم إلا هلاكك وهلاك جندك ولئن فعلت ما دعوك إليه لتهلكن وليهلكن من معك جميعا قال : فماذا تأمرانني أن أصنع إذا قدمت عليه ؟ قالا : تصنع عنده ما يصنع أهله تطوف به وتعظمه وتكرمه وتحلق عنده رأسك وتتذلل له حتى تخرج من عنده قال : فما يمنعكما أنتما من ذلك ؟ قالا : أما والله إنه لبيت أبينا إبراهيم وإنه لكما أخبرناك ولكن أهله حالوا بيننا وبينه بالأوثان التي نصبوا حوله ، وبالدماء التي يهريقون عنده ، وهم نجس أهل شرك أو كما قالا له ، فعرف نصحهما وصدق حديثهما ، فقرب النفر من هذيل فقطع أيديهم وأرجلهم ثم مضى حتى قدم مكة ، و أري في المنام أن يكسو البيت فكساه الخصف ثم

أري أن يكسوه أحسن من ذلك، فكساه المعافر ثم أري أن يكسوه احسن من ذلك فكساه الملاء والوصائل فكان تبع - فيما يزعمون - أول من كساه وأوصى به ولاته من جرهم وأمرهم بتطهيره .... إلى أن قال : حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض أصحابه .....

ثم ذكر أبياتا نسبها لتبع منها :

حتى أتاني من هذيل أعبد

بالدف من جمدان فوق المسند

قالوا بمكة بيت مال داثر

و كنوزه من لؤلؤ و زبرجد

فأردت أمراً حال ربي دونه

والرب يدفع عن خراب المسجد

و قد روى هذه القصة ابن هشام في تهذيبه للسيرة و لكن بدون ذكر : بالدف من جمدان ، و لا قصيدة تبع و لعلها سقطت من رواية البكائي أو اختصرها ابن هشام .

و رواها الحافظ البيهقي في دلائل النبوة (١١٤/١) من طريق يونس بن بكير عن ابن إسحاق باختلاف يسير ، فأثبتها .

ومثله ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٥/١١) .

و في القطعة التي عُثر عليها من سيرة ابن إسحاق برواية ابن بكير (ص٥٣) ، أثبتها كالبيهقي .

و أخرجها الأزرقي في أخبار مكة (١٣٢/١) عن ابن إسحاق من طريق عثمان بن ساج ، و أثبتها .



و هذا الخبر أصله رواية أبي بن كعب أخرجها ابن سعد في الطبقات (١٣٣/١) فقال : أخبرنا محمد بن عمر بن و اقد الأسلمى قال : حدثنى سليمان بن داود بن الحصين عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس عن أبى بن كعب قال **: لما قدم تبع المدينة و نزل بقناة** فبعث إلى أحبار اليهود فقال : إنى مخرب هذا البلد حتى لا تقوم به يهودية و يرجع الأمر إلى دين العرب .

و رواها ابن إسحاق بدون إسناد إلا أن تلامذته المتقدمين في روايتهم عنه ذكروا فيها ما يفيد اقتباسه منها ، ففي رواية يونس بن بكير التي أخرجها ابن عساكر كما تقدم قال : ثم إن تبعا أقبل من مسيره الذي كان سار يجول الأرض فيه **حتى نزل على المدينة فنزل بوادي قناة** .

و كان ابن إسحاق يتعاهدها بالتهذيب و التنقيح و الزيادة والحذف و هذا يظهر من اختلاف الرواة عنه بحسب طبقاتهم في الأخذ عنه ، فلما انتقل إلى العراق اتصل بابن السائب الكلبي فأخذ عنه و لم يسمه ، حيث نجد تطابقا كبيرا بين روايتيهما ، قال الأصفهاني في ترجمة أحيحة بن الجلاح (٢٩/١٥) : وأما السبب في قول أحيحة هذا الشعر فإن أحمد بن عبيد المكتب ذكر أن محمد بن يزيد الكلبي حدثنا وحدثه أيضاً هشام بن محمد بن الشرقي بن القطامي قال هشام وحدثني به أبي أيضاً قال وحدثني رجل من قريش عن أبي عبيدة بن عمار بن ياسر قال وحدثني عبد الرحمن بن سليمان الأنصاري قالوا جميعاً أقبل تبع الأخير وهو أبو كرب بن حسان بن أسعد الحميري من اليمن سائراً يريد المشرق كما كانت التبابعة تفعل فمر بالمدينة فخلف بها ابناً له ومضى حتى قدم الشأم ثم سار من الشأم حتى قدم العراق فنزل

بالمشقر فقتل ابنه غيلة بالمدينة فبلغه وهو بالمشقر مقتل ابنه فكرّ راجعاً إلى المدينة ..... إلى أن قال :

ثم أقبل حتى دخل المدينة وهو مجمع على إخرابها وقطع نخلها واستئصال أهلها وسبي الذرية فنزل بسفح أحد فاحتفر بها بئراً فهي البئر التي يقال لها إلى اليوم بئر الملك ثم أرسل إلى أشراف أهل المدينة ليأتوه فكان فيمن أرسل إليه زيد بن ضبيعة بن زيد بن عمرو بن عوف وابن عمه زيد بن أمية بن زيد وابن عمه زيد بن عبيد بن زيد وكانوا يسمون الأزياد وأحيحة بن الجلاح .... إلى أن قال :

ثم مضى حتى إذا كان **بحمدان** جاءه نفر من هذيل فقالوا له اجعل لنا جعلا وندلك على بيت مال فيه كنوز من اللؤلؤ والياقوت والزبرجد والذهب والفضة ليست لأهله منعة ولا شرف .

قلت : قوله حمدان ، تصحيف ظاهر ، و قد ظهر من هذا النص من أين اقتبس ابن إسحاق تلك الإضافات والتنقيحات على رواية أبي بن كعب فيما بعد .

و لأجل ذلك اضطرب ابن إسحاق فيها اضطرابا دعاني للتوقف في الاحتجاج بها و إنما أرويها كنص تاريخي أورد ذكر جمدان فقط دون الاحتجاج بمحتواه و إن كنت لا أنكر القصة فقد تصح و لكن تحتاج لفحص و نظر ليس هذا موضعه .

و من ذلك قوله في رواية يونس بن بكير أن أحيحة ابن الجلاح قدم على تبع و تحدث معه ، أي أن الحادثة وقعت في زمن هاشم بن عبد مناف ، لأن أحيحة تزوج أم عبدالمطلب بعد وفاة هاشم كما هو مشهور في أنساب قريش



ثم قال في رواية يونس و سلمة و البكائي : أن تبعا أوصى ولاة الحرم من جرهم ، و قال في رواية عثمان بن ساج عند الأزرقي أن التتابعة ثلاثة الأول في زمن خزاعة و الثالث في أول زمن قريش .

فهذا كله يدل على أن الرواية لم تحفظ و أن الأقلام حاولت الوصول إلى بعض الحقيقة و لكن لم تفلح .

قصة الخزاعية مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

و مما يروى في تاريخ جمدان أيضا تلك القصة الطريفة لامرأة خزاعية يظهر أنها من أهل أمج اعترضت طريق أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أثناء مسيره تشتكي إليه من بعض الأمور وقد أوردها الإمام ابن حزم في المحلى حيث قال :

قال الإمام ابن حزم في كتابه المحلى (١٧٤/٩) : وروينا من طريق أبي عبيد نا يزيد بن محمد بن إسحاق عن محمد بن إسحاق عن يعقوب بن عبد الرحمن عن عبد الله بن عامر بن ربيعة قال إنا لنسير مع عمر بن الخطاب بالرف من جمدان إذ عرضت له امرأة من خزاعة شابة فقالت: يا أمير المؤمنين إنى امرأة أحب ما تحب النساء من الولد وغيره ولى زوج شيخ ووالله برحنا حتى نظرنا إليه يهوى شيخ كبير فقال لعمر: يا أمير المؤمنين انى لمحسن إليها وما ألوها فقال له عمر أتقيم لها طهرها فقال : نعم ، فقال لها عمر : انطلقي مع زوجك والله إن فيه لما يجزئ أو قال يغنى المرأة المسلمة .

قصة كثير الخزاعي مع قرينه بجمدان .

وأورد الأصفهاني في كتابه الأغاني قصة غريبة لكثير الخزاعي الشاعر المعروف تظهر بدايته مع نظم الشعر و سببه فقال (١٩/٩) : أخبرنا الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني عمي قال

قال كثير : ما قلت الشعر حتى قولته قيل له وكيف ذاك؟ قال : بينا أنا يوماً نصف النهار أسير على بعيرٍ لي بالغميم أو بقاع حمدان ، إذا راكبٌ قد دنا مني حتى صار على جنبي فتأملته فإذا هو من صفر وهو يجر نفسه في الأرض جراً فقال لي : قل الشعر و ألقاه عليه قلت : من أنت ؟ قال : أنا قرينك من الجن فقلت الشعر .

قلت : حمدان هنا تصحيف بين لجمدان بقرينة الغميم فهو بالقرب منه ، و كذلك لورود جمدان في شعر كثير كما نقله عنه الحموي و قد تقدم .

و قد جاء سياق أبيات الحموي عند الهمداني في الصفة بألفاظ أخرى حيث قال : و قال يصف الغيث على كثير من الحجاز :

سقى أمَّ كلَّثوم على نأي دارها

ونسوتها جون الحناتم باكر

أحمٌّ رجوف مستهل ربابه

له فرق مسحنفرات صوادر

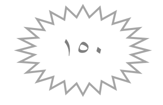
تصعَّد في الأحناء ذو عجرفيَّة

أحم حبركي مرجف متماطر

وأعرض من ذهبان مغرورق الذرى

تربَّع منه بالِّنطاف الحواجر

قال الهمداني : و ذهبان برحبة صنعاء ، (وهذا وهم !!)



أقام على جمدان يوماً وليلة

فجمدان منه ماثل متقاصر

و إلى هنا انتهى الكلام عن المرويات التي ذكرت جمدان حسب اطلاعي و إن كنت أجزم أن هناك الكثير من مثلها ولكن تحتاج إلى تفتيش ليس بالوسع التفرغ له ، و لعل من يأتي و يكمل الطريق .

و أما رواية موسى المديني فسنرجئ الكلام عليها في مطلب : الدف ، لتعلقها به و الله أعلم .

المطلب الخامس : الدَّف (دَفُّ جُمْدان) .

و مما يتعلق ذكره بجبل جُمْدان ، دَفُّ جُمْدان ، و قد تقدم شواهد ذلك في النصوص التي أوردناها في المطلب السابق فهما متّحِدان في الذكر كاتّحِادِهما في المكان .

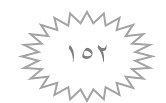
قال الحموي في معجمه (٤٥٨/٢) : الدَّف : بلفظ الدُّف الذي ينقر به ، موضع في جمدان من نواحي المدينة من ناحية عسفان .

و قد جاء في سبب تسميته بالدف رواية أخرجها الأزرقي في أخبار مكة عن موسى بن أبي عيسى المديني أحد أتباع التابعين حيث ذكر أن تبع اليماني حينما سار إلى مكة و قد همّ بها همّ السوء ، دفّت بهم دوابهم ، فلذلك سمي بالدَّف .

قال الأزرقي في أخبار مكة (١٣٢/١) : حدثني جدي قال : حدثنا سفيان بن عيينة عن موسى بن عيسى المديني قال : لما كان تبع بالدف من جمدان بين أمج وعسفان دفت بهم دوابهم وأظلمت الأرض عليهم فدعا أحباراً كانوا معه من أهل الكتاب فسألهم فقالوا : هل هممت لهذا البيت بشيء ؟ قال : أردت أن أهدمه ، قالوا : فانو له خيرًا أن تكسوه وتنحر عنده ففعل فانجلت عنهم الظلمة ، وإنما سمي الدف من أجل ذلك .

و أخرجها الحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٠/١١) .

و قوله : و إنما سمي الدف من أجل ذلك ، فهذا ضعيف وأشبه بالأساطير التي تزاد في الأخبار ، لأن مسمى الدف من الأسماء المتكررة عند أهل الحجاز و قلما تجد جهة منه إلا وبها هذه التسمية ، و من ذلك أيضا ، الفج و البرقاء و الصمد و في الأودية ، المضيق و الحلق و الشعبة واللصب .



و الجدير بالذكر أن اسم الراوي قد تصحف في كتاب الأزرقي و صوابه كما في تاريخ دمشق : موسى بن أبي عيسى المديني .

وقفة :

وقبل أن **أختم** هذا المبحث أود أن أشير إلى أمر تلزمني الأمانة العلمية الوقوف معه و هو ما ذكره أحد المعاصرين عن جبل جمدان و أنه في ديار الجحادلة من زبيد من حرب .

وهذا لا يقول به أبناء قبيلة الجحادلة أنفسهم ، فضلا عن رواة و عوارف قبيلة زبيد من حرب بمحافظة خليص !!.

و كان الأجدر بذلك الكاتب أن يربأ بنفسه عن مثل هذه التخاليط ، و لا أريد أن أصفها بوصف آخر يليق بها و لكن تغيير الحقائق يسقط العدالة و يخرم المروءة و يعود على صاحبه بالوبال طال الزمن أم قصر .

و لولا أني رأيت أوهام ذلك الكاتب قد تسربت إلى بعض باحثي محافظة خليص و مثقفيهم لما رفعت بها رأسا ، فما أكثر الكتاب اليوم ، و ما أكثر ما زبروا !.

المبحث الخامس : ثنية لِفت .

ثنية لِفت : من أخطر المواقع في الحجاز ، كونها المنفذ الوحيد أمام قوافل الحج و التجارة للتحرك بين المسجدين حيث أن سلوك الطرق الأخرى كالنجدية أو الساحلية يؤدي لزيادة الكلفة على القوافل ، خاصة لمن رغب في اختصار الزمن و المسافة .

لذلك اشتدت عناية الدول الإسلامية بها على مر التاريخ بتعاهد إصلاحها و ترميم طريقها و تكليف من يقوم بذلك وبحفظ الطريق الذي يطرقها و يمر بها ، و رتبت على ذلك المخصصات و أجزلت لهم الهدايا و الأعطيات .

و قد جاء ذكرها في بعض طرق حديث : الوادي الأزرق المخرج في الصحيح فاحتفى بها أهل التدوين لأجل ذلك فاعتنوا بضبط رسمها و نطق لفظها و تحرير موقعها و تحديد موضعها .

و كذلك ورد ذكرها في كتب السير و المغازي ، في خبر طريق الهجرة ، و كان لذلك الإيراد أثر في حدوث بعض النقاشات والتعقبات بين المشتغلين فيها من شراح السيرة أو المعتنين بتهذيبها ، مما أدى لزيادة العناية بها .

و أما ذكرها في كتب الرحلات فهذا يصعب حصره ، و قلما تجد مصنفا في أدب الرحلة إلا ويذكر شيئا من خبرها أو طرفا من وصفها ، و بخاصة وعورة مسلكها و تكبد المشاق في طرقها .

و لذلك سيكون الكلام عنها في مطالب كالتالي :

المطلب الأول : ضبط رسمها و لفظها .

لِفْت : اعتنى المتقدمون بضبط رسمها و تقييد لفظها و ذلك لشيوع أمرها و شهرتها بين المواضع في قلب الحجاز .

قال البكري في معجم ما استعجم (ص١١٥٨) : لفت : بفتح أوله و كسره معا ، وإسكان ثانيه ، بعده تاء معجمة باثنتين من فوقها .

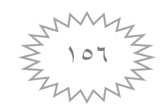
و زاد القاضي عياض في مشارق الأنوار (١٩٨/٣) وجها آخر في ضبطها حيث قال : لفت : ذكره مسلم في حديث الإسراء قيدناه على القاضي الشهيد ، لَفَت : بفتح اللام و الفاء و على أبي بحر ، لَفْت : بفتح اللام و سكون الفاء ، و ذكره غيرهما لِفْت : بكسرها ، و كذا ثبتني فيها أبو الحسين بن السراج وكذا ذكرها ابن هشام في السير .

و تابعه ابن قرقول في المطالع حيث قال (٤٨٠/٣) : في مسلم : لَفْت : بفتح اللام و سكون الفاء قيدناه عن أبي بحر ، ولَفَت : بفتحهما عن القاضي أبي علي ، و قيده غيرهما ، لِفْت : على وزن مِثل ، و كذا نبهني عليها أبو الحسين ، و كذا ذكرها ابن هشام .

و الراجح من ذلك الرسم قول من ضبطها بالكسر لأمور :

١- ما نقله السهيلي عن أبي بحر أنه تحرى ضبطها في شعر هذيل فوجدها بهذا الضبط .

قال السهيلي في الروض الأنف (٣٢٧/٢) : وألفيت في حاشية الشيخ على هذا الموضع قال : لفت بكسر اللام ألفيته في شعر معقل هذا في أشعار هذيل في نسختي وهي نسخة صحيحة جدا ، وكذلك ألفاه من وثقته وكلفته أن ينظر فيه



لي في شعر معقل هذا في أشعار هذيل مكسور اللام في نسخة أبي علي القالي المقروءة على الزيادي ثم على ثم على الأحول ثم قرأتها على ابن دريد رحمه الله وفيها صريحا محلبا وكذلك كان الضبط في هذا الكتاب قديما ، حتى ضبطه بالفتح عن القاضي ، و على ما وقع في غيرها ، انتهى كلام أبي بحر .

و نقله الحموي في معجمه و لكن وقع في نقله تصحيف حيث قال (٢٠/٥) : قال الشيخ أبو بحر : لِفْت ، بكسر اللام ألفيته في شعر معقل الهذلي في أشعار هذيل وهو قوله :

لعمرك ما خشيت وقد بلغنا

جبال الجوز من بلد تهامي

نزيعا محلبا من آل لفت

لحي بين أثلة فالنجام

قال أبو بحر : كذا هو في نسختي وهي نسخة صحيحة جدا وكذلك ألفاه من وثقته وكلفته أن ينظر لي في شعر معقل هذا في شعر هذيل مكسور اللام في نسخة أبي علي القالي المقروة على الزيادي بن علي الأحول ثم قرأها على ابن دريد .

٢- و كذلك ما نقله الحموي عن كتاب السكري أنه ضبَطها فيه بالكسر حيث قال (٢٠/٥) : و في كتاب السكري المقرو على الرماني لفت ، بكسر اللام .

و قد اختار هذا الضبط من الشراح النووي رحمه الله في شرح مسلم حيث قال (٢٣٠/٢) : هكذا ضبطناها لفت بكسر اللام و إسكان الفاء و بعدها تاء مثناة من فوق .

و أما الاختلاف الذي حكاه الحموي في معجمه حينما قال : (٢٠/٥) : وقد اختلف القول في هذا الحديث فمنهم من قال لفت ومنهم من قال لقف وهما موضعان في الطريق بين مكة والمدينة .

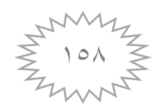
فأصله تعقب ابن هشام رحمه الله في كتابه تهذيب السيرة للإمام ابن إسحاق عند إيراده لخبر طريق هجرة النبي صلى الله عليه وسلم و مروره بوادي لِقْف أحد روافد وادي الفرع والذي يطرقه الطريق من الجحفة إلى مدلجة مجاح فقال (٨٧/٢) : ويقال : لِفْتا .

و قد ضبطها ياقوت نقلا عن سيرة ابن هشام في معجمه حيث قال (٢٠/٥) : ذكر ابن هشام في السيرة في قصة الهجرة : بعد ثنية المرة لفتا ، بكسر اللام وسكون الفاء والتاء مثناة من فوقها .

و تقدم أيضا حكاية ضبط ابن هشام لها بالكسر من كلام القاضي عياض و ابن قرقول .

و هذا الذي ذكره ابن هشام وهم بلا شك ، و تعقب متعقب و كلام الإمام ابن إسحاق صحيح لا غبار عليه ، و أما قول ابن هشام فيلزم منه رجوع النبي صلى الله عليه و سلم إلى مكة هذا إن قصد ثنية لفت !. و لكن الذي يظهر من صنيعه أنه ظنه تصحيفا ، و هو ليس كذلك ، و مع ذلك فهو لا يضيره ويغتفر في بحار فضله و علمه الذي نشره في ذلك التهذيب رحمه الله برحمته الواسعة .

و كذلك فإن هذا الوهم الذي وقع فيه ابن هشام يعتبر أحد أوجه تقوية ضبط لام لفت بالكسر ، لأن الأصل الذي تصحف عنه مكسور اللام أيضا .



قال الحازمي في الأماكن (ص٨١٩) : و أما الثاني (أي لِقف) بكسر اللام و بعد القاف فاء .

و ضبطه ابن هشام في تهذيبه مثله .

و قد وهم الحموي في معجمه حيث نسب للحازمي ضبطه بفتح أوله فقال (٢١/٥) : لقف : ضبطه الحازمي بفتح أوله وسكون ثانيه ، وقال عرام : لقف ماء آبار كثيرة عذب ليس عليها مزارع ولا نخل فيها لغلظ موضعها وخشونته ، وهو بأعلى قوران واد من ناحية السوارقية على فرسخ ، وفي لقف ولفت وقع الخلاف في حديث الهجرة وكلاهما صحيح هذا موضع وذاك آخر .

و الظاهر أنه تصحيف وقع في نسخته لأن البقاعي ذكره بالكسر في مختصره حيث قال في مراصد الاطلاع (ص١٢٠٧) : لقف : بكسر أوله ، وسكون ثانيه : ماء آبار كثيرة عذب ليس عليها مزارع ولا نخل ، لغلظ موضعها وخشونته بأعلى قوران واد من السوارقية على فرسخ .

و مثله السمهودي في الوفاء و هو ينقل عن الحموي أو عمن نقل عنه فقال (ص١٢٩٧) : لقف : بالكسر وسكون القاف ثم فاء آبار عذبة ليس عليها مزارع ولا نخل بأعلى قوران واد بناحية السوارقية ، وفي لقف ولفت وقع الخلاف في حديث الهجرة وكلاهما صحيح هذا موضع وذاك آخر ، قاله المجد والصحة من حيث وجود الموضعين مسلمة ، لكن ناحية السوارقية ليست في طريق الهجرة .

المطلب الثاني : أصل المعنى و الاشتقاق .

قال ابن فارس في معجم مقاييس اللغة (٢٥٨/٥) : لفت : اللام و الفاء و التاء كلمة واحدة تدل على الليّ و صرف الشيء عن جهته المستقيمة ، منه ، لفتُّ الشيء : لويته ، و لفتُّ فلانا عن رأيه : صرفته .

و قال الأزهري في تهذيبه (٢٨٥/١٤) : قال الفراء في قول الله عز وجل (قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا) قال : الَّلفت ، الصرف .

يقال : ما لَفَتَك عن فلان أي ما صرفك عنه .

و قال الليث : الَّلفت لي الشيء عن جهته كما تقبض على عنق إنسان فتلفته ، و أنشد :

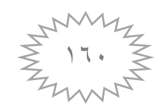
و لَفْتن لفتات لهن خضاد

و هذا المعنى هو الراجح : و هو منطبق على ثنية لفت انطباقا تاما لأن الثنية تصرف من يطرقها عن جهته المستقيمة أثناء مسيره لانعطافها بعض الشيء و التوائها .

و قد يكون معناها من الشِّق أي جانب الشيء .

قال في تاج العروس (٧٩/٥) : و الِّلفت شق الشيء و صغوه أي جانبه .

و قد سبقني لتحرير اشتقاق لِفت و أصل معناها العلامة الحموي رحمه الله في معجمه حيث قال (٢٠/٥) : قلت : ولكل معنى في كلامهم ، أما لفت ، بالفتح ثم السكون ، فهو الصرف ، تقول : ما لفتك عن فلان أي ما صرفك ، وقيل : اللّفت الليّ عن جهته و منه الالتفات ، وأما اللِّفت فيقال :



لِفت فلان مع فلان كقولك صغاه ، و لفتاه : شقاه ، وأما المحرك فيجوز أن يكون منقولا عن الفعل من قولهم : لفت فلان فلانا أي صرفه ثم استعمل اسما .

المطلب الثالث : موقع ثنية لفت من الحجاز .

القول الأول : أقوال أبي سعيد السكري و مروياته .

قال السكري (ت٢٧٥) في شرح ديوان هذيل (ص٣٧٧) : لفت : عقبة بطريق مكة عن أبي عبدالله ، و قال الجمحي : هي ثنية جبل قديد .

و قال السكري في موضع آخر (ص٩٤٧) : لفت : مكان بين مكة و المدينة ، ويقال : ثنية .

ثم تلقفتْ أقوالَه أقلامُ العلماء بعد ذلك .

قال البكري في معجمه (ص١١٥٨) : لفت ... موضع بين مكة والمدينة .

و قال القاضي عياض في المشارق (١٩٨/٣) : لفت ... وهي ثنية بين مكة و المدينة .

و قال ابن قرقول في المطالع (٤٨٠/٣) : لفت ... و هي ثنية بين مكة و المدينة .

و جمع الحموي أقوال السكري في معجمه فقال (٢٠/٥) : وقال السكري : لفت مكان بين مكة والمدينة ، ويقال ثنية .

و قال أيضا : و في كتاب السكري المقرو على الرماني لفت : بكسر اللام وقال : هي عقبة بطريق مكة عن أبي عبد الله وقال الجمحي : هي ثنية جبل قديد .

القول الثاني : قول الحازمي في الأماكن .



قال الحازمي الهمذاني في الأماكن (ص٨١٨) : باب لفت ولقف أما الأوّل : بفتح اللام بعده فاء ساكنة ثم تاء فوقها نقطتان : واد قريب من هرشى عقبة بالحجاز ، بين مكّة والمدينة .

و نقله عنه الحموي مكسور الأول فقال في معجمه (٢١/٥) : من روى لفت بالكسر ، هو واد قريب من هرشى عقبة بالحجاز بين مكة والمدينة .

و هذا القول مبناه وهم ابن هشام الذي ناقشناه في المطلب السابق . فطريق النبي صلى الله عليه وسلم يمر بوادي لِقف الذي ذكره ابن إسحاق ، و هو قريب من ثنية هرشى .

فقال ابن هشام : و يقال لفتا .

تحقيق وصف موقعه :

وصف ثنية لفت بأنها بين مكة و المدينة وصف حسن و لا بأس به إلا أنه مجمل بعض الشيء ، لأن المسافة بين مكة والمدينة طويلة جدا ، فتبقى نفس الباحث متشوفة لمعرفة مزيد تفصيل عن جهتها و إلى أي المواقع هي أقرب .

و قول الجمحي و هو عبدالله بن إبراهيم : هي ثنية جبل قديد أبان عن بعض الإجمال و قيده من الجهة الشمالية مما يلي المدينة .

و قيد البكري موقعها من الجنوب مما يلي مكة عند حديثه عن قبر ربيعة بن مكدم فقال هي من الكديد إذن ، و الكديد يقع جنوب أمج كما سيأتي .

و عليه يكون وصف موقعها كما يلي : **ثنية بين مكة والمدينة تصل أمجا بقديد .**

المطلب الرابع : ثنية لفت في الأحاديث و الأخبار .

تقدم الحديث في مقدمة المبحث عن أهمية ثنية لفت من حيث الموقع ، و أنها المنفذ الوحيد أمام قوافل الحجيج والتجارة للتحرك بين المسجدين بسرعة و بمسافة أقصر .

و تقع ثنية لفت في ديار خزاعة العدنانية على الراجح من أقوال النسابين ، و هي تصل قديدا ديار بني كعب من خزاعة بأمج .

و أما أقدم خبر يصلنا عنها فيما وقفت عليه من دواوين التاريخ فهو يوم لفت ، و الذي أغار فيه معقل بن خويلد السهمي الهذلي على بني كعب من خزاعة ، و ذلك قبيل البعثة النبوية .

يوم لفت .

قال السكري في شرح أشعار هذيل (ص٣٧٧) : حدّثنا الحلوانى قال: حدّثنا أبو سعيد السكرى قال: قال الجمحى وأبو عبد الله : كان من حديث **بني سهم** بن معاوية أن معقل بن خويلد غزا بهم خزاعة ، فأصاب منهم دارا عظيمة **بلفت** و أصابوا نعما وسبيا كثيرا ، فخرجوا بما هنالك يسوقونه حتى اطلعوا الرجيع و تغاوث **بنو كعب** ، فخرجوا بجمع عظيم حتى أدركوا معقلا وأصحابه ببطن الرجيع ، وقد أمنوا واغتروا و وضعوا السلاح ، وهم على ماء يغتسلون ، فعدت عليهم بنو كعب وهم على تلك الحال مغترون فقتلوا منهم رجلين يقال لهما العمران ، و وثبوا على معقل و هو يغتسل فواثبهم معقل فقتل منهم ثلاثة إخوة بني أبي صرد ، وكلهم بطل يعانقه هذا ويضربه هذان ، ثم يعانقه هذا ويضربه هذان حتى والى بينهم جميعا في مكان واحد والقوم يقتتلون سوى



ذلك ، فذلك يوم يقول الخزاعى : يا قوم أبت السيوف معقلا وعانقه الآخر ، فقال : اقتلونى ومعقلا ، فارتجعت خزاعة سبيهم وقد أصيب ناس ، منهم الثلاثة الذين قتلهم معقل وهم أنس و أنيس و خذام ، فقال معقل في ذلك :

ألا هل آتى أبا صرد مكرّى

على أنس وصاحبه خِذام

ولاءً عند جَنْبِهما أُنَيْس

و لم أَجْزَع مِن الموتِ الزُّؤامِ

لَعمرُكَ ما خَشيتُ وقد بَلَغْنا

جبالَ الجَوْز مِن بلدٍ تهامِ

نزيعا مُحلِبًا مِن أهْلِ لِفْتٍ

لحيٍ بين أَثْلَةَ والنِّجامِ

فجاءوا عارِضا بردًا وجئْنا

كهيجِ الريح تقذف بالغمامِ

فما جَبُنوا ولكنْ واجَهونا

بسَجْلٍ مِن سِجالِ الموتِ حامِى

فما العَمْرَانِ من رَجْلَىْ عَدِىٍّ

وما العَمْران مِن رَجْلى فِئامِ

وإنهما لجَوّابا خُروقٍ

وشَرّابانِ بالنُّطفِ الدَّوامِى

و أدرك معقل بن خويلد السهمي الهذلي الإسلام و أسلم رضي الله عنه بعد ذلك و قاتل مع النبي صلى الله عليه وسلم في حنين كما هو مشهور في كتب تراجم الصحابة .

قبر ربيعة بن مكدّم الفراسي الكناني بثنية لفت .

و بثنية لِفت أيضا يقبع جدث ربيعة بن مكدّم الفراسي المالكي الكناني ، أحد فرسان مضر المعدودين و شجعانها المشهورين (حامي الظعينة) ، هكذا نقله البكري ، و كان ذلك على إثر يوم الكديد بين سليم وكنانة ، وقد تقدم مفصلا كما مر معنا في مبحث الكديد ، وكانت وقائعه مواكبة ليوم لفت الآنف قبيل الإسلام بقليل كما تقدم .

قال البكري في معجمه (ص١١٥٨) : **و بثنية لفت** أمالوا على ربيعة بن مكدم أحجارا من الحرة ، فهي من الكديد إذن .

و في أصول المتقدمين الذي رووا هذه القصة كالأصفهاني ذكر أنها ثنية كعب ، حيث قال في كتابه الأغاني (٤٥/١٦) : أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار ، قال : حدّثنا يعقوب بن إسرائيل ، قال : حدّثني الطلحي ، قال : أخبرني عبد الله بن إبراهيم الجمحى ومحمد بن الحسن بن زبالة في مجلس واحد قالا : مرّ حسان بن ثابت بقبر ربيعة بن مكدم الكناني ، **بثنية كعب** ، ويقال : بثنية غزال ، فقلصت به راحلته .

قلت : و لعله تصحيف وقع في النسخة المحققة ، و جاءت على الصواب عند البكري في نسخته التي نقل منها ، و قد يكون الراوي الذي نقل عنه الأصفهاني أراد بكعب أهلها فهي في ديارهم ، و قد ذكر ابن سعد في طبقاته أن لبني كعب منازل بأصل ثنية لفت حيث قال (٢٦/٨) :



هشام بن خالد الكعبي من خزاعة ، كان قليل الحديث و قد سمع من عمر ، **و كان ينزل بقديد بأصل ثنية لفت** ، وقُتل أبوه خالد الأشعر و كرز بن جابر الفهري يوم الفتح ، و كانا قد أخطآ الطريق فلقيتهما خيل المشركين فقتلوهما ، وهو أبو حزام بن هشام الذي روى عنه عبد الله بن مسلمة بن قعنب و أبو النصر هاشم بن القاسم و محمد بن عمر و غيرهم .

والراجح أن ربيعة بن مكدم مدفون بثنية غزال كما مر معنا تحقيقه في مبحث الكديد .

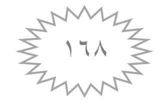
مرور النبي صلى الله عليه و سلم بثنية لفت .

و لا شك أن أشرف ما يُكتب في تاريخ ثنية لفت هو مرور النبي صلى الله عليه وسلم بها ، مرارا و تكرارا ، بعد بعثته وقبلها ، و لما هاجر إلى المدينة بعد أن أخرجه قومه حيث تآمروا على قتله ، قويت شوكة المؤمنين بالأنصار ، فأصبحوا في عزة و منعة ، فبعث صلى الله عليه و سلم إلى أهله من يحملهم من مكة إلى المدينة ثم بنى بأم المؤمنين الصديقة بنت الصديق رضي الله عنهما .

قال ابن سعد في طبقاته (٦٢/١٠) : أخبرنا محمد بن عمر حدثنا موسى بن محمد بن عبد الرحمن عن ريطة عن عمرة بنت عبد الرحمن عن عائشة أنها سُئلت متى بنى بك رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقالت : لما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفنا وخلف بناته فلما قدم المدينة بعث إلينا زيد بن حارثة وبعث معه أبا رافع مولاه وأعطاهما بعيرين وخمسمائة درهم أخذهما رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبي بكر يشتريان ما يحتاجان إليه من الظَهر وبعث أبو بكر معهما عبد الله بن أريقط الديلي ببعيرين أو ثلاث وكتب إلى عبد الله بن أبي بكر يأمره أن يحمل أهله أمي أم

رومان وأنا وأختي أسماء امرأة الزبير فخرجوا مصطحبين فلما انتهوا إلى **قديد** اشترى زيد بن حارثة بتلك الخمسمائة ثلاثة أبعرة ثم رحلوا من مكة جميعا وصادفوا طلحة بن عبيد الله يريد الهجرة بآل أبي بكر فخرجنا جميعا وخرج زيد بن حارثة وأبو رافع بفاطمة وأم كلثوم وسودة بنت زمعة وحمل زيد أم أيمن وأسامة بن زيد وخرج عبد الله بن أبي بكر بأم رومان وأختيه وخرج طلحة بن عبيد الله واصطحبنا جميعا حتى إذا كنا بالبيض من منى نفر بعيري وأنا في محفة معي فيها أمي فجعلت أمي تقول وابنتاه واعروساه حتى أدرك بعيرنا وقد هبط من **لفت** و سلم الله عز وجل ثم إنا قدمنا المدينة فنزلت مع عيال أبي بكر ونزل آل رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ يبني المسجد وأبياتا حول المسجد فأنزل فيها أهله ومكثنا أياما في منزل أبي بكر ثم قال أبو بكر يا رسول الله ما يمنعك أن تبني بأهلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصداق فأعطاه أبو بكر الصداق اثني عشر أوقية ونشا وبعث بها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلينا وبنى بي رسول الله في بيتي هذا الذي أنا فيه وهو الذي توفي فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل رسول الله لنفسه باب بالمسجد وجاه باب عائشة قالت وبنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بسودة في أحد تلك البيوت التي إلى جنبي فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون عندها .

فلما استقر النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة وادع أهل الغدر و الخيانة يهود المدينة ليتفرغ لعدوه الأكبر الذي أخرجه من بلده و تآمر على قتله ، فبدأ يترصد عيرهم القافلة من الشام ، فنتج عنه بعدها حشدُ قريش لغزوه بالمدينة فكانت غزوة بدر الكبرى على إثر ذلك كما هو مشهور في كتب السير و المغازي .



و قد اتفق أهل السير و المغازي أن بني عدي بن كعب من قريش رهط الفاروق لم يشتركوا في تلك الغزوة إلا أن الخلاف وقع متى قرروا عدم المشاركة ؟

فذكر الواقدي في مغازيه أنهم رجعوا من ثنية لفت حيث قال (٥٧/١) : حدثني أبو بكر بن عبد الله عن أبي بكر بن عمر بن عبد الرحمن ابن عبد الله بن عمر بن الخطاب قال : خرجت بنو عدي مع النفير حتى كانوا **بثنية لفت** فلما كانوا في السحر عدلوا في الساحل منصرفين إلى مكة فصادفهم أبو سفيان فقال : يا بني عدي كيف رجعتم لا في العير ولا في النفير ؟ قالوا : أنت أرسلت إلى قريش أن ترجع فرجع من رجع ومضى من مضى ! فلم يشهدها أحدٌ من بني عدي . ويقال إنه لاقاهم بمر الظهران فقال تلك المقالة لهم .

و أما الإمام ابن إسحاق فقد ذكر في سيرته أنهم لم يخرجوا مطلقا ، و الله أعلم .

ثم استمر الصراع بين المؤمنين و كفار قريش وحلفائهم حتى عُقد صلح الحديبية بين المؤمنين و كفار قريش في السنة السادسة للهجرة ، فنقضت قريش هذا الصلح كما مر تفصيله في مبحث الكديد ، فأذن الله بفتح مكة ، فسار إليها النبي صلى الله عليه وسلم في رمضان من السنة الثامنة للهجرة **نصرة لبني كعب من خزاعة** ، و كان صلى الله عليه وسلم في أثناء ذلك يراسل القبائل التي أسلمت بعد صلح الحديبية لتوافيه في الطريق أثناء مسيره لمكة و كان منها قبيلة خزاعة حيث قال شاعرهم جعدة بن عبد الله الخزاعي أوردها ابن هشام في تهذيبه للسيرة (٣٩/٤) :

أكعب بن عمرو دعوة غير باطل

لحين له يوم الحديد متاح

أتيحت له من أرضه وسمائه

لتقتله ليلا بغير سلاح

ونحن الأولى سدت **غزال** خيولنا

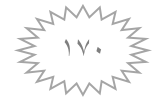
ولفتا سددناه **وفج طلاح**

خطرنا وراء المسلمين بجحفل

ذوي عضد من خيلنا ورماح

و بعد هذ الفتح الأعظم الذي أعز الله به الإسلام و أهله وأذل الشرك و حزبه ختم عليه الصلاة و السلام دعوته بخروجه لحجة الوداع ، ثم بعد فراغه من مناسكه مر على ثنية لفت في طريقه و ذُكر له خالد بن الوليد فأثنى عليه خيرا بعد أن كان قد حنق عليه مما فعله ببني جذيمة بالغميصاء كما أورده الواقدي في مغازيه حيث قال (ص٣٠١) : و لقد نزل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم حين **هبط من لفت** فى حجّته و معه رجل فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم : من هذا ؟ فقال الرجل : فلان ، قال : بئس عبد اللّه فلان ثم طلع آخر فقال : من الرجل؟ فقال : فلان ، فقال : بئس عبد اللّه فلان ، ثم طلع خالد بن الوليد فقال : من هذا ؟ قال : خالد ابن الوليد ، قال : نعم عبد اللّه خالد بن الوليد .

و من ذلك أيضا ما حكاه لأصحابه صلى الله عليه و سلم أثناء مروره بثنية لفت عن يونس عليه السلام ملبيا حاجا لبيت



الله الحرام ، و لعلها وقعت بعد نفره من حجة الوداع فحسن إيراده هاهنا .

قال الإمام مسلم في صحيحه (رقم ١٦٦) : و حدثني محمد بن المثنى حدثنا ابن أبي عدي عن داود عن أبي العالية عن ابن عباس قال : سرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بين مكة والمدينة ، فمررنا بواد فقال : أي واد هذا ؟ فقالوا : وادي الأزرق . فقال : كأني أنظر إلى موسى صلى الله عليه وسلم ، فذكر من لونه وشعره شيئا لم يحفظه داود واضعا إصبعيه في أذنيه له جؤار إلى الله بالتلبية مارا بهذا الوادي قال : ثم سرنا حتى أتينا على ثنية فقال : أي ثنية هذه ؟ قالوا : هرشى أو **لفت** ، فقال : كأني أنظر إلى يونس على ناقة حمراء عليه جبة صوف خطام ناقته ليف خلبة مارا بهذا الوادي ملبيا .

مسجد النبي صلى الله عليه و سلم عند ثنية لفت .

و جاء في رواية الواقدي لحجة الوداع أن المسجد الذي صلى فيه النبي صلى الله عليه و سلم يقع أسفل ثنية لفت ، حيث قال في المغازي (٤٥٨/٢) : فحدثني أفلح بن حميد ، عن أبيه ، عن ابن عمر ، قال : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد الذي هناك حين يهبط من ثنية أراك على الجحفة ، ونزل يوم الجمعة الجحفة ، ثم راح منها فصلى في المسجد الذي يحرم منه مشرفاً خارجاً من الجحفة والمسجد الذي دون خم عن يسار الطريق ، فكان يوم السبت بقديد فصلى في المسجد المشلل ، وصلى في المسجد الذي **أسفل من لفت** .

و في آخر القرن الثالث مر به القاضي وكيع و وصفه بقوله (ص٢١٦) : و العقبة قبل خليص بثلاثة أميال ، وهي ثنية

لقف عندها مسجد للنبي صلى الله عليه وسلم ، و أخبرني ابن جميع عن نادر أنه قال : و مسجد على ستة أميال من قديد و هي عقبة تقطع حرة تعترض الطريق يقال لها : ظاهرة و الشجر ينبت في الحرة .

قلت : ثنية لقف تصحيف ظاهر لثنية لفت .

و قد نقل السمهودي عن المؤرخ محمد بن أحمد الأسدي هذا النص بعينه مع اختلاف يسير حيث قال في كتابه وفاء الوفا (٤٤٦/٣) : و منها مسجد عند حرة عقبة خليص .... و قال (أي الأسدي) : و عقبة خليص بينها و بين خليص ثلاثة أميال ، و هي عقبة تقطع حرة تعترض الطريق يقال لها : طاهرة البريمة ، و الشجر ينبت في تلك الحرة ، و عند الحرة مسجد لرسول الله صلى الله عليه و سلم .

فوافقه في أمور :

١- وافقه في المسافة بين العقبة و خليص (و عقبة خليص بينها و بين خليص ثلاثة أميال)

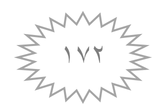
٢- و وافقه في وصف العقبة (و هي عقبة تقطع حرة تعترض الطريق يقال لها)

٣- و وافقه في وصف شجرها (و الشجر ينبت في تلك الحرة)

٤- و وافقه في وصف المسجد (و عند ... مسجد لرسول الله صلى الله عليه وسلم)

و خالفه في أمور :

١- حيث ذكر الأسدي أن المسجد عند الحرة بينما القاضي وصفه عند ثنية لفت .



٢- أن الأسدي وصف العقبة بعقبة خليص بينما القاضي وصفها بثنية لفت .

و هذا الاختلاف بينهما يظهر أمورا :

١- أن الأسدي ينقل عن القاضي ، فهو متأخر عنه إذن .

٢- أن الأسدي استفاد من القاضي و تصرف في النصوص بناء على فهمه .

٣- ظهور وهم السمهودي حينما وصف الأسدي بأنه من أهل القرن الثالث (٤٢٤/٣) ، و الأظهر أنه من أهل الرابع الهجري بقرينة ظهور اسم خليص و طغيانه على نصوصه وسيأتي مزيد تفصيل في تاريخ أمج إن شاء الله تعالى .

ثنية لفت في العصر الأموي .

ثم بعد وفاة النبي صلى الله عليه و سلم و انقضاء حكم الخلافة الراشدة آل حكم الحجاز لبني أمية ، و قد ظهر في مدة حكمهم بالحجاز شعراء فحول سارت بقصائدهم الركبان و من أولئك الشعراء :

١- أبو صخر الهذلي .

و قد حفظت لنا دواوين التاريخ من شعره قصيدة تمدّح بها أمير مكة عبدالعزيز بن عبدالله بن خالد بن أسيد القرشي أبا خالد ، و ذكر بتلك القصيدة ثنية لفت ، أوردها له السكري في شرحه لشعر هذيل حيث قال (ص٩٤٥) :

أمجل بليل صرم ليلى فذاهب

خفوقا و لما نقض منها المآرب

فلولا الذي حملت من لاعج الهوى

بفيض اللوى غرا و أسماء كاعب

لأسماء لم تهتج لشيء إذا خلا

فأدبر ما اختبت **بلفت** ركائب

و لكن ميعات الصبي تصرع الفتى

مصارع تردي نفسه وتقارب

و إني مما قرب النفس للردى

إلى الله إلا من هوى جمل تائب

أخاف إذا أحفظت أن يظهر الهوى

فيبدو ما كانت تجن الترائب

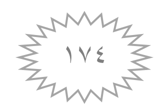
و أذكر ما في القلب من بعد سلوة

و أنسى و لا ينسى الذنوب المحاسب

إلى آخر ما قال و هي قصيدة طويلة انتخبنا منها ما يحتاجه بحثنا و من أراد المزيد فليرجع الكتاب المشار إليه .

٢- عمر بن أبي ربيعة القرشي .

و من شعراء عصر بني أمية أيضا الشاعر عمر بن أبي ربيعة القرشي و هو من فحول الشعراء في عصره و له قصائد وأشعار سيأتي بعضها معنا في غير هذا المبحث ، و مما حُفظ له في دواوين الشعر قصيدة وردت له في ديوانه يذكر بها ثنية لفت (ص٢٠٨) :



طالَ مِن آلِ زَينَبَ الإِعراضُ

لِلتَعَدّي وَما بِنا الإِبغاضُ

وَ وَليدَينِ كانَ عُلِّقَها القَلبُ

إِلى أَن عَلا الرُؤوسَ البَياضُ

حَبلُها عِندَنا مَتينٌ وَحَبلي

عِندَها واهِنُ القِوى أَنقاضُ

نَظَرَت يَومَ فَرعِ **لَفتٍ** إِلَينا

نَظرَةً كانَ رَجعَها إِيماضُ

حينَ قالَت لِمَوكِبٍ كَمَها الرَملِ

أَطاعَت لَهُ النَباتَ الرِياضُ

عُجنَ نَحوَ الفَتى البِغالَ نُحَيِّيه

بِما تَكتُمُ القُلوبُ المِراضُ

وَأُحَدِّثهُ ما تَضَمَّنتُ مِنهُ

إِذ خَلا اليَومَ لِلمَسيرِ المَراضُ

المطلب الخامس : عقبة السويق و عقبة السكر .

و قد تحول مسمى ثنية لفت مع مرور الزمن إلى عقبة السويق و بعضهم يقول : عقبة السكر ، وهي ألقاب اطلقها حجاج الآفاق من مصر و الشام و بلاد المغرب ، و ليست من صنيع أهلها أو ممن حولها من أهل الحجاز ، وقد تقدم وصف من بقي من أهلها لها بالتصغير أو بما تؤول إليه كوصف الأسدي لها بعقبة خليص .

قال المنالي الزيادي في رحلته (ورقة٣٤) : ارتحلنا فمررنا في الطريق بعقبة السويق وتسمى اليوم عقبة السكر و وجه ذلك في الشبهين ظاهر لا ينكر وهي رمال تتعب الجمال وتعيي الرجال شاقة في جبل من سود الجلامد و الصخور .

عقبة السويق :

وأكثر من وصف ثنية لفت بعقبة السويق هم المتقدمون ومؤرخو مصر و حجاجها .

قال ابن العطار في منازل الحج (ص٥٥) : العاشرة : خليص يحد عقبة السويق المشقة المعترضة في الجبل كثيرة الرمل والوعر و العطف و المضائق و الشوك يذيبون بها السكر .

سبب التسمية :

و قد ذكر جماعة من المؤرخين ممن صنف في أدب الرحلة سبب تسميتها بعقبة السويق ، و هو أن أمراء الحج و بخاصة المصريين يحتفلون عندها بخلط السويق و السكر ثم يحتسونه مع الركب .



قال النهروالي في القطعة التي حققها الجاسر من الرحلة الرومية بمجلة العرب (ص٥٢٢/ج٧-٨س١٦) : المنزلة الخامسة : خليص وصلنا إليها صبحا و أقمنا إلى الظهر ومررنا بعقبة السويق عصرا و صلينا به صلاة العصر و هي عقبة رمل يغوص بها رجل الجمل و هو رمل ناعم نسفه الريح و جمعه هنا فصار مثل الجبل الصغير و إنما سميت عقبة السويق **لأن أمراء الحاج فيما مضى كانوا يسقون فيه السويق مع السكر لجميع أهل الركب .**

و قد أشار الرحالة المشهور ابن بطوطة إلى أنهم يحتفلون بهذا الشراب اعتقادا ، و يروون في ذلك عن النبي صلى الله عليه و سلم خبرا .

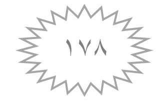
قال ابن بطوطة في رحلته تحفة النظار (١٢٠/١) : و سرنا من رابغ ثلاثا إلى خليص ، و مررنا بعقبة السّويق وهي على مسافة نصف يوم من خليص كثيرة الرمل والحجاج يقصدون شرب السّويق بها و يستصحبونه من مصر والشّام برسم ذلك ويسقونه الناس مخلوطا بالسكر والأمراء يملأون منه الأحواض ويسقونه الناس **و يذكرون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرّ بها ولم يكن مع أصحابه طعام فأخذ من رملها فأعطاهم إياه فشربوه سويقا .**

و قد أنكر بلطف و أدب جماعة من أهل العلم ممن صنف في أدب الرحلة أن يكون لهذا العمل أصل ، أو أن النبي صلى الله عليه و سلم فعله .

قال العبدري في رحلته (ص٣٥٢) : و دون خليص على مقدار نصف يوم عقبة السويق وهي عقبة كثيرة الرّمل وليست بطويلة ولكنّها شاقة لوعورتها والنّاس يقصدونها بشرب السّويق و يستصحبونه برسم ذلك من مصر ، ويخلطونه مع السّكّر ، وأصحاب مصر يسقونه للنّاس هنالك كثيرا ، ويذكر أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلم مرّ بها ولم يكن معهم طعام فأخذ من رملها و أعطاهم إيّاه فشربوه سويقا ، **ولم أقف على هذا فيما وقفت عليه من معجزاته صلّى الله عليه وسلم ، و ما هو ببعيد في حقّه والله أعلم .**

و قال العياشي في رحلته ماء الموائد (٣٠٧/١) : ثم صلينا العصر بالموضع المسمى بعقبة السكر ، و أكثر الناس خصوصا المصارية ، يجلبون السكر من مصر بالقصد ليشربوه هناك **و يؤثرون في ذلك أثرا لا أصل له** ، يزعمون أن رمل ذلك المحل قد انقلب للصحابة سكرا فشربوه ، و هي عقبة في جبل صغير فيها رمل يتعب الإبل ، وقد سوي البناء في جانبها ، و التقطت أحجارها و بني مسجد صغير بأحد جانبيها ، و بينها و بين خليص نحو من ثلاثة أميال .

و هو كما قالا ، فلا يصح نسبته إلى النبي صلى الله عليه وسلم لأنه لم ينقل عنه و لو من طريق ضعيف فِعْلُ ذلك و لو فعله و حصل منه لما أهمله العلماء و لذكروه في دلائل نبوته أو أخباره و سيرته صلى الله عليه و سلم ، و لذلك نرى العلامة الجزيري لم يعتمده عند وصفه لمعاينته مثل هذه الحادثة بل ذكر أنهم يفعلون هذا استبشارا بالقرب من المعاهد الطاهرة ، و الأراضي المقدسة .



قال الجزيري في درره (١٤٥٨/٢) : ... و يتهيأ لعقبة السويق و من العوائد المتقدمة أن امراء الحاج يبادرون بتجهيز السقائين لنصب الحيضان الجلد الكبار بسحائبها أسفل الحدرة الكبرى - العقبة - ويملؤونها من السكر المذاب لسقاية الحاج فيعمّون بذلك الكبير والصغير والغني والفقير ويعدون ذلك من مكارم الأخلاق وسعة الانفاق **ومن الفرح بالوصول الى القرب من أم القرى والاستبشار بتلك المعاهد المكرمة التي بعث منها خير الورى** ، وآخر من أدركناه أوسع العمل في ذلك وعم الوفود بره بما هنالك فأسقى بهذا المحل مئة رأس من السكر المذاب غير ما فرقه ونثره ببركة خليص - كما قدمنا ذكره - الأمير سليمان تابع سليمان باشا والمقر الجمالي يوسف الحمزاوي من بعده ، وبعض الأمراء يتعدى الثلاثين رأسا وبعضهم دون العشرين ، وغالبهم الآن إن ملأ الاحواض ماء قراحا عدّه صنيعا وبراً وسيعا ، وكانت الاقامة بالدار في سنة خمس وخمسين وتسمع مئة ، ثمانية وعشرين درجة وسار الى ان مر على عقبة السويق المعترضة في الجبل الكثيرة الرمال الوعر من باب تسمية المحل بواقع الحال وهي سقيا السويق والسكر بها .

عقبة السكر :

و أما من وصفها بعقبة السكر ، فأكثرهم المتأخرون ، من مؤرخي و حجاج المغرب خاصة أو ممن عول عليهم و نقل عنهم .

قال القيسي في رحلته أنس الساري (ص٧٦) : ثم لعقبة السكر موضع صحرا .

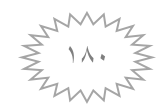
و قال العياشي في رحلته ماء الموائد (٣٨٤/٢) : ثم ارتحلنا من خليص و نزلنا السيل الذي بين قديد و رابغ و في تلك المرحلة التقيت بصاحبنا الشيخ عبدالله باعفيف اليمني أحد أصحاب شيخنا السيد محمد باعلوي رضي الله عنه سايرته بعدما نزلنا من عقبة السكر من المغرب إلى العشاء على أرجلنا و تعرفت عليه و جدته من أحسن الناس خلقا وأطيبهم عشرة .

و قال الوريثلاني في رحلته نزهة الأنظار (٤٤٦/١) : ثم ركبنا وسرنا كذلك إلى عقبة السكر فصعدناها و هي صعبة على الجمال و الرجال لا سيما من صعدها في زمن الحر .

و قال المكناسي في رحلته إحراز المعلى (ص٢٦٣) : و بعد صلاة العصر سافرنا بقية النهار و في نصف الليل نزلنا موضعا يقال له خليص به ماء عذب على ثمان ساعات من الدار الأخرى بعد أن مررنا في آخر المسافة على موضع يقال له عقبة السكر و هو شرف من الرمل في غاية الصعوبة تدخل فيه أرجل الإبل و البهائم إلى السوق .

و قال الحضيكي في رحلته الحجازية (ص٩٨) : و طلعنا عقبة من رمل يقال لها عقبة السكار و عليها بناء منقوش عليه في يمين الذاهب و على يساره خربة قيل إنها من مساجد النبي صلى الله عليه و سلم التي صلى فيها .

و قال ابن ناصر الدرعي في رحلته الناصرية (ص٣٥٦) : ثم ارتحلنا منه و مررنا و قد متع النهار بالمشلل و يسمى اليوم بعقبة السكر .



و جميع هؤلاء المؤرخين مغاربة ، و مما يؤكد القول بأن هذا الوصف اطلقه المتأخرون و بخاصة المغاربة منهم أن العياشي نقل من رسالة مصنفة عن منازل الطريق بين مصر والحجاز لمحمد البكري ، و ذكر أنه قد يكون مؤلف هذه الرسالة أحد مشائخه ، حيث قال (٢٧٢/١) : قد ظفرت بمصر برسالة للشيخ محمد البكري و أظنه شيخنا محمد بن الشيخ زين العابدين .

و قد علق الشيخ الجاسر في مقدمة كتابه أشهر رحلات الحج ملخص رحلة ابن عبدالسلام الدرعي على ذلك بقوله (ص٢٣) : و البكري الذي ظنه العياشي صاحب تلك الرحلة هو زين الدين محمد بن زين العابدين محمد بن محمد البكري الصديقي المصري له مؤلفان في تاريخ الدولة التركية ذكرهما الخير الزركلي و أرخ سنة وفاته ١٠٢٨ هـ ، و لم أطلع على رحلته مفردة ... إلخ .

قلت : لعل الشيخ حمد الجاسر لم يتنبه لوفاة البكري (١٠٢٨هـ) و التي أرخها قبل ولادة العياشي (١٠٣٧هـ) متابعة للزركلي ، مع أن العياشي نص على أنه ربما يكون شيخه و لم يجزم بذلك .

و الراجح أن الرسالة ليست رحلة و إنما وصف لمنازل الحاج على منوال كتاب ابن العطار ، و العطار ترجم له السخاوي وذكر اسمه : محمد البكري ، و يظهر أن كل من أتى بعده عول عليه كالجزيري ، و ربما لخصها صاحب الرسالة و نقحها و زاد عليها بعض القصائد ، و الله أعلم .

و مما جاء في تلك الرسالة عن ثنية لفت قوله (ص٣١٠) : ثم سرنا إلى عقبة السويق و هي عقبة عالية الرمال في الطريق .

و هنا نلاحظ وصفه لثنية لفت بعقبة السويق بينما العياشي خالفه في ذلك مما يرجح القول بأنه وصف أحدثه المتأخرون و بخاصة المغاربة منهم ، و الله أعلم .

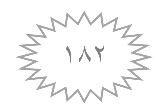
و من المتأخرين من غير المغاربة الذين وصفوا ثنية لفت بعقبة السكر :

محمد الحسيني الشهير بكبريت حيث قال في رحلته الشتاء والصيف (ص٢٤٣) : ثم مررنا بعقبة الرمل و تسمى عقبة السكر لأن أرباب النعم يقسمونه عليها .

و النابلسي في رحلته الحقيقة و المجاز حيث قال (ص٤٣٩) : ثم سرنا إلى أن وصلنا إلى تلك العقبة المسماة بعقبة السكر بالتشديد ، و هي عقبة شديدة الرمل بعدها وهدة بعيدة فازدحم الناس هناك يشتكون الغور البعيد حتى وصلنا بعد العشاء الأخيرة إلى خليص .

و وصفها عند صدوره من مكة قائلا (ص٤٧٥) : وصلنا وقت المغرب إلى المكان المسمى بعقبة السكر بتشديد السين المهملة فصعدنا في تلك العقبة الكؤدة من الرمل الكنودة .

و قد حرصت الدول الإسلامية المتعاقبة على حكم الحجاز من عصر الخلافة الراشدة إلى عهد الدولة العثمانية على العناية بثنية لفت و الاهتمام بها بعمل أسوار تمنع تمدد الرمال إليها و ترميم مسجدها ، بل إن بعض الخلفاء والسلاطين حرص على توثيق أعماله ببعض الكتابات والنقوش على أعلام هذه الثنية .



و من أقدم النصوص التي أشارت لمثل هذا ما حكاه النهروالي في إحدى رحلاته الآنفة (سنة٩٥٩هـ) حيث قال : و رحلنا من خليص ظهر يوم الخميس و وصلنا العقبة قبيل العصر وهي عقبة ذات رمل كثير ناعم يغوص فيه رجل الجمل وأخذنا عن يميننا ، و ذكر بعض الجمالة أنه يعرف عن جانب الشمال طريقا سهلا غطاه الرمل الآن ، و بعلو هذه العقبة وأسفلها آثار بناء رضم حجارة يظهر أنه كان عن اليمين جدار مستطيل و عن الشمال جدار مثله و كان الطريق بينها و أن الرمل غلب على الطريق بحيث أخفاه ، و رأيت به حجرا مكتوبا بالكوفي صورته بعد البسملة (أمر أمير المؤمنين بعمارة هذا الطريق) و انطمست الكتابة بعد ذلك .

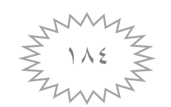
و النهروالي معاصر لقيام الدولة العثمانية و تبعية الحجاز لها بل هو من مؤرخيها ، و ما حكاه يدل على أن هذه الأبنية من عمل الحكومات التي سبقتها .

و أما إصلاحات الدولة العثمانية فقد أرخ لبعضها المؤرخ التركي أوليا جلبي في رحلته و وصف أعمال الصيانة و الترميم بها حيث قال في رحلته الحجازية (ص١٧٠) : غرقت كل الجيوانات في الرمال وغمرها العرق وترجل الجميع وأخذوا في السير في بحر الرمال خطوة يصعدوا فيها مطلعا و أخرى ينزلوا فيها منزلا و كبر الجميع الله أكبر ، الله أكبر ، حتى تجاوزوا العقبة ولكن بقي بين الرمال ما بين سبعين أو ثمانين حيوانا ، فكان البدو يأخذونها على الفور من بعدنا ، ولكن من كان ينظر إلى ذلك ! فلم يبق سوى اربعة أيام للوصول الى عرفات ، وبالرغم من أن رضوان بك أمير الحج المصري قد أوقف ألف قرش لإزالة رمال تلك العقبة إلا أنها مازالت منطقة مخيفة ، فيها هلاك الحيوانات ، وعلى يمين هذا الطريق جدار أو نصب مكتوب عليه العبارة التالية : جدد هذا

المضيق و نظف في زمن السلطان مراد خان ابن السلطان أحمد خان سنة ١٠٤٨هـ ، وقد أقام هؤلاء السلاطين جداران على جانبي هذا الممر الضيق مسافة سير ساعتين لحجز الرمال ولكن بالرغم من ذلك لم تسلم الجمال من مخاطر الرمال ويبقى بها سنويا مئات منها ، وتاريخ الحائط ، بني على يد أمير الحج رضوان باشا سنة ١٠٥٦هـ بأمر من السلطان إبراهيم خان .

و لا شك أن هذه الإصلاحات ليست ممتدة طول الدهر بل تتفاوت من حين لآخر ، و المؤرخ يذكر ما يشاهده ، وقد شهد أيضا على مثل هذه الإصلاحات المؤرخ ابن عبدالسلام الدرعي بمثل ما شهد به التركي جلبي ، حيث قال في رحلته التي لخصها الشيخ الجاسر (ص١١٢) : و مررنا بعقبة السكر في جبل صغير في حرة ورمال **سويت و نحيت** و مع ذلك قاست الإبل بها مشقة عظيمة و هلك بسببها من الإبل شرذمة ... إلى أن قال : و بني مسجد صغير بجانبها و أكثر الناس اليوم خصوصا أهل مصر يجلبون السكر من مصر بالقصد ليشربوه هنا و يأثرون من ذلك **أثرا لا أصل له** يزعمون أن هذا رمل الجبل انقلب للصحابة سكرا فشربوه .

و من لطيف ما يذكر في تاريخ ثنية لفت ، ما نقشه بعض الحجاج - فيما يظهر لي - على أعلام الثنية ، وصف ذلك الدرعي ابن عبدالسلام في رحلته الآنفة حيث قال (٥٢٣/٢) : و لم نزل سائرين إلى أن بلغنا عقبة السكر و فيها بناء و قد كتب في بعض أحجاره أن أقبح الناس من أتى إلى الحج بامرأة و كتب في أخرى أن أقبح الناس من أتى بلا زوجة ففهمنا منهما أن القبيح إذا كان قادرا و لم يأت بزوجته فعليه الذم المكتوب ، و أما الذي لا يقدر و أتى بها فعليه الذم .



و يظهر أن الدرعي خفف العبارة المنقوشة و تلطف في حكايتها ، لأن السويدي في رحلته النفحة المسكية ذكر ما يقتضي التقبيح ، و ما لا يحسن إيراده هاهنا ، أو أن الجمالة كذبوا فيما نقلوه للسويدي ، و الله أعلم .

ثم في أواخر عهد الدولة العثمانية انحرف طريق القوافل والحجيج عن ثنية لفت و صار الطريق يطرق أمجا (خليص) من الساحل ، و سيأتي مزيد تفصيل و بيان في محله إن شاء الله تعالى .

الفصل الثالث :

تاريـخ وادي أمج .

المبحث الأول : أخبار أمج قبل الإسلام .

المبحث الثاني : أمج في العهد النبوي والخلافة الراشدة .

المبحث الثالث : أمج في العهد الأموي .

المبحث الرابع : أمج في العصر العباسي .

الفصل الثالث : تاريخ وادي أمج .

المبحث الأول : أخبار أمج قبل الإسلام .

أسطورة الملك الحارث بن مضاض الجرهمي .

أقدم خبر يصلنا عن أمج هو أسطورة الملك الحارث بن مضاض الجرهمي تحكي سبب تسمية بعض المواضع بمكة وأنساب أهلها في تلك المدة السحيقة ، نقلها ابن هشام في كتابه التيجان حيث قال (ص١٩٠) : وحدث ابن لهيعة عن أبي مخنف عن كميل بن زياد النخعي عن علي بن أبي طالب رحمة الله عليه ورضوانه أنه حدث يوماً عن غربة الحارث بن مضاض الجرهمي قال : أخبرني عبد مناف عن أبيه عبد المطلب بن هاشم أنه قال ...

قلت : هذا إسناد القصة !، و هو إسناد تالف ، و هي قصة طويلة تدور حول سؤال الحارث بن مضاض الجرهمي لإياد بن نزار ، و مما جاء فيها قوله : قال : أتعرف موضعاً يقال له الجار ؟ قلت : نعم ، قال : أتدري لم قيل له الجار؟ قلت : لا قال لي : نعم يا بني ، إنه لما شب مضاض ابن أخي عمرو الملك لم يكن بمكة ولا ما و الاها أجمل منه وانه كان من بنات عمه من بيت الملك جارية تسمى ميا ابنة مهليل بن عامر صاحب الشعب .

ثم ذكر من شأنهما و حبهما و غيرتها على مضاض ، الأمر الذي جعلها تطلب من أبيها الرحيل عن مكة . فقال : قالت له : يا أبت لن و الله أقيم بموضع يكون فيه مضاض بن عمرو أبداً وإني راحلة إلى أخوالي جسر بن قين بن حمير من بلى (وبلى نسل من قضاعة بن مالك بن حمير وكانوا نزلوا **بأمج ذات الضال)** .... إلى أن قال : ثم قالت لأبيها : نذرت

لله نذراً يا أبت لترحلن غداً إلى **أمج ذات الضال** وأنزل مع جسر بن قين ، قال لها أبوها : نعم .

فخرج مضاض على إثرها يطلب خبرها . فقال : ثم بلغتُ **أمج** فنزلتُ فجعل عليها عيوناً يأتونه بأخبارها ويطوف حول **أمج** من حي إلى حي ولا يعلم من هو و معه خليلاه عمرو و عامر .... إلى أن قال : وأتاه آت فقال له : إن أهل **أمج** يريدون الرحيل إلى خريف نجد وإن مهليل بن عامر يريد الرحيل إلى مكة فاستبشر بذلك فقال :

خليلي من **أمج** فارتعا

على الضال من مي حتى تريما

إلى آخر هذه الخرافة ، و هي تدور حول نسبة قضاعة لحمير ثم لليمن و ليس لمعد بن عدنان ، و كذلك تنسب قبيلة جرهم إلى قحطان ثم هود عليه السلام ، و لذلك انتهض محمد ابن السائب الكلبي و اخترع أسطورة افتراق ولد معد ونسبها لابن عباس كما سيأتي في الخبر الذي يليه .

و قوله : أمج ذات الضال ، أي يكثر بها شجر الضال و هو السدر البري ، و لعله مكان من أمج عُرف بذلك لكثرته فهو كبير المساحة ، و يشهد لذلك ما أورده ابن عبدربه في العقد الفريد في بعض شعر المغنين حيث قال (٧/٤٠) :

تعمل الأجفان بالدّعج

عمل الصهباء بالمهج

بأبي ظبي كلفت به

واضح الخدّين والفلج



بين ذات الضّال من أمج

اجتحاف وادي أمج لبني ضبيعة من بلي .

قال البكري في مقدمة معجمه (ص٢٨) : و انصرفت جماعة من تلك القبائل راجعين إلى بلادهم من تهامة و الحجاز فقدموها و تفرقوا فيها ، فنزل **ضبيعة بن حرام بن جعل بن عمرو بن جشم بن ودم بن ذبيان بن هميم بن ذهل بن هنى بن بلى** في ولده وأهله بين **أمج و عروان** و هما واديان يأخذان من حرة بني سليم و يفرغان في البحر و لهم أنعام وأموال و لضبيعة إبل يقال لها الدجحان سود ، قال : فطرقهم السيل وهم نيام فذهب بضبيعة و إبله فقالت بائحته : سال الواديان **أمج وعروان** فذهبت بضبيعة بن حرام و إبله الدجحان و تحول ولد ضبيعة ومن كان معهم من قومهم إلى المدينة وأطرافها وهم **سلمه بن حارثة بن ضبيعة و واثلة بن حارثة و العجلان بن حارثة** فنزلوا المدينة وهم حلفاء الأنصار ، ثم استوبئوها فتحولوا إلى الجندل والسقيا والرحبة .

تحليل النص و شرحه :

١- هذه الرواية من مسانيد محمد ابن السائب الكلبي عن ابن عباس رضي الله عنه و قد ساق إسنادها البكري فقال : قال أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي ، عن أبيه عن معاوية بن عميرة بن مخوس الكندي ، إنه سمع عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ، ثم ساق الخبر .

و محمد ابن السائب وضاع و كذاب ، مشهور بهذا و بخاصة عن ابن عباس رضي الله عنه .

قال الإمام ابن حبان في المجروحين : أخبرنا عبد الملك بن محمد قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا أبو عاصم قال لي سفيان الثوري قال قال لي الكلبِي ما سمعته مني عَن أبي صالح عن بن عباس فهو كذب .

وهذا يكفي في طرح الرواية .

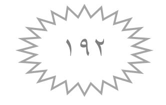
فإن قيل : قد تابعه ابن شبة بإسناد آخر إلى ابن عباس وذكره البكري مقرونا به حيث قال : و رواه أبو زيد عمر بن شبة قال: حدثني غياث بن إبراهيم ، عن يونس بن يزيد الأيلي عن الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن ابن عباس .

قلنا له : أما رواية ابن شبة فقد عرفنا بدايتها و لكن لا نعلم أين انتهت ؟! ، و صنيع البكري رحمه الله أدرج الروايتين بعضها ببعض و كان ينقحها و يستدرك عليها و يتعقبها بمرويات الأصفهاني و الهمداني و ابن شبة و غيرهم .

ثم إن البكري قد صرح قبل سياقها بأنه رجع لرواية الكلبي وليس لرواية ابن شبة فقال : رجعنا إلى حديث الكلبى عن ابن عبّاس .

و قد رواها عن الكلبي أيضا الهمداني في صفة جزيرة العرب حيث قال (ص٨٣) : أما حديث عبد الله بن عباس في جزيرة العرب فإنه ما نقل لنا عن محمد بن السائب الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس من وجه وعن معاوية بن عميرة بن مخوس الكندي أنه سمع عبد الله بن عباس بن عبد المطلب وسأله رجل عن ولد نزار ابن معد .... إلخ

و لكنه اقتصر على روايته عن البلدان و أما ما ذكره عن عدنانية قضاعة فإنه تعقبه في كتاب الإكليل المنسوب إليه .



و رواها ابن الجوزي في المنتظم بعين إسناد البكري .

و إضافة إلى ذلك فهي رواية مضطربة ظاهرة الاضطراب فلا يحتاج لكثير عناء لكشف ذلك ، حيث زعم أن بلي و بهراء وخولان نزلوا بمأرب بعد هجرة الأزد و هذا تاريخ قريب منقوض بما يلي :

١- أن اليمن لا يحفظونه و ليس مشهورا عندهم و لا يقرونه على ذلك ، و أقر بذلك الكلبي نفسه حيث جاء في الرواية قوله : و إنه خولان بن عمرو بن الحاف ويأبى نسّاب اليمن ذلك ، فيقولون : هو خولان بن عمرو بن مالك بن مرّة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان .

و قد وافقه الهمداني على ذلك فيما نسب إليه و لكنه زعم أنه نسب خولان العالية دون صعدة .

٢- أن بلي و خولان لا يحفظونه كذلك و لا يشتهر عندهم خاصة و أن الأزد هاجروا قبلهم و يحفظونه كأسماء آبائهم وأولادهم .

٣- أن مؤرخي اليمن يزعمون أن سعد بن خولان كان قد ملك على صرواح باليمن في زمن قديم عن خبر هجرتهم الذي زعمه الكلبي .

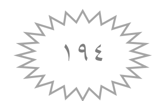
٤- أن الرواية قد تصح إذا حُملت على رجل واحد نزل بإبله ثم اجتحفه السيل و ذهب بإبله كعادة أهل الإبل ، و ليس على هجرة قبيلة بلي كما زعم الكلبي ، فضلا عن عدنانية قضاعة .

و هناك أدلة عقلية ذكرها الهمداني فيما نسب إليه في نقده لعدنانية قضاعة تركناها لأنه قد يُعترض عليها أيضا ، ثم نلج إلي تفريعات لا حاجة لنا بها هاهنا .

و بناء عليه فإني أروي هذا الخبر غير محتج به إلا فيما لا يُدفع و يشهد له الواقع أو قرائن من خارجه كوصفه لوادي غران و أمج ، و الله أعلم .

٢- و أما قوله : عروان ، فتصحيف ظاهر لغران و قد جاءت في مواضع أخرى على الصواب ، في كتاب البكري و في غيره .

و مثل هذه الأخبار ما وقع في قصة مرور تبع اليماني بأمج أثناء مسيره لمكة بعد غزوه ليثرب وقد تقدم الكلام عليها في مبحث جبل جمدان .



المبحث الثاني : أمج في العهد النبوي والخلافة الراشدة .

ثم أذن الله جل و علا بعز العرب و إخراجهم من الذل والهوان و عبادة الأصنام و الأوثان إلى الخضوع و التذلل للواحد الديان ، فشع نور الإسلام بمبعث سيد البشر و الأنام صلى الله عليه و سلم .

فانتهض بأبي و أمي صلوات ربي و سلامه عليه للدعوة ، فما ترك سبيلا لمرضاة ربه إلا و دعا الناس إليه و لا طريقا يجلب سخط الجبار إلا وحذر منه ، فآذاه قومه و حقروه ، ووصفوه بما ليس فيه و ازدروه ، ثم تألّبوا عليه ليقتلوه ، فأذن الله جل و علا له بالهجرة إلى يثرب .

مرور النبي صلى الله عليه و سلم بأمج أثناء هجرته .

فكان مسيره في أثناء هجرته صلى الله عليه وسلم يمر بأمج كما صرح بذلك ابن إسحاق في سيرته حيث قال (٢/٨٧) : قال ابن إسحاق : فلما خرج بهما دليلهما عبدالله بن أرقط سلك بهما أسفل مكة ، ثم مضى بهما على الساحل ، حتى عارض الطريق أسفل من عسفان ، ثم سلك بهما على **أسفل أمج** ، ثم استجاز بهما ، حتى عارض بهما الطريق ، بعد أن أجاز قديدا ، ثم أجاز بهما من مكانه ذلك ، فسلك بهما الخرار ثم سلك بهما ثنية المرة ، ثم سلك بهما لقفا ... إلى آخر ما قال رحمه الله .

فلما وصل يثرب صلى الله عليه و سلم استبدل اسمها بطيبة و هي المدينة مأرز الإيمان و معقله ، و بنى مسجده و داره وبدأ مرحلة أخرى من الدعوة ، و هي تأسيس الدولة ، و التي حكمت بأسمى و أعظم و أنبل و أعدل النظم السياسية على مر التاريخ ، و كان في أثناء ذلك يعاهد بعض أعدائه و يُحيّد

خصومه و يدعوهم لكتابة المعاهدات و المواثيق ليلزمهم بها كي يتفرغ للعدو الأكبر و هم كفار قريش .

و كانت في أثناء ذلك قوافل المهتدين تتقاطر على المدينة أفواجا يبايعونه على الإسلام و الهجرة و الجهاد ، و مما يذكر من ذلك في تاريخ أمج ما ورد في قصة إسلام الوليد بن الوليد بن المغيرة رضي الله عنه أخي خالد .

قصة فرار الوليد بن الوليد بن المغيرة و هجرته .

و كان الوليد قد أسر ببدر مشركا ، فافتكه أخوه خالد بفداء ثم أسلم بعد ذلك فحبسوه بمكة مع نفر من المسلمين ثم هرب إلى المدينة فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن صاحبيه الذين خلفهما وراءه في الحبس ، فأرسله النبي صلى الله عليه وسلم إليهما يأمرهما بالخروج إليه ففعل .

و كن من خبرهم أثناء خروجهم ما رواه ابن سعد في الطبقات حيث قال (١٢٤/٤) : أخبرنا محمد بن عمر قال حدثني يحيى بن المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام قال لما خرج الوليد بن الوليد من المدينة إلى عياش بن أبي ربيعة وسلمة بن هشام خرجا جميعا معه وجاء الخبر قريشا فخرج خالد بن الوليد معه نفر من قومه حتى بلغوا عسفان فلم يصيبوا أثرا ولا خبرا عنهم **و كان القوم قد أخذوا على يد بحر حتى خرجوا على أمج طريق النبي صلى الله عليه وسلم التي سلك حين هاجر إلى المدينة .**

و قد جُرح رضي الله عنه في ذلك المسير مما تسبب في وفاته بعد ذلك بالمدينة مسلما مهاجرا رضي الله عنه .



قصة مخرمة بن بنوفل رضي الله عنه بأمج .

و مما يذكر في أخبار أمج في زمن النبوة قصة بعث النبي صلى الله عليه و سلم مالا لفقراء قريش بمكة مع الصحابي مخرمة بن نوفل القرشي أسنادها الحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق فقال (١٥٦/٥٧) :

أخبرنا أبو القاسم هبة الله بن أحمد بن عمر أنا أبو الحسن محمد بن عبد الواحد بن محمد بن جعفر أنا أبو بكر محمد بن إسماعيل بن العباس الوراق نا يحيى بن محمد بن صاعد نا إسحاق بن سيار النصيبي نا مخلد بن مالك نا العطاف بن خالد (في (م) و (ز) : نا العطاف نا مخلد نا العطاف بن خالد) حدثني الليث بن سعد عن ابن أبي مليكة أخبره المسور بن مخرمة أن أباه مخرمة أخذ بيده حتى جاء به بيت رسول الله صلى عليه وسلم فقال : يا بني ادخل فادع لي رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم فدخلت على رسول صلى الله عليه وآله وسلم وأنا غلام فقلت : يا رسول الله هذا أبي على الباب يدعوك فقام إليه وأخذ قباء من ديباج مزررا بالذهب فقال له يارسول الله أين نصيبي من الثياب التي قسمت بين أصحابك؟ فقال : هذا قباء خبأته لك يا أبا صفوان فأخذه وقال : وصلتك رحم ، وأرسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من ذلك المال بطائفة إلى أهل مكة فوصلهم به وكان الذي بعث به معه ابن الحضرمي وقال له رسول الله صلى الله عليه وآله : التمس رجلا يصحبك فأتاه فقال : قد وجدت رجلا فقال : من وجدت قال : وجدت فلانا الضمري ، قال : فأخرج به معك والبكري أخوك ولا تأمنه قال : فخرجنا حتى إذا كنا **بأمج** وهي من حرة بني ضمرة قال لابن الحضرمي : إن ها هنا أناسا من قومي آتيهم فأسلم عليهم فأخذت بهم عهدا فانتظرني فقال : يا قوم إن هذا مال بعث به رسول الله صلى

الله عليه وآله وسلم إلى قومه وإنما أنتم قومه امشوا إليه فخذوه والله ما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول فيه شيئا فلما جاؤوا **أمج** وجدوا الرجل قد ارتحل فسأل عنه فقالوا: والله ما هو إلا أن وليت فذهب فرجع أصحابه وخرج حتى أدرك صاحبه .

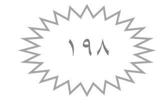
و الصحيح أن هذه الرواية ضعيفة و قد جاءت من طريق آخر عن ابن إسحاق عن عيسى بن معمر عن عبدالله بن عمرو بن الفغواء الخزاعي عن أبيه عند أبي داوود (٤٨٦١) وأحمد (٢٢٤٩٢) ، و ذكرت الواقعة بالأبواء و ودان و هي ديار بني ضمرة من كنانة و ليست بأمج ديار خزاعة .

و قد تصحفت أمج و بنو ضمرة في رواية ابن عساكر وصوبناها من رواية السيوطي في جمع الجوامع (١٠٧/٢٢) وكنز العمال (رقم٢٥٦٣٧) .

و الروايتان ضعيفتان لا يحتج بهما و إنما ذكرناهما هاهنا لتعلقهما بأمج ، و أميل إلي أنهما رواية واحدة و إنما وهم عطاف بن خالد في إسنادها كما وهم في سياقها ، فرواها عن الليث و هي من مسند عيسى بن معمر .

قال المزي في ترجمة عيسى بن معمر بتهذيب الكمال : وقال أبو الفتح محمد بن الحسين الأزدي في كتاب (الضعفاء) عيسى بن معمر مولى جابر روى عنه عطاف بن خالد ضعيف الحديث .

و قال ابن حبان في المجروحين (١٨٦/٢) : العطاف بن خالد بن عبد الله القرشي كنيته أبو صفوان المخزومي من أهل المدينة ولد سنة إحدى وتسعين يروي عن نافع وغيره من الثقات مالا يشبه حديثهم وأحسبه كان يؤتي ذلك من سوء



حفظه فلا يجوز عندي الاحتجاج بروايته إلا فيما وافق الثقات كان مالك بن أنس لا يرضاه روى العطاف بن خالد عن نافع عن بن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم أقاد من خداش أخبرناه أبو عروية بحران قال حدثنا العطاف بن خالد وليس هذا من حديث بن عمر ولا نافع .

قلت : و ما رواه ابن عساكر عنه مثله ، و الله أعلم .

أول جمعة أقيمت بأمج !.

وهنا مسألة تُنسب إلى زمن النبوة نختم بها ، و هي ما حكاه ابن العربي المالكي في المسالك شرح موطأ مالك (٤٠١/١) في كتاب وقوت الصلاة حيث قال : واختلف العلماء رضوان الله عليهم في أول جمعة جمعت .

فقيل : إن أول جمعة جمعت بعد المدينة بجواثاء من البحرين من بلاد عبد القيس .

وقيل : بأمج .

وهذا غريب لم أره عند غيره بحسب اطلاعي والله أعلم .

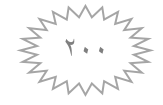
عصر الخلافة الراشدة .

و بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم آل أمر الدولة الإسلامية إلى الخلفاء الراشدين كما هو معلوم ، و مما يذكر في تاريخ أمج في تلك المدة قصة الساحرة التي جاءت تستفتي عائشة رضي الله عنها ، أخرجها ابن قتيبة في تأويل مشكل الحديث حيث قال (ص٢٦٨) :

وحدثني أبو حاتم عن الأصمعي عن أبي الزناد قال جاءت امرأة تستفتي فوجدت النبي صلى الله عليه وسلم قد توفي ولم

تجد إلا امرأة من نسائه يقال إنها عائشة رضي الله عنها فقالت لها يا أم المؤمنين قالت لي امرأة هل لك أن أعمل لك شيئا يصرف وجه زوجك إليك وأظنه قال فأتت بكلبين فركبت واحدا وركبت الآخر فسرنا ما شاء الله ثم قالت أتدرين أنك ببابل ودخلت على رجل أو قالت رجلين فقالا لها بولي على ذلك الرماد قالت فذهبت فلم أبل و رجعت إليهما فقالا لي ما رأيت قالت ما رأيت شيئا قالا أنت على رأس أمرك قالت فرجعت فتشددت ثم بلت فخرج مني مثل الفارس المقنع فصعد في السماء فرجعت إليهما فقالا لي ما رأيت فأخبرتهما فقالا ذلك إيمانك قد فارقك فخرجت إلي المرأة فقلت والله ما علماني شيئا ولا قالا لي كيف أصنع قالت فما رأيت قلت كذا قالت أنت أسحر العرب عملي وتمني قالت فقطعت جداول وقالت أحقل فإذا هو زرع يهتز فقالت أفرك فإذا هو قد يبس قالت فأخذته ففركته و أعطتنيه فقالت جشي هذا واجعليه سويقا واسقيه زوجك فلم أفعل شيئا من ذلك وانتهى الشأن إلى هذا فهل لي من توبة **قالت و رأت رجلا من خزاعة كان يسكن أمج** فقالت يا أم المؤمنين هذا أشبه الناس بهاروت و ماروت .

فهذا الخبر يذكر خزاعة بأمج صريحا و مثله خبر المرأة التي جاءت تستفتي عمر رضي الله عنه بجمدان و قد تقدم في مبحث جبل جمدان ، فذكر الراوي أنها خزاعية و هي بلا شك من أهل أمج لأن جبل جمدان يشرف على قرية أمج من الغرب كما سيأتي .



المبحث الثالث : أمج في العهد الأموي .

و بعد انقضاء عصر الخلافة الراشدة سيطر بنو أمية على الحجاز ، وقد ذُكر أمج في مدة حكمهم بجملة من الأخبار تدل على شيوع خبره و إعمار محله ، و من ذلك ما رواه القاضي وكيع في كتابه الطريق مسندا إلى بنت جعفر بن الزبير بن العوام حيث قال :

حدثني عبدالله بن عمرو قال حدثني إبراهيم بن المنذر الحزامي قال حدثنا سعيد بن عمرو قال حدثتني أم جعفر بنت جعفر بن الزبير بن العوام قالت : أبي – والله – الذي يقول :

هَل في ادِّكار الحبيب مِن حرج

أم هل لِهَمِّ الفؤاد من فَرَجِ

أم كيف أَنسى مسيرنا حُرُما

يوم حلَلنا بالنَّخل من أَمَجِ

يَومَ يَقولُ الرَسولُ قَد أذِنَت

فسر عَلى رِقبَة فَلِجِ

أَقبَلتُ أَهوي إِلى رِحالِهِم

أهدي إليها بريحها الأَرِجِ

و هذه الأبيات الغزلية يمكن أن يُستظهر منها لمحة من تاريخ أمج في تلك المدة ، فهي تصفه بأنه ذو نخيل ، مما يعني إعماره و كثرة خيراته و هو كذلك بلا شك ، و ذكر الشاعر أنهم حرم ، و يسيرون مع قافلة حج أو زيارة لمكة لأن جعفر بن الزبير و صفه علماء التراجم بأنه مدني ، و ذكره

لأمج في قصيدته لأجل اشتهاره و وقوعه على منازل الطريق بعد قديد و قبل الكديد بغران .

و آل الزبير أسرة حجازية غنية فاحشة الثراء و لهم أخبار كثيرة وكان بعضهم قد تملك في وادي ساية بأعلى أمج .

قال الهجري في التعليقات (ص١٦٠٥) : أنشدني أبو بكر عبد الله بن محمد بن الزبير بن عباد بن عبد الملك بن يحي بن عباد بن عبدا لله بن الزبير من أهل مهايع لعسكر بن عقبة اليحياني من بني مرداس سليم يقولها ليحيى بن مصعب والي الجار وهو ثابتي .

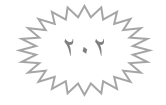
و مهايع من قرى ساية كما تقدم .

و ذكر علماء التراجم أن جعفر بن الزبير توفي في آخر خلافة سليمان بن عبدالملك .

و تقدم في مبحث الكديد قصة أخيه أمير المؤمنين عبدالله بن الزبير رضي الله عنه مع الجني و التي ورد فيها قوله : فقالوا أين صاحبك ؟ قلت : كان و الله رجلا من الجن قد استقال فما بقي منهم رجل ممن رآه إلا ضرب به الأرض ساقطا وأخذت كل رجل منهم فشددته على بعيره بين شعبتي رحله **حتى أتيت بهم أمج وما يعقلون** .

قصة حميد الأمجي .

و في تلك المدة حدثت قصة مشهورة في زمن ولاية عمر بن عبدالعزيز على المدينة قبل توليه الخلافة تفيد تبعية أمج للمدينة في تلك المدة .



قال ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٤٣/٤٥) أخبرنا أبو نصر غالب بن أحمد بن المسلم أنا أبو الحسن علي بن أحمد بن زهير أنا أبو الحسن علي بن محمد بن شجاع أنا أبو بكر محمد بن محمد الإسفرايني أنا عبد الله بن عدي نا علي بن أحمد بن سليمان علان نا أحمد بن سعد بن أبي مريم نا أبو زرعة عبدالأحد بن أبي زرارة القتباني قال سمعت مالك يقول :

أتى فتيان إلى عمر بن عبد العزيز فقالوا إن أبانا توفي وترك مالا عند عمنا حميد الأمجي قال فأحضره عمر بن عبد العزيز قال فلما دخل عليه قال : أنت حميد ؟ قال فقال : نعم . قال فقال : أنت القائل :

حميد الذي أمج داره

أخو الخمر ذو الشيبة الأصلع

أتاه المشيب على شربها

فكان كريما فلم ينزع

قال : نعم . قال عمر بن عبد العزيز : ما أراني إلا سوف آخذك . قال : و لم ؟ قال لأنك أقررت بشرب الخمر وزعمت أنك لم تنزع عنها قال أيهات أين يذهب بك ألم تسمع الله عز وجل يقول (والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون) قال فقال عمر : أولى لك يا حميد ما أراك إلا وقد أفلت ويحك يا حميد كان أبوك رجلا صالحا وأنت رجل سوء قال أصلحك الله وأينا يشبه أباه كان أبوك رجل سوء وأنت رجل صالح قال إن هؤلاء زعموا أن أباهم توفي وترك مالا عندك قال صدقوا قال فأحضره بخواتم أبيهم قال قال : إن أبا هؤلاء توفي مذ كذا وكذا وإني كنت أنفق

عليهم من مالي وهذا مالهم فقال عمر : ما أجد أحدا أحق أن يكون عنده منك قال فقال : أيعود إلي وقد خرج مني !.

و قد أسندها البكري في معجمه (١٩١/١) عن مالك عن ابن شهاب ، و زاد أن أباهم مات منذ عشرين سنة .

و زاد الحموي عند ذكرها بيتا في أولها فقال (٢٥٠/١) :

شربت المدام فلن أقلع

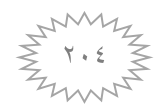
وعوتبت فيها فلن أسمع

و زعم البلاذري في أنساب الأشراف (١٨٣/٨) أن الأبيات قيلت فيه و ليس هو من أنشدها ، و ذكر ابن عبدربه في العقد (٥٩/٨) أن القائل هو ابن عمه يهجوه بها ، و لكن البيت الذي أورده الحموي يقوي ما جاء في رواية مالك .

و ذهب صاحب التذكرة الحمدونية (٣٦٧/٩) أن الحادثة وقعت في زمن خلافة عمر بن عبدالعزيز ، و الراجح ما ذكرناه إن شاء الله تعالى أنها وقعت في زمن ولايته للمدينة .

و الغريب في هذه القصة أن حميد الأمجي لم يصرح بنسبه أحد و إنما نسبوه لمحله ، و قول عمر بن عبدالعزيز لحميد كان أبوك رجلا صالحا ، يدل على معرفته به و بأبيه .

فلا يمتنع أن يكون خزاعيا لأنهم أهل أمج و لكن الأظهر أنه قرشي ، فطريقته في الحديث مع عمر توحي بذلك إضافة إلى أنفة قريش و عزتها التي ظهرت عليه في امتناعه من أخذ المال بعد أن خرج من عهدته .



و أميل إلى أنه حميد بن عبدالله بن عبدالله بن سراقة بن معتمر العدوي القرشي و الذين تقدم بعض أخبار ذويه في مبحث غران ، لعدة قرائن منها :

١- معرفة عمر به كما تقدم .

٢- أن بني سراقة نزلوا غرانا بعد ذلك كما ذكرناه هناك .

٣- قوله ذو الشيبة يدل على كبر سنه و هو يتوافق مع سنه .

٤- القرابة بين عمر و حميد من جهة الأم ، فحميد أمه زينب بنت عمر بن الخطاب و عمر أمه بنت عاصم بن عمر بن الخطاب . و الله أعلم .

و مما يروى من أخبار حميد ما أسنده البكري في معجمه عن سعيد بن جبير التابعي الجليل حيث قال و حدث عبد الله بن حية قال : طفت مع سعيد بن جبير فمر بنا رجل يقال له حميد الأمجي فقلت أتعرف هذا ؟ قال : لا قلت : هذا الذي يقول :

حميد الذي أمج داره

أخو الخمر ذو الشيبة الأصلع

علاه المشيب على شربها

و كان كريما فما ينزع

فقال : و كان شقيا فلم ينزع ، فقلت يا أبا عبد الله ليس هكذا قال فقال : و الله لا ، كان كريما وهو مقيم عليها .

وذهاب بني أخي حميد الأمجي إلى عمر بن عبدالعزيز بالمدينة يتظلمون عنده من عمهم يدل على تبعية أمج للمدينة إداريا

لذلك كثر في كلام البلدانيين قولهم : من أعراض المدينة ، أي من مخاليفها و الأصح أنه يتبع ولاية وادي الفرع أكبر و أشرف ولايات المدينة في تلك المدة وسيأتي مفصلا بإذن الله تعالى .

الوليد بن العباس القرشي بأمج .

و من القصص المشابهة لخبر حميد الأمجي ما أورده الحموي في معجمه في مادة أمج عن الوليد بت العباس القرشي حيث قال : و قال الوليد بن العباس القرشي : خرجت إلى مكة في طلب عبد آبق لي فسرت سيرا شديدا حتى وردت أمج في اليوم الثالث غدوة فتعبت فحططت رحلي و استلقيت على ظهري و اندفعت أغني :

يا من على الأرض من غاد و مدّلج

اقري السّلام على الأبيات من أمج

اقري السّلام على ظبي كلفت به

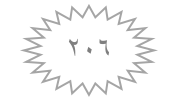
فيها أغنّ غضيض الطّرف من دعج

يا من يبلّغه عني التحية لا

ذاق الحمام و عاش الدهر في حرج

قال : فلم أدر إلا و شيخ كبير يتوكأ على عصا و هو يهدج إليّ فقال : يا فتى أنشدك الله إلا رددت إليّ الشعر فقلت : بلحنه؟ قال : بلحنه ، ففعل فجعل يتطرب فلما فرغت قال : أتدري من قائل هذا الشعر ؟ قلت : لا قال : أنا و الله قائله منذ ثمانين سنة ، و إذا الشيخ من أهل أمج .

و قد تفرد الحموي بهذا الخبر و لم أتمكن من معرفة الوليد هذا ، و لا الشاعر الأمجي فقد أبهم في الخبر ولعله في تلك



المدة التي عاش فيها حميد فهي أقرب إلى زمن الفصاحة وجودة الشعر و كذلك كان أمج عامرا في تلك المدة فلا يستغرب مثل هذا .

منافرة كثير الخزاعي و النصيب الوداني .

و من شعراء العصر الأموي كما هو مشهور و مر معنا كُثير الخزاعي و النصيب الوداني مولى عبدالعزيز بن مروان والد الخليفة عمر و قد حصلت بينهما منافرة في تلك المدة فذكر النصيب فيها بعض ديار خزاعة و ما حولها و منها أمج .

قال الزبير بن بكار في نسب قريش (٤٧٧/١) : حدثنا الزبير قال وحدثني أسعد بن عبيد الله المزني عن إبراهيم بن سعيد بن بشر بن عبد الله بن عقيل الخارجي عن أبيه سعيد بن بشر قال : والله إنا لمع أبي عبيدة بن عبد الله بن زمعة بمنى في حواء له ضخم ، إن درينا إلا بكثير باكراً قبل أن نطعم شيئاً فلما رآه أبو عبيدة حياة واقتفى به ودعا بالغداء فأتى به فلما شرعنا وشرع كثير معنا إذا رجل يسلم فرددنا السلام واستدنيناه فإذا النصيب في بزة جميلة قد وافى الحج قادماً من الشأم فأكب على أبي عبيدة فقبل رأسه وساءله وحياه أبو عبيدة واقتفى به ثم استدعاه إلى الطعام فوضع مع القوم وجشع كثير فأقلع وما استتم لقماً ثلاثاً فأقبل به أبو عبيدة والقوم وأدبروا أن يأكل فأبى فلهوا عنه وأكلوا ومعهم النصيب أشدهم بأبي عبيدة اختلاطاً فلما فرغوا أقبل كثير على النصيب فقال : أما والله يا أبا محجن لأن أثر الشأم عليك لجميل لقد رجعت منع هذا المرة ناقصاً كبرك ، قليلة خيلاؤك قال فقال له نصيب : لكن أثر الحجاز والله يا أبا صخر عليك غير جميل لقد رجعت إليه وإنك لزائد تقصيرك

كثيرة حماقتك عظيم صلفك فقال له كثير : أما والله إني لأشعر العرب حين أقول لمولاتك :

إذا أَمْسَيْتُ بَطْنُ مُجَاجَ دُونِي

وعَمْقٌ دُونَ عَزّةَ فالنَّقيعُ

فليسَ بِلائِمي أحَدٌ يُصَلَّي

إذا أخَذَتْ مَجارِيَها الدُّمُوعُ

قال فقال له النصيب : أنا والله أشعر منك حيث أقول في بنت عمك :

خليليَّ إن حَلَّتْ كُلَيَّةَ فالرُّبَى

فَذَا أمَجٍ فالرَّوْضَ ذَا الماءِ والحَمْضِ

وأصبَحَ من حَوْرَان رَحْلِي بمَنْزِلٍ

يُبَاعِدُهُ من دَارِها نازِحُ الأرْضِ

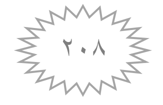
وآيَسْتُما أن تجمَعَ الدَّارُ بينَنَا

فخُوضَا لِيَ السَّمَّ المُصَرَّحَ بالمَحْضِ

ففِي ذاكَ من بَعْضِ الأمُورِ سَلامةٌ

ولَلْمَوتُ خيرٌ من حياةٍ على غُمْضِ

قال: فاقتحم إليه كثير وثبت له نصيب فلم يقم وجعل يرفع رأسه فيذيبه بيد واجدة حتى طال ذلك بينهما ثم رمحه نصيب رمحة بساقه حتى طاح منها بعيداً فما زال راقداً حتى أيقضناه عشية لرمي الجمار .



و قول النصيب : فالروض ، لعله قصد عين الروضة بوادي غران و قد تقدمت ، و قوله الحمض ، هو موضع يقبع بالكديد غلب عليه اليوم ، حتى أصبح الكديد يعرف به .

و أما حوران لعله تصحيف لدوران لأنه الأشهر في تلك الناحية التي تمثل بها ، و الله أعلم .

معسكر أبي حمزة الخارجي بأمج .

و في أواخر حكم بني أمية حدثت فتنة طالب الحق و أبي حمزة الخارجي الإباضي المشهورة في كتب التاريخ سنة ١٣٠هـ ، و كان من أمرهم أن استولوا على مكة و تبعهم خلق من الحجاز ثم زحفوا إلى المدينة فسمع بهم أهل المدينة فخرجوا إليهم فالتقوا في قديد فأوقع بهم أبو حمزة الخارجي وقعة شنيعة فلم ينج منهم إلا من هرب .

و كان أبو حمزة الخارجي قبل أن يوقع بأهل المدينة بقديد قد عسكر بأمج ، حكى هذا الخبر و أسنده أبو العرب التميمي في كتابه المحن حيث قال (ص٢٠٩) :

قال أبو العرب حدثني سعيد بن شعبان قال حدثنا وهب بن نافع قال حدثني الحزامي قال سعيد وحدثني عبيد الله بن عبد الملك بن حبيب عن أبيه عن الحزامي وحدثني محمد بن حسن عن هاشم بن يحيى بن عبيد بن كيسان مولى خزاعة أن الحرورية خرجوا من مكة يريدون الشام حتى نزلوا **أمج** ونزل أهل المدينة الجحفة وقدموا طوالعهم ثم رحل أهل المدينة فنزلوا في القبلة من قديد فباتوا على غير تعبئة ولا استعداد فصبحهم الحرورية يوم الخميس صلاة الصبح لسبع ليال مضين من صفر سنة ثلاثين ومائة فشنوا عليهم الغارة وأكثرهم نيام فثار أهل المدينة منهم المقاتل ومنهم

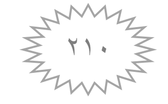
الهارب وثبت بنو عنبسة بن سعيد بن العاص شيئا ثم انهزموا وانهزم الناس فلم تزل الحرورية تقتلهم حتى بلغوا المشلل ثم رجعوا فعسكروا بقديد وأمروا بالحرثى والأسلاب فجمع كله واستعملوا عليهم أبا يحيى بن عبيد بن كيسان مولى بني كعب قال فقتل يومئذ عبد العزيز بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان أمير القوم وأصيب من معه من أهل المدينة فلم ينج منهم إلا الشريد .

و قوله في هذا الخبر : واستعملوا عليهم أبا يحيى بن عبيد بن كيسان مولى بني كعب ، يرجح قول من يقول باشتراك خزاعة مع أبي حمزة الخارجي ، حيث أن الطبري ذكره بصيغة التمريض فقال (٣٩٣/٧) : وقد زعم بعض الناس أن خزاعة دلت أبا حمزة على عورتهم وأدخلوهم عليهم فقتلوهم وكانت المقتلة على قريش هم كانوا أكثر الناس وبهم كانت الشوكة وأصيب منهم عدد كثير .

و قد تقدم اشتراك بني سراقة بن معتمر أهل غران معهم بل وكان بعضهم من عمالهم .

و هذا بلا شك سيؤدي إلى تهميشهم فيما بعد أو ربما للنفرة منهم .

و قد يكون هو سبب نقمهم و التحاقهم بهم فيحتاج مزيد نظر و تحقق من دوافع أهل الحجاز في الانضمام إليهم .



المبحث الرابع : أمج في العصر العباسي .

المطلب الأول : أخبار أمج في القرن الثاني الهجري .

و في أوائل القرن الثاني الهجري سيطر على الحجاز بنو هاشم العباسيون سنة ١٣٢هـ ، و توسعت أخبار أمج و اشتهر فوق شهرته و تحدث عنه المؤرخون و تغنى به الشعراء ، منهم :

الشاعر إبراهيم بن هرمة القرشي .

قال الحافظ الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد : إبراهيم بن علي بن سلمة بن عامر بن هرمة أبو إسحاق الفهري المديني شاعر مفلق فصيح مسهب مجيد حسن القول سائر الشعر وهو أحد الشعراء المخضرمين أدرك الدولتين الأموية والهاشمية و قدم بغداد علي أبي جعفر المنصور و مدحه فأجازه وأحسن صلته و كان ممن اشتهر بالانقطاع إلى الطالبيين .

و لأمج ذكر في شعر ابن هرمة هذا ، تفرد الحموي بذكر أبيات نسبها إليه في معجمه فقال (٤٦٨/٤) : قال ابن هرمة :

عفا أمج من أهله فالمشلل

إلى البحر لم يأهل له بعد منزل

فأجزاع كفت فاللوى فقراضم

تناجي بليل أهله فتحملوا

قلت : كفت تصحيف لثنية لفت و الله أعلم ، و يؤيده ذكر بعض المواضع حولها كالمشلل و أمج و هي تقبع بينهما .

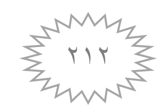
خبر خروج النفس الزكية .

و في نفس العام الذي وفد فيه ابن هرمة الشاعر على أبي جعفر المنصور خرج عليه محمد بن عبدالله بن الحسن الحسن بن علي بن أبي طالب بالمدينة سنة ١٤٥هـ .

فسيطر على المدينة و مكة و طرد عامل أبي جعفر عليها وهو السري بن عبدالله العباسي الهاشمي ، و استعمل على مكة الحسن بن معاوية الجعفري الهاشمي ، فبعث إليهم أبو جعفر المنصور عيسى بن موسى العباسي بجيش للقضاء على هذه الفتنة ، فلما قرب عيسى بن موسى من المدينة أرسل محمد بن عبدالله (النفس الزكية) لعامله على مكة الحسن بن معاوية أن يأتيه و لكن لم يدرك نصرته .

قال الطبري في تاريخه (٥٧٦/٧) : قال و حدثني عمر بن راشد مولى عنج قال لما ظهر الحسن بن معاوية على السرى أقام قليلا حتى أتاه كتاب محمد يأمره بالشخوص إليه ويخبره أن عيسى قد دنا من المدينة ويستعجله بالقدوم قال فخرج من مكة يوم الاثنين في مطر شديد زعموا أنه اليوم الذي قتل فيه محمد فتلقاه بريد لعيسى بن موسى **بأمج وهو ماء لخزاعة بين عسفان وقديد** بقتل محمد فهرب وهرب أصحابه .

و لعل خروج النفس الزكية على أبي جعفر المنصور بسبب تحايله على شرع الله كما فعل اليهود في السبت حيث ذكر أهل الأخبار أن ابن هرمة الشاعر طلب من المنصور أن يعفيه من حد الخمر لكثرة شربه له ، فقال أبو جعفر هذا حد لا يمكن تعطيله ، فطلب منه ابن هرمة أن يحتال له فيه فأمر أبو جعفر عامله بالمدينة أن إذا جاءه ابن هرمة وهو سكران جلده الحد و من أتى به جلده مائة ، فسلط الله عليه به وهناك أسباب أخرى ليس هذا محل ذكرها .



و مما تجدر الإشارة إليه لتعلقه بما سيأتي أن النفس الزكية لما تغلب على المدينة طلب عبيدالله بن الحسين الأصغر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط بن علي بن أبي طالب أن يبايعه فتخلف عن ذلك .

قال أبو نصر البيهقي في سر السلسلة (ص٧٠) : و كان عبيدالله قد تخلف عن بيعة النفس الزكية محمد بن عبدالله المحض فحلف محمد إن رآه ليقتله فلما جيء به غمض محمد عينيه مخافة أن يحنث .

و لعبيدالله بن الحسين الأصغر أخ يدعى : عبدالله ، و قد توفيا في حياة أبيهما الحسين الأصغر و الذي توفي في سنة ١٥٧هـ .

و من عقب عبيدالله هذا أمراء المدينة فيما بعد و الذين امتد حكمهم بها قرونا طويلة ، و من عقب أخيه عبدالله بن الحسين الأصغر أصحاب عين خليص كما سيأتي إن شاء الله تعالى .

أول ذكر لعين ابن بزيـع (خليص) .

و بعد هذه الفتنة بيسير في سنة ١٤٨هـ ولد الإمام علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب أحد أئمة الشيعة الإمامية كما يزعمون .

كان من العلم و الدين بمكان ، ترجم له الخطيب في تاريـخ بغداد ترجمة حافلة ، و قد عثرت على رواية في بعض مسانيد الشيعة الإمامية تتصل به جاء فيها ذكر لعين ابن بزيـع (عين خليص) حيث روى الحميري في كتابه قرب الإسناد خبرا يفيد

أن أحد تلامذة الرضا استفتاه عن الصدقة على أهل البيت فقال (ص٣٧٠) : و سألته عن الصدقة تحل لبني هاشم ؟

فقال : لا ، ولكن صدقات بعضهم على بعض تحل لهم .

فقلت له : جعلت فداك ، إذا خرجت إلى مكة كيف تصنع بهذه المياه المتصلة بين مكة والمدينة ، وعامتها صدقات ؟

قال : سم منها شيئا .

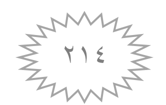
فقلت : منها عين ابن بزيع وغيره .

قال : و هذه لهم .

قلت : و الإمام الرضا مدني عاش أكثر حياته بها و توفي سنة (٢٠٣هـ) بطوس مما يدل على أن عين خليص قد اعتملت في القرن الثاني الهجري ، هذا إن صحت نسبة الكتاب لراويه !.

و الأظهر أنها من أملاك بني حسين بن علي بن أبي طالب لأن ولد علي بن أبي طالب تملكوا بأعلى أمج بعض عيون وادي ساية كما تقدم من كلام عرام السلمي حيث قال :

مهايع وهي قرية كبيرة غناء وبها منبر و والي ساية من قبل صاحب المدينة فيها نخل ومزارع وموز ورمان وعنب **وأصلها لولد علي بن أبي طالب رضي الله عنه** و فيها من أفناء الناس وتجار من كل بلد .... إلى أن قال : و أسفل من ذلك خيف ذي القبر وليس به منبر وإن كان آهلا وبه نخل كثير وموز ورمان و سكانه بنو مسروح و سعد و كنانة وتجار ألفاق وماؤه فقر وعيون تخرج من صفتي الوادي كلتيهما **و بقبر احمد بن الرضا سمي خيف ذي القبر** .



وقال البكري بعد أن أورد هذا الخبر (ص٧٨٧) : و زعم محمد بن علي بن حمزة العلوي أن هذا غلط ليس للرضا ولد من ذكر ولا أنثى إلا محمد بن علي بن موسى و قبره ببغداد .

قلت : إن قصد المعقبين من ولده فقوله قد يصح و إن قصد أنه لم يولد له غيره فصح وصف البكري لكلامه بالزعم .

قال الخطيب في ترجمة علي الرضا : وذكر غير ابن جرير أن الرضا خلف من الولد محمدا والحسن وجعفرا وإبراهيم والحسين وعائشة .

و زاد ابن حزم (ص٦١) : عليا ، ليس له عقب .

فلا يبعد أنه أعقب ولدا اسمه أحمد ، ثم انقطع عقبه كعلي لأن عدم الورود لا يعني عدم الوجود ، و قد يكون عرام وهم في اسم أحد هؤلاء فسماه أحمدا ، و الله أعلم .

و قد يكون أول ذكر لعين خليص قبل ذلك فقد أورد البكري قصيدة في معجمه جاء فيها قوله : مسدوس بفتح أوله مفعول من سدست : موضع قد تقدم ذكره في رسم النقيع قال الشاعر :

أقفر السفح من أمية

فالنعف فغول فيليل فبرام

فكدي فبطن مر فمسدوس

قفار تسعى به الآرام

فخليص فبطن وج عفاه

كل مسحنفر له إرزام

فقديد أقوى فعسفان

فالجحفة أقوى جميعها فرجام

فكديد فالحي أقفر منها

فالعرينات فالهضاب العظام

فالرويحاء فالرويثة فالعرج

فأبواء منعج فشمام

فالهضيبات فالسيالة فالسقيا

بأرجائها تداعى الحمام

و هذه القصيدة تشبه شعر أبي قطيفة : عمرو بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط القرشي ، إن لم تكن منحولة ، و هو شاعر أموي معاصر لابن الزبير عبدالله رضي الله عنه ، و بها تصحيف للمواضع ليس هذا موطن تحقيقه .

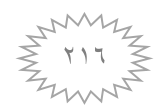
و الذي دعاني لهذا القول مطلع قصيدة له قال فيها :

ليت شعري وأين مني ليت

أعلى العهد يلبن فبرام

فمطلع القصيدة و القافية و حال الشاعر في وصف حنينه والاشتياق للحجاز بعد نفي ابن الزبير له مع بني أمية ، يرجح القول بأنها له ، و لعل الرواة كلا حفظ منها ما وصله وبعضهم أسقط أبياتا و آخر أثبتها ، و الله أعلم .

فإن صحت نسبة القصيدة لأبي قطيفة أو كانت من شعره فهذا يقتضي ظهور عين خليص في القرن الأول من الهجرة



وسميت باسم مالكها الأول و هو : خليص ، ثم تملكها ابن بزيـع ، و الذي يترجح أنه قرشي ثم آلت لبني الحسين بن علي بن أبي طالب ، فلما أرادت الدولة العباسية تسبيلها على طريق المارة و الاستئثار بالمكرمات و لعله في زمن الرشيد امتنع بنو الحسين حينها من الاستئثار بأجرها دونهم فسبلوها و الله أعلم .

و مما يؤكد أن مالكها الأول يدعى : خليص ، ما حكاه عرام السلمي في رسالته عن وصف عكاظ شرقي الطائف حيث قال : و حذاءها عين ، يقال لها خليص للعمريين ، وخليص هذا رجل وهو ببلاد تسمى ركبة .

فلا يبعد أن يكون خليص هذا هو المالك الأول لعين خليص بأمج ، و الله أعلم .

المطلب الثاني : أخبار أمج في القرن الثالث الهجري .

و مما يؤكد صحة خبر الإمام الرضا عن عين ابن بزيع (خليص) بأنها للعلويين ما أورده نسابو آل البيت المتقدمون في كتبهم النسبية عنها ، و من ذلك :

ما أورده العبيدلي (ت٤٣٧) في تهذيب الأنساب حيث قال (ص٢٣٩) : وقاسم بن إسماعيل بخليص ، و الحسين بن إسماعيل في خليص لم يذكره صاحب الكتاب .

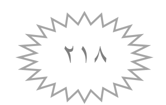
و قاسم و أخوه الحسين بنو إسماعيل بن جعفر بن عبدالله بن الحسين الأصغر الذي سبق ذكره ، و هما معاصران ليحي بن الحسن بن جعفر بن عبيدالله بن الحسين الأصغر النسابة مؤلف كتاب المعقبين من ولد علي و المتوفى سنة ٢٧٧هـ .

و ابن عمهم الحسن بن محمد العقيقي كان مع الحسن بن زيد الداعي الكبير في ثورته بطبرستان سنة ٢٥٠هـ ترجم له الأصفهاني في المقاتل .

و قد زاد البيهقي في لباب الأنساب فقال (ص٥٣٣) : العقب من إسماعيل المنقذي ابن جعفر بن عبد الله بن الحسين الأصغر : أبو جعفر محمد والقاسم صاحب خليص .

و معنى قوله : صاحب خليص أي متوليها و القائم عليها أو أميرها و الأول أرجح .

و ذكر الرازي (ت٦٠٦) في الشجرة المباركة أن عقب القاسم صاحب خليص بها فقال (ص١٧٥) : و أما إسماعيل المنقذي فله من المعقبين ستة ، علي أبو الحسن الرئيس بمكة ، و محمد صاحب خليص و هو موضع ، و إبراهيم عقبه بطبرستان ، و القاسم بخليص وعقبه بها .



و قوله : و محمد صاحب خليص ، يفيد أنه تولاها بعد أخيه إلا أنني أرجح وهمه لأنه خالف المتقدمين ، و لعله محمد بن القاسم الآتي ذكره .

و ذكر العمري تلميذ شيخ الشرف العبيدلي في المجدي ما يقتضي أن إدارة عين خليص آلت لمحمد ولد القاسم بعد ذلك فقال (ص٣١٠) : و من ولده (أي إسماعيل المنقذي) محمد بن القاسم بن المنقذي صاحب خليص .

و جميع هؤلاء في القرن الثالث الهجري إن شاء الله تعالى لما تقدم من تواريخ معاصريهم ، وسيأتي في الخبر القادم كيف نشأت إمرة خليص .

تخريب عين خليص سنة ٢٥١هـ .

تقدم خبر خروج النفس الزكية من بني حسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه في عهد أبي جعفر المنصور سنة ١٤٥هـ و مقتله بذلك الخروج رحمه الله ، و كان له أخ يدعى : موسى الجون بن عبدالله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب (ت١٨٠) له عقب كثير .

و كان من عقبه أمراء مكة بالحجاز على اختلاف قبائلهم وأمراء الدولة الأخيضرية باليمامة و أمراء المخلاف السليماني باليمن (يعرف اليوم بمنطقة جازان) .

و جل الحوادث القادمة معنا متعلقة بهم ، و من ذلك :

خروج إسماعيل بن يوسف الحسني بالحجاز سنة ٢٥١هـ .

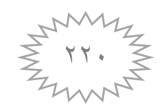
فبعد مقتل محمد النفس الزكية كما تقدم على يد جيش أبي جعفر المنصور سنة ١٤٥هـ ، لم تخمد جذوة الثورات العلوية على العباسيين فاستمرت إلى سنة ٢٥١هـ حيث خرج بالحجاز إسماعيل بن يوسف بن إبراهيم بن موسى الجون وأخوه محمد (الأخيضر) ، مستغلا ضعف الدولة العباسية وانشغال الخليفة المستعين بقتال المعتز .

و خبره طويل عند ابن جرير في تاريخه ، و قد اختصره الفاسي في العقد فقال : ذكر ابن جرير الطبرى : أنه ظهر بمكة فى سنة إحدى وخمسين ومائتين فهرب عنها عاملها جعفر بن الفضل بن عيسى و نهب إسماعيل منزله ومنازل أصحاب السلطان وقتل الجند وجماعة من أهل مكة وأخذ ما كان حمل لإصلاح العين من المال وما فى الكعبة من الذهب وما فى خزانتها من الذهب والفضة والطيب وكسوة الكعبة وأخذ من الناس نحوا من مائتى ألف دينار ونهب مكة .

و قال الفاسي : وخرج منها بعد خمسين يوما فسار إلى المدينة وتوارى عنها عاملها على بن إسماعيل ثم رجع إلى مكة فى رجب فحصرها حتى مات أهلها جوعا وعطشا .

و قال : ثم رحل بعد مقامه سبعة وخمسين يوما إلى جدة فحبس عن الناس الطعام وأخذ أموال التجار وأصحاب المراكب .

إلى أن قال : وكان المعتز بن المتوكل الخليفة العباسى وجّه جماعة لقتاله فقاتلهم وقتل من الحاج نحوا من ألف ومائة وهرب الناس إلى مكة فلم يقفوا بعرفة لا ليلا ولا نهارا ووقف هو وأصحابه ثم رجع إلى جدة فأفنى أموالها .



و ذكر القاضي وكيع (ت٣٠٦) في كتابه الطريق خبرا تفرد به حيث كان معاصرا لتلك الأحداث فقال : و من قديد إلى خليص عين ابن بزيع ثمانية أميال .

و قال : و العقبة قبل خليص بثلاثة أميال ، و هي ثنية لقف عندها مسجد النبي صلى الله عليه وسلم .

و قال : و من خليص إلى أمج ميلان .

وبخليص عين غزيرة و عليها نخل و شجر كثير وبركة ومشارع انقطعت كلها وأخربها إسماعيل بن يوسف ، و بأمج نحو من عشرين بئرا يزرع عليها و هي لخزاعة و فيه جماعة منها و أمج كثيرة المزارع و النخل .

ثم قال : العرو بوادي الأزرق ، خلف أمج بميل ، و بين أمج وجُمدان ميلان و شيء ، و جُمدان جبال عن يمين الطريق وفي الوادي عين .

تحليل النص و شرحه .

و هذا النص الذي أورده القاضي وكيع من أنفس النصوص التي أرخت للمنطقة ، فلابد من الوقوف معه و التعليق عليه بما يستظهر فوائده .

١- قوله : من قديد إلى خليص عين ابن بزيع ثمانية أميال قول دقيق ، و قديد بناء على هذا الوصف هي ما يعرف اليوم بقرية البريكة ، حيث تبعد عن عين خليص المندثرة بهذه المسافة التي ذكرها القاضي وكيع .

و قد وقفت على العين و عثرت على آثارها بجانب الحرة قبل قرية العزيزية للقادم من قديد تحت أعمدة الضغط العالي الكهربائية .

٢- قوله : خليص عين ابن بزيـع ، قد تقدم التعليق عليه في خبر الإمام الرضا و بينا وجه ذلك .

٣- قوله : و العقبة قبل خليص بثلاثة أميال ، وصف دقيق أيضا و هو ما ساعدني على العثور عليها مع الاستعانة بخرائط جوجل (google) .

و العقبة : هي ثنية لفت و قد تصحفت عند القاضي إلى لقف و هو تصحيف و ليس وهما إن شاء الله .

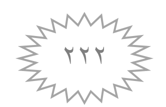
٤- قوله : عندها مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ، قد تقدم الكلام عنه في مبحث ثنية لفت و ذكرنا أنه يقع على الطريق قبل صعود الثنية نحو أمج ، و ليس على ظهرها .

٥- قوله : و من خليص إلى أمج ميلان ، يدل على أن قرية أمج القديمة و المندثرة اليوم تقع على ضفة وادي أمج من الجنوب لأنه قد تقدم دقة القاضي في التحديد ، و هذا المكان يقع شرقي حي الدف القديم بأكثر من ميل بقليل تقريبا كما سيأتي ، و يفصل بين أمج و الدف (دف جمدان) مسيل وادي غران ، و يسمى هنا (الوادي الأزرق) كما سيأتي .

و قد وقفت عليها فوجدتها من أخصب مناطق وادي أمج لذلك وصفها القاضي بكثرة مزارعها و نخيلها .

٦- و يدل هذا النص على بقاء قبيلة خزاعة بوادي أمج حتى بداية القرن الرابع الهجري و أن القرية لهم بل ربما الوادي كله و لا يمنع أن يسكنه غيرهم معهم بالتملك أو للعمل .

٧- لم يذكر القاضي وكيع قرية بخليص ، و لكن هذا لا يمنع من وجودها ، لأن عدم الورود لا يعني عدم الوجود ، و قد ذكر قرائن تدل على وجودها ، كقوله : عليها نخل و شجر



كثير و بركة ومشارع ، فهذا كله لابد له من يقوم عليه و قد تقدم ذكر القاسم المنقذي الحسيني بها و بنيه .

٨- قوله : أخربها إسماعيل بن يوسف أي الحسني المتقدم ذكره و الذي استشهدنا بالنص لأجله ، و هذا الإخراب قد يكون لسبب سياسي و هو الذي أميل إليه ، لأنه كما تقدم أن عين خليص من أملاك بني حسين ، و تصدقهم بها لا يعني عدم سكناهم بها و تملكهم لما حولها من المزارع ، فلا يبعد أنهم خذلوه في ثورته فلم يبايعوه أو يمدوه بالمال فنقم منهم فأخربها .

و كذلك يضاف لذلك أن أسرة إسماعيل المنقذي الحسيني ورد ذكر بعضهم عمالا للدولة كنقباء و قضاة بمكة ، و هذا يؤكد ما ذكرناه .

وبسبب خذلان أهلها للثوار ضد السلطة العباسية تحول الدور السياسي إليها مكافأة لهم كما سيأتي إن شاء الله .

و قد توفي إسماعيل بن يوسف فى آخر سنة اثنتين وخمسين ومائتين بعد أن ابتلاه الله بالجدرى أرخه الفاسي في عقده وقُمعت ثورته فرحل أخوه محمد إلي اليمامة فأسس دولته الأخيضرية هناك .

٩- قوله : العرو بوادي الأزرق خلف أمج بميل ، هذا تصحيف صوابه : غران يعرف بالوادي الأزرق ، و قد صوبناه من كلام المتقدمين الذين نقلوا عنه .

و قوله خلف أمج لأجل أن المتكلم مستقبل جبل جمدان أثناء الوصف ، فيصح وصفه حينئذ ، و يؤكده قوله : و بين أمج وجُمدان ميلان و شيء ، و جُمدان جبال عن يمين الطريق وفي الوادي عين .

أي في الوادي الأزرق ، و لعلها ما يعرف اليوم (بالنتوقة) وقوله (جبال) أي جميع السلسلة الجبلية إلى مبنى الجامعة .

جريان عين خليص بعد انقطاعها سنة ٢٨٠هـ .

و في سنة ٢٨٠هـ عاد جريان عين خليص و استصلحت بعد خرابها كما أرخه البكري في معجمه حيث قال : ومن قديد إلى خليص عين ابن بزيـع سبعة أميال و كانت عينا ثرة عليها نخل وشجر كثير ومشارع خربها إسماعيل بن يوسف فغاضت العين ثم رجعت بعد سنة ثمانين ومائة .

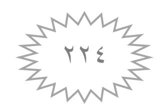
و قد ذكر الجاسر رحمه الله في تحقيقه لكتاب الطريق أنه تصحيف صوابه : بعد ثمانين و مائتين ، و هو كما قال .

قلت : و قوله : سبعة أميال ، وهم صوابه ثمانية و قد جاءت على الصواب في المسالك و الممالك للبكري .

قال البكري في المسالك و الممالك : ومن قدبد إلى عين أبي ربيع وهو خليص ثمانية أميال ، وهي عين ثرّة عليها نخل كثير وشجر **و فيها مسجد** ، والعقبة قبل خليص بثلاثة أميال وهي ثنية كعب وعندها مسجد ومن خليص إلى أمج ثلاثة أميال وله مساجد غير ما ذكرنا .

و البكري هنا ينقل عن القاضي وكيع على الأرجح إلا أن نسخته أتم من المطبوعة اليوم ، و كذلك وقع فيها تصحيف ومن ذلك قوله : ثنية كعب فصوابه : ثنية لفت ، و كذلك قوله : عين أبي ربيع ، صوابه : عين ابن بزيـع .

و أما قوله : فيها مسجد أي مسجد للنبي صلى الله عليه وسلم بعين خليص ، و قد وافقه المؤرخ الأسدي الذي أكثر السمهودي من النقل عنه .



قال السمهودي في ذكر مساجد النبي صلى الله عليه و سلم بالطريق إلى مكة : ومنها مسجد عند حرة عقبة خليص قال الأسدي : من قديد إلى عين ابن بزيع وهي خليص على ثمانية أميال و شيء و ذكر آبارا كثيرة بقديد ، قال : وعقبة خليص بينها وبين خليص ثلاثة أميال و هي عقبة تقطع حرّة تعترض الطريق يقال لها ظاهرة البركة والشجر ينبت في تلك الحرة وعند الحرة مسجد لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومنها : مسجد خليص قال الأسدي : خليص عين غزيرة كثيرة الماء وعليها نخل كثير وبركة ومشارع ومسجد لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

قلت : و هذا غريب لأن خليصا لم تكن في زمن النبوة ، إلا إذا أراد أمجا فهذا قد يصح ، و كذلك على القول بأنهما ينقلان عن القاضي وكيع لتطابق نصوصهما معه فإنه لم يذكر للنبي صلى الله عليه وسلم مسجدا بخليص ، فدل على ضعف هذا القول ، والله أعلم .

المطلب الثالث : التحول الإداري لمنطقة أمج .

في صدر الإسلام و عصر بني أمية و صدرا من دولة بني العباس كان أمج يتبع المدينة إداريا ، لذلك نرى جماعة من البلدانيين الذين وصفوا موقعه قالوا عنه : بلد من أعراض المدينة ، وقد تقدمت في مباحث هذا الكتاب .

واستمرت تبعية أمج للمدينة إلى زمن الفاكهي المتوفى بعد سنة ٢٧٢هـ ، حيث ذكر في أخبار مكة ما يقتضي ذلك فقال (١٠٦/٥) : وأعمال مكة ومخاليفها كثيرة ولها أسماء نقصر عن ذكرها لاختصار الكتاب ولكنا نذكر منتهى حدودها التي تنتهي إليه فآخر أعمالها مما يلي طريق المدينة الشريفة **موضع يقال له جنابذ بن صيفي فيما بين عسفان ومر وذلك على يوم وبعض يوم .**

قلت : جنابذ ابن صيفي تقع شمال الغزيات تقريبا .

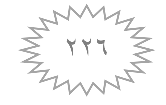
و لم تكن منطقة أمج في تلك المدة مستقلة إداريا وإنما كانت تابعة لولاية عسفان .

و يؤكده أمور منها :

١- نص عرام السلمي المتقدم و الذي ذكر تبعية خيف ذي النعم لوالي عسفان ، و خيف ذي النعم أعلى أمج و قد يكون بالخوار على الأرجح .

٢- نص القاضي عياض الذي تقدم في مبحث الكديد عن اختلاف الرواة في ذكر موضع فطر النبي صلى الله عليه وسلم أثناء مسيره لفتح مكة فأجاب بأن الجميع من عمل عسفان .

٣- أن وادي أمج لخزاعة و عسفان لهم أيضا ، و حدود المخاليف قديما هي حدود ديار القبائل .



و مخلاف عسفان لا يتبع المدينة مباشرة و إنما يتبع مخلاف وادي الفرع ، و هو من أكبر مخاليف المدينة و أشرفها .

قال البكري واصفا مخلاف وادي الفرع : الفرع : بضم أوله ثانيه ، بالعين المهملة حجازى من أعمال المدينة الواسعة والصفراء و أعمالها من الفرع و منضافة إليها.... إلى أن قال :

والفرع : من أشرف ولايات المدينة وذلك أن فيه مساجد لرسول الله صلى الله عليه وسلم نزلها مرارا و أقطع فيها لغفار وأسلم قطائع و صاحبها يجبى اثنى عشر منبرا :

منبر بالفرع ومنبر بمضيقها على أربعة فراسخ منها يعرف بمضيق الفرع ، و منبر بالسوارقية و بسابة و برهاط و بعمق الزرع و بالجحفة و بالعرج و بالسقيا و بالأبواء و بقديد وبعسفان و بإستارة هذه كلها من عمل الفرع .

ثم جاء القاضي و كيع الذي أرخ إخراب إسماعيل بن يوسف الحسني لعين خليص سنة ٢٥١هـ فذكر انفصال ولاية عسفان عن المدينة و تبعيتها لمكة شرفها الله بعد ذلك فقال في كتابه الطريق عن منابر المدينة التي تجبى إليها (ص١٦٩) : **و كانت عسفان من عملها ثم صارت لصاحب مكة** .

بل إن المؤرخ اليعقوبي (ت٢٨٤هـ) ذكر في بلدانه توسع سلطة ولاية مكة بعد ذلك إلى الجحفة فقال : و لمكة من الأعمال ..... **و رهاط و نخلة و ذات عرق و قرن و عسفان ومر الظهران و الجحفة** .

فدل هذا النص على أن التحول الإداري لأمج حصل في العقد الثامن من القرن الثالث الهجري أي ما بين عام ٢٧٠هـ إلى ٢٨٠هـ .

و الأظهر أن سبب هذا التحول هو ضعف السلطة الإدارية لولاة المدينة بعكس السلطة بمكة شرفها الله فقد كانت في تلك المدة تُحكم بقبضة من حديد و يباشر ولايتها بنو العباس أنفسهم ، و شواهده كثيرة سيطول بنا سردها .

و من هنا سينعطف تاريخ أمج إلى منعطفين :

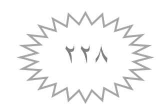
١- تعلقه بتاريخ مكة و تأثره بما يجري بها ، و انفصاله عن تاريخ المدينة بشكل كبير كما سيأتي .

٢- بداية خفوت ذكر وادي أمج و اندثاره و سطوع نجم خليص بدلا عنه .

و كذلك أوضحت تلك النصوص تقلص سلطة مخلاف وادي الفرع و انفصال كثير من الأعمال الإدارية التابعة له ، و قد اقطع لقبيلة حرب بعد هذا التقلص في بداية القرن الرابع الهجري على الأرجح كما سيأتي أو قبله بيسير .

و أما قول البكري : و الصفراء و أعمالها منضافة إليه ، أي أن وادي الصفراء و ما يقع تحت سلطته من القرى و الديار يتبع وادي الفرع ثم المدينة ، و هذا يبين سبب انضمام قبيلة مزينة العدنانية إلى بني سالم من حرب لأن ديار قبيلة مزينة تابعة إداريا لمخلاف وادي الصفراء و الذي يتبع بدوره لمخلاف وادي الفرع و الذي ستسيطر عليه قبيلة حرب بعد ذلك .

وليس كما زعم بعض المعاصرين أن الأنصار رجعوا لجاهليتهم وخرجوا من المدينة وأعادوا رسم تحالفتهم مع مزينة وغيرهم و قد بينا بطلانه بما يكفي في العذق الداني .



المطلب الرابع : أخبار أمج في القرن الرابع الهجري .

و مع بداية القرن الرابع و تحول أمج إداريا لإمارة مكة شرفها الله زار مكة المكرمة المؤرخ اليمني الحسن الهمداني لطلب العلم و العمل و غير ذلك بل و تردد عليها ، و في تلك المدة صنف كتابه صفة جزيرة العرب و أفاد خبرا عن قبيلة خزاعة بما يشعر ببقائها في ديارها إلى القرن الرابع الهجري .

قال الهمداني في صفة جزيرة العرب (ص٢٣٣) : ومكة أحوازها لقريش وخزاعة ومنها مرّ الظّهران والتّنعيم والجعرانة وسرف وفخّ والعصم وعسفان وقديد وهو لخزاعة .

ولا شك أن بقاء خزاعة بقديد يشير إلى بقائهم بأمج .

و قد أورد الهمداني أيضا في كتابه الصفة قصيدة لشاعر يدعى العجلاني و لم يتبين لي حاله و لا زمن حياته ، فقد تفرد بحكايتها عنه و نسبتها إليها فقال (ص٣٣٧) :

قالوا وكان في المستسقين من أهل الحجاز شاعر يعرف بالعجلاني فقال له أصحابه الحجازيون : قل لنا شعراً نعارض به هذين الشاعرين و أذكر لنا في قولك شبه فأنشأ يقول :

فالكراعان **فالغميم** مغيثات

فعسفان تلك فالبرقاء

طبق الضاحيات من **أمج** الريّ

وأحيت **قديدها** الفيحاء

فالكليات فالستارة فالجحفة

فالقدس كل **فالأبواء**

فالضواحي من **بطن ودان فالجار**

فبدر يقين **فالصفراء**

رويت بالسيول سقياً وعلت

مع تلك المغيثة **الرّوحاء**

سقيت **ينبع** فساحتها تلك

فتلك الضياع **فالشعثاء**

و في المدة التي أقام بها الهمداني بمكة أو قبلها بيسير اقطعت قبيلة حرب مخلاف وادي الفرع وأعماله من قبل الدولة العباسية و لعله في مدة المقتدر بالله .

قال ابن خلدون في تاريخه : قال ابن الحصين في ذيله على الطبري دخلت المائة الرابعة والخطبة بالمدينة للمقتدر قال وترددت ولاية بنى العباس عليها والرياسة فيها بين بنى حسين وبنى جعفر إلى أن أخرجهم بنو حسين فسكنوا بين مكة والمدينة ثم أجلاهم بنو حرب من زبيد إلى القرى والحصون وأجازوهم إلى الصعيد فهم هنالك إلى اليوم وبقي بنو حسين بالمدينة إلى أن جاءهم طاهر بن مسلم من مصر فملكوه عليهم .

و هذا النص تفرد بروايته ابن خلدون و لكن جاء ما يؤكده عند الحموي في معجمه حيث قال : ودان من الجحفة على مرحلة وبينها وبين الأبواء الّتى هى على طريق الحاجّ فى غربيّها ستّة اميال وبها كان فى أيّام مقامى بها رئيس الجعفريّين أعنى أولاد جعفر بن أبى طالب ولهم بالفرع والسائرة ضياع كثيرة وعشيرة وأتباع وبينهم وبين الحسنيّين حروب ودمآء حتّى



استولت طائفة من اليمن يعرفون ببنى حرب على ضياعهم فصاروا حزبا لهم فضعفوا .

و هذا الصراع أرخه الطبري سنة ٢٦٦هـ و أشار إليه ابن حزم في الجمهرة عند حديثه عن ولد جعفر رضي الله عنه .

و هذه الأخبار أوردناها لتعلقها بأمج حيث توهم بعض المعاصرين نزول قبيلة حرب بأمج في القرن الرابع و هو قول ضعيف ستأتي مناقشته .

و من طاهر بن مسلم هذا امتدت إمارة آل مهنا الحسينيين بالمدينة و التي استمرت لقرون طويلة كما هو مشهور وكانت ديار قبيلة زبيد من حرب تابعة لأمراء المدينة في تلك المدة وسيأتي زمن و سبب تحولها لإمرة مكة .

المؤرخ البشاري (ت٣٨٠) يمر بأمج .

و في عام ٣٧٥هـ تقريبا زار المؤرخ البشاري الحجاز ومر في طريقه بأمج و وصفه وصفا حسنا فقال (ص٩٩) : أمج صغيرة بها خمسة حصون اثنان حجر و ثلاثة مدر ، والجامع على متن الطريق .

خليص : متصلة بها و بها بركة و قناة و تمور و خضر و مزارع .

وكذلك أورد خبرا يفيد إعمار خليص و نزول السكان بها وتحولها من محطة على الطريق و مزارع إلى قرية عامرة مأهولة بالسكان أيضا .

قال البشاري بعد أن وصف المدن الكبرى في الحجاز (ص٧٤) : دونهن بدر خليص أمج الحجر بدا يعقوب السوارقية الفرع السيرة جبلة مهايع حاذة .

و هذا النص لا تقل درجته عن نص القاضي وكيع المتقدم فهو يؤرخ لأمج بعد مائة سنة من مرور القاضي وكيع .

و يكشف عن أمور منها :

١- بقاء خزاعة بأمج و وصف قريتهم بأنها صغيرة مما يدل على قلة عددهم بها ، و الجامع بها و حصونها و التي يترجح أن حصن الجبل الخرب اليوم كان أحدها ، مما يعني استمرار شهرة أمج إلى ذلك الوقت ، بحيث وُصف الحصن بأنه حصن أمج .

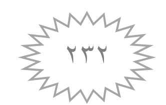
٢- بداية ظهور و سطوع نجم عين خليص و اعتمارها بحيث وصفت من ضمن القرى بالحجاز ، و التي يترجح إعمارها بالحسينيين من ولد علي بن أبي طالب كما مر .

٣- قوله الجامع على متن الطريق ، يدل على أن طريق القوافل كان يطرق أمجا و يمر به ، و هذا يشهد لما رجحناه عن موقعها .

أعيان خليص في القرن الرابع الهجري .

ومن أعيان قرية خليص العلوية في تلك المدة ما أورده العبيدلي في تهذيب الأنساب حيث قال (ص٢٤٠) : فأما أبو الحسن علي الرئيس بمكة ابن أبي جعفر محمد بن علي بن إسماعيل المنقذي فعقبه من أبي القاسم الحسن الخليصي له عقب .

و منهم كذلك الحسين نص عليه العمري في المجدي حيث قال (ص٣١٠) : و أما أحمد فكان يعرف بالمقتدي (ظ:المنقذي) نزل مكة وهو لأم ولد ، و من ولده الحسين



صاحب خليص ابن علي بن جعفر بن أحمد بن جعفر صحصح و له ولد بمكة .

المطلب الخامس : أخبار أمج في القرن الخامس الهجري .

و في عام ٣٥٧هـ تقريبا أي قبل زيارة البشاري للحجاز بعشرين سنة استغل **جعفر بن محمد الحسني** من ذرية موسى الجون المتقدم ذكره ضعف الدولة العباسية و انشغالها بمحاربة العبيديين بمصر فوثب على حكم مكة و تغلب عليها و أسس إمارة الأشراف الحسنيين بمكة على اختلاف قبائلهم و التي امتدت قرابة ألف عام ، و كانت في بعض الأحيان تتمدد وتشمل جميع الأقطار الحجازية كما سيأتي ، و في أحيان أخرى تنكمش سلطتهم إلى مكة و أعمالها .

و قد لخص ابن حزم خبر إمرة مكة إلى قبيل زمن وفاته رحمه الله سنة ٤٥٦هـ فقال (ص٤٧) : ومنهم جعفر ابن محمّد بن الحسن بن محمّد بن موسى بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علىّ بن أبى طالب الذى غلب على مكّة أيام الإخشيديّة **وولده إلى اليوم** ولاة مكّة منهم : عيسى بن جعفر المذكور لا عقب له وأبو الفتوح الحسن بن جعفر المذكور وشكر بن أبى الفتوح وقد انقرض عقب جعفر المذكور إلاّ أنّ أبا الفتوح لم يكن له ولد إلاّ شكر و مات شكر ولم يولد له قط وصار أمر مكّة إلى عبد كان له .

و ذكر الفاسي أن شكر بن أبي الفتوح هذا توفي سنة ٤٥٣هـ ثم آل الحكم إلى عبده .

و في مدة حكم أبي الفتوح والد شكر و الممتدة من سنة ٣٨٤هـ إلى ٤٣٠هـ زين له و ورطه بعض المناوئين للدولة العبيدية بإعلان الخلافة لنفسه لأنه أحق بها منهم ، ثم خذله أنصاره لما خرج إليهم و تفرقوا عنه فقام الحاكم العبيدي بعزله عن إمرة مكة و تولية ابن عمه أبي الطيب الحسني من ذرية موسى الجون في سنة ٤٠١هـ تقريبا .



و أبو الطيب الحسني هذا من ولد عبدالرحمن بن أبي الفاتك الحسني ، ترجم له ابن حزم في جمهرته فقال (ص٤٧) : ومنهم عبد الرحمن بن أبى الفاتك عبد الله بن داود بن سليمان بن عبد الله بن موسى ابن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علىّ بن أبى طالب و كان له اثنان و عشرون ذكرا بالغون وهم عبدالحميد وعبدالكريم وعبدالحكم وعبدالله وموسى وعيسى ومحمّد و يحيى و إسماعيل وأحمد وعلى والحسن والحسين وحمزة ونعمة ورحمة وزيادة ومحمود وموهوب والرّديني **وأبو الطيب** وأبو القاسم وعريقة سكنوا كلهم أذنة حاشا نعمة وعبد الحميد وعبد الحكم فإنهم **سكنوا أمج بقرب مكّة** .

و قد استبعد الفاسي ولايته لمكة لأجل أن ابن حزم لم يصفه بها ، و لكن يظهر أن ابن حزم أرخ له قبلها و الله أعلم .

و يؤكده أن حفيده حمزة بن وهاس قد تغلب على مكة بعد ولاية عبد شكر بمدة و بمساندة بني عمه حيث قال الفاسي في شفاء الغرام (٣٣٥/٢) : و ولي مكة بعد شكر بنو أبي الطيب الحسنيون .

و قال في أخبار سنة ٤٥٥هـ نقلا عن سبط ابن الجوزي حينما تحدث عن دخول الصليحي أحد ولاة اليمن في تلك المدة (٣٣٥/٢) : و رد إلى البيت من الحلي ما كان بنو أبي الطيب الحسنيون أخذوه لما ملكوا بعد شكر .

ثم ذكر الفاسي عن سبط ابن الجوزي أن الصليحي رتب على مكة محمد بن أبي هاشم الحسني نائبا له عليها فحاربه السليمانيون و أخرجوه من مكة فقال : فقصده الحسنيون بنو سليمان مع حمزة بن أبي وهاس فلم يكن له بهم طاقة بحربهم وخرج من مكة .

ثم عاد إليهم ابن أبي هاشم الحسني فأخرجهم عن مكة ونفاهم إلى اليمن فهم به إلي اليوم و قد أسسوا إمارة مشهورة بالمخلاف السليماني و أعماله .

و خبر نفيهم ذكره ابن خلدون في العبر إلا أنه وهم في تاريخه و في أنسابهم ، لذلك نقلنا عن الفاسي لأنه أقعد في تاريخ مكة و ينتقي من النصوص ما يتحقق به المقصود .

تحليل النصوص السابقة و إظهار علاقتها بأمج .

١- يحتمل أن بني عبدالرحمن بن أبي الفاتك الذين ذكر ابن حزم بأنهم نزلوا أمجا هم من سكان قرية خليص بأمج والذين أشار إليهم البشاري كما تقدم لأنها من أملاك العلويين ولكن لأجل شهرة أمج في تلك المدة طغى على محلهم و هذا يشير إلى بقاء شهرته و أن التحول السياسي و الإداري لخليص لم يحصل بعد .

٢- أن بني عبدالرحمن ابن أبي الفاتك هؤلاء ينتسبون إلى جدهم سليمان و يقال لواحدهم : السليماني .

٣- نص ابن حزم يؤرخ لأواخر القرن الرابع الهجري و لكن بلا شك أنه متصل بالقرن الخامس لذلك ذكرناه به ، لأنه ذكر بقاءهم بأمج و كذلك لظهور دورهم بإمرة مكة فيما بعد و قد نص صاحب المرآة سبط ابن الجوزي أنهم شاركوا في القتال مع حمزة بن وهاس بن أبي الطيب السليماني ، ثم أخبر ابن خلدون عن نفيهم .



المطلب السادس : سبب اندثار أمج و انقراض أهله .

لاندثار أمج و انقراض أهله احتمالان فيما يظهر لي :

الأول :

في تلك المدة التي يحكمها شكر بن أبي الفتوح و تحديدا في سنة ٤٣٩هـ حصل بالحجاز قحط عظيم و جفاف واسع أدى لرحيل كثير من أهله و مجاعة فظيعة به ، و قد عاصرها مؤرخ فارسي و سجل أحداثها في رحلته الموسومة برحلة خسرو علوي (سفر نامة) و مما ذكره فيها قوله (ص١٢٦) : وقد قرئ على الناس سنة تسع وثلاثين وأربعمائة المرسوم التالي من سجل السلطان يقول أمير المؤمنين أنه ليس من الخير أن يسافر الحجاج للحجاز هذا العام فإن به قحطا وضيقا وقد هلك به خلق كثيرون وأني أقول هذا شفقة بالمسلمين فلم يسافر الحجاج .

و وصف حجه في تلك السنة فقال (ص١٢٧) : وقد بلغنا مكة في يوم الأحد السادس من ذي الحجة ونزلنا عند باب الصفا وكان بمكة قحط فكانت الأربعة أمنان من الخبز بدينار نيسابوري وقد هاجر منها المجاورون ولم يفد عليها حاج من أي بلد وقد أدينا فريضة الحج لله الحق سبحانه وتعالى يوم الأربعاء في عرفات ولبثنا بمكة يومين و قد خرج من الحجاز خلق كثير مما أصابهم من الجوع والفقر **وتفرقوا في البلاد** .

و وصف استقبال حاكم مصر العبيدي لأهل الحجاز في تلك المدة فقال : ثم توجهنا ناحية مصر فبلغناها بعد خمسة وسبعين يوما وقد هاجر إليها من الحجاز في هذا العام خمسة وثلاثون ألف آدمي فكساهم السلطان وأجرى عليهم الرزق سنة كاملة وقد كانوا جميعا جائعين عرايا ولما أمطرت السماء

في بلادهم وكثر فيها الطعام كساهم السلطان صغيرهم وكبيرهم وأغدق عليهم الصلات ثم رحلهم إلى الحجاز .

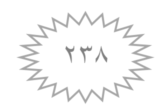
قلت : هؤلاء الذين رجعوا من مصر أما الأكثرون فقد تفرقوا في البلاد كما ذكر آنفا ، و قد حدث قحط آخر و جفاف مثل الذي قبله بعد هذا بخمس سنوات أرخه خسرو علوي نفسه فقال (ص١٢٨) : وفي شهر رجب سنة أربعين وأربعمائة (ديسمبر سنة ١٠٤٨) قرأوا على الناس مرة أخرى مثالا للسلطان بأن في الحجاز قحطا وليس من الخير أن يسافر الحجاج فلينفقوا المال على أنفسهم وليفعلوا ما أمر الله به وفي هذه السنة أيضا لم يسافر الحجاج .

و هذا الاحتمال هو الذي أميل إليه و بعد هجرة أهله منه بقي الأشراف السليمانيون الحسنيون و المناقذة الحسينيين بعين خليص لم يهاجروا لصلتهم بحكام مكة و كذلك يظهر لعدم انقطاع العين فهي تسقي مزارعهم وأنعامهم ، ثم تحول النفوذ إليها و عمرت بالأسواق وأصبحت شهرتها في كل ديوان .

و هذا الاحتمال يفسر اندثار مواضع أخرى معه و في نفس التوقيت كالجحفة و الكديد و ضجنان و الغميم .

الثاني :

أن الشريف محمد بن أبي هاشم الحسني أمير مكة بعد أن تسلطن على مكة شرفها الله حاربه الشريف حمزة بن وهاس السليماني الحسني كما تقدم ، و انضم إليه بنو عمه بأمج الذين أخبر عنهم ابن حزم ، و لعله أيضا انضم إليهم أهل أمج من غيرهم ، فلما تغلب عليهم ابن أبي هاشم نفى السليمانيين و أتباعهم وأخرب القرية فدثرت ، و الله أعلم .



هذا آخر ما عثرت عليه يؤرخ لأمج قبل اندثاره و انقراض أهله و تحول النفوذ به و مركز السلطة إلى خليص ، و سيأتي الحديث عن أمج بعد هذا التحول في الفصل القادم إن شاء الله تعالى والله أعلم .

المطلب السابع : وقفات مع بعض كتب المعاصرين .

قبل أن نقف مع هذه الكتب نود توضيح أمر وهو : أن مناقشة أي مؤلف و تصحيح أوهامه لا يعني القدح فيه والحط من رتبته أو الطعن في كتبه و أمانته ، فهذا ليس منهجي وليس بيني و بين أي أحد خصومة .

و إنما القصد تصحيح مسار السياق التاريخي لهذه المنطقة لكي يسهل على الدارس تصور أي واقع يرغب في دراسته وبخاصة زمن السيرة النبوية .

و قد وقع بعض المعاصرين في أوهام ثم تراكمت بسبب النقل عنه حتى أصبحت كالحقائق ، بل وصل الأمر إلى تقديس تلك الأوهام و بالتالي الطعن في من طرقها مصححا لها .

و من أقدم هؤلاء الباحثين المعاصرين الشيخ عاتق البلادي رحمه الله ، و السبب الرئيس في أوهامه قلة المصادر في زمنه فجلها مخطوط ، ثم كثرة مؤلفاته بحيث يظهر أنه كان لا يتعاهدها بالتصحيح و التنقيح عدا بعض مؤلفاته القريبة منه كمعجم معالم الحجاز ، و هناك أمر آخر و هو استصحاب المرويات الشفهية القريبة و تنزيلها على أزمنة سحيقة وبعيدة مما يتسبب في استدراك غيره عليه و تغليطه ، و الصواب أن هذه المرويات لها وجه من الصحة و إنما ينبغي تمحيصها وتحقيق تاريخها لا دفعها و طرحها جملة و تفصيلا .

و لا يصح أن يستدرك الباحث على آخر و هو يعلم أن أصل الوهم حصل ممن سبق المتوهم ، فالمنهج السليم التصحيح للمتقدم ثم التنويه بمن أخذ عنه إن لزم .

و لابد قبل الشروع في المناقشة أن نبين فضل الشيخ عاتق ونقر بجهوده في خدمة تاريخ الحجاز و معالمه و إحياء علم



البلدانيات بعد اندراسه و يكفي في معرفة شرف هذا البلداني الجليل اعتماد العلامة الشيخ الجاسر على كتبه و التعويل على أبحاثه في كثير من مؤلفاته ، يعرف هذا و يقر به كل من اشتغل بهذا الفن و درسه فرحمه الله و عفا عنه .

و سيكون المنهج في تصحيح تلك الأوهام هو عرضها فقط بدون مناقشة إلا إن لزم ، لأن تاريخ أمج معروض أمام القارئ الكريم و يمكنه أن يقارن بين النقول و يعرف الوهم من الصواب .

١- جاء في كتاب قلب الحجاز قوله (ص٥٧) : و جاءت قبيلة حرب في القرن الرابع فاحتلت خليص من سليم الذين خلفوا خزاعة أهله الأصليين .

٢- و جاء فيه أيضا قوله (ص٨٦) : و تعتبر كلية نقطة البداية في تأريخ حرب ، و أقدم رواياتهم تحدثك عن بئار كلية ومدلج كلية ، و لا غرو فهي أول أرض نزلوها بعد ديارهم الأصلية لأنها ملاصقة للجحفة ، و من الثابت أنهم نزلوا أول الأمر الجحفة و كلية تبعا لذلك .

قلت : و جميع ما ذكره في النصين المتقدمين استنتاجات ولابد لصحة الاستنتاج من دليل يستند إليه ، و ليس ثمة دليل لديه غفر الله له .

بل إنه خالف الأدلة المعروفة لديه كما سيأتي ، و قوله : من الثابت أنهم نزلوا أول الأمر الجحفة ، غريب جدا و لا أعلم كيف وقع منه !.

و الجواب عليه كالتالي :

١- قد تقدم إثبات سكنى خزاعة بأمج إلى وقت اندثاره سنة ٤٣٩هـ تقريبا ثم سيطر عليه العلويون أصحاب عين خليص و تحول مركز الإدارة و الحكم إليها بعد ذلك وسيأتي مزيد من النصوص في الفصل القادم .

٢- و أما قبيلة سليم فلم تخلف خزاعة بأمج في تلك القرون بل إن عرام السلمي أرخ لوادي ساية ديارهم اليوم و لم يذكرهم به في آخر القرن الثاني الهجري ، فلا أعلم من أين استنتجه البلادي غفر الله له .

٣- أن البلادي رحمه الله خالف الأصل الذي يعول عليه في كتبه وهو الهمداني ، و قد أرخ الهمداني لقديد في زمنه في بداية القرن الرابع الهجري و نص على بقاء خزاعة به فقال (ص٢٣٣) : وقديد وهو لخزاعة .

و ذكر ديار قبيلة حرب في تلك المدة بين المدينة وخيبر (على حد زعمه !) فقال (ص٢٤٥) : ولخيبر إلى المدينة طريقان إحداهما قاصفة من المدنية والثانية تعدل من حصن بني عثمان ذات اليمين وبخيبر قوم من يهود وموال وخليطى من العرب **ومساكن بني حرب ما بين هذه المواضع** هي وجهينة وبليّ ومزينة وهذه القبائل قديماً تطرقت إلى بلد طيء دون بني حرب .

و ذكر ديار قبيلة سليم في زمنه فقال (ص٢٤٥) : فمن وادي القرى إلى خيبر إلى شرقي المدنية إلى حد الجبلين إلى ما ينتهي إلى الحرة **ديار سليم** لا يخالطهم إلا صرم من الأنصار سيّارة وقد يحالون طيّئاً .

فلم يذكرهم بأمج و لا قديد في القرن الرابع الهجري ، و هو موافق لنصوص عرام من هذه الجهة .



و أما قول الهمداني (ص٢٣٣) : والجحفة وخمّ إلى ما يتّصل بذلك من بلد جهينة ومحال بني حرب وقد ذكرناها .

فقد أجبنا بما يشفي و يكفي في كتابنا العذق الداني عن هذا النص و بينا وهم الباحث راشد الأحيوي حينما توهم أن الواو زائدة في النص فقال : و الجحفة و خم إلى ما يتصل بذلك من بلد جهينة محال بني حرب .

و لكن لا مانع من إعادة الجواب ، و تلخيصه كالتالي :

١- أن الواو غير زائدة بدليل قوله و قد ذكرناها ، و قد تقدم وصفه لديار حرب و جهينة شمال المدينة و إنما وقع في المخطوط خلل في الترتيب .

٢- أن هذا النص اشتبه على الأحيوي فالواجب عليه رده للمحكم و الذي فصل فيه و جاءت دلالته قطعية .

٣- أن الصواب الوقف على لفظ و خم ثم يستأنف الجملة فيظهر عندئذ أنه لا لبس في النص و يتطابق مع سابقه .

ثم أن الجحفة ليست أول ديار قبيلة حرب بالحجاز بناء على الإكليل المنسوب للهمداني و إنما قال العرج .

وقد مر البشاري سنة ٣٧٥هـ بالجحفة فذكر أنها لولد جعفر بن أبي طالب فقال في أحسن التقاسيم : والجحفة مدينة عامرة يسكنها بنو جعفر عليها حصن ببابين وبها آبار يسيرة وعلى ميلين عين وبها بركة كبيرة ربّما عزّ بها الماء .

فهل نحتج بقول المعاصر أم باستنتاج متأخر بينه وبين الحدث ألف عام ؟!.

و بهذا يُعلم بطلان **تاريخ** يوم لفت الذي ذكره البلادي في كتابه قلب الحجاز حينما قال (ص٦٥) : يوم لفت و يعرف في رواية حرب بمقتلة الفيت ، جاءت حرب في القرن الرابع تقريبا فاحتلت قديدا ثم تطلعت إلى وادي أمج الخصيب فحشدت بنو سليم لمنع حرب من الوصول إلى خليص فتجمعت في لفت فسدته ، فأخذ حرب العطش فتقهقرت أول النهار ثم عادت من طريق الأخرم (نقب في حرة خليص) فطوقت بني سليم و وصلت إلى الماء فاحتلت الوادي .

و هذه الرواية لا أنكرها فقد تكون صحيحة و لكن زمن حدوثها ليس كما ذهب إليه البلادي و إنما وقعت في أزمنة قريبة لذلك يحفظها الرواة .

و ستأتي مناقشة مثل هذه الوقائع في الفصل القادم و نبين كيف أن البلادي رحمه الله يهم في تواريخ المرويات و ليس في وقائعها و سبب ذلك تنزيل المرويات الشفهية القريبة على الأزمنة السحيقة البعيدة .

٣- جاء في كتاب مقتطفات من تاريخ خليص قوله (ص٢١) :
و مما لا شك فيه أن قبيلة حرب كانت لها السيادة على خليص في القرن الرابع الهجري و ذلك أثر الاستيلاء عليها من سليم الذين كانوا قد فرضوا عليها قبضتهم بعد خزاعة و أن شيخ حرب العسمي هو الذي فرض هذه السيادة بحد السيف بعد حرب البنت التي وقعت بين حرب و سليم في وادي قديد في بداية الدولة العباسية .

و هنا يظهر بجلاء نقل الكاتب عن البلادي إلا أنه تصرف في النقل فذكر أنها حرب البنت و ليس يوم الفيت و ذكر أن قائد المعركة شيخ حرب العسمي وهو ناقل عن البلادي أيضا و لم



نستدركه عليه لأننا سنناقش حرب البنت في الفصل القادم إن شاء الله مراعاة للتسلسل .

و هذه التواريخ مخالفة للسياق التاريخي الذي سردناه لأمج فتبين وهم كاتبها و قد بينا ذلك عند مناقشة أصله الذي نقل عنه .

الفصل الرابع :

تاريخ خليص قبل نزول قبيلة زبيد .

الفصل الرابع : تاريخ خليص قبل نزول قبيلة زبيد .

تقدم الكلام عن مبتدأ ظهور عين خليص في فصل تاريخ أمج و ذكرنا أن أصل تسميتها على اسم مالكها الأول ثم تحولت ملكيتها إلى ابن بزيع فسميت به إلا أنها ظلت محتفظة باسمها الأصلي إلى يوم الناس هذا .

ثم غلب مسماها على منطقة أمج كلها ، بعد أن دثر اسم أمج في منتصف القرن الخامس الهجري تقريبا و لم يعد يُعرف .

ضبط المسمى .

و خليص كما ضبطه القلقشندي في صبح الأعشى (٢٦٥/٤) فقال : خليص : بضم الخاء المعجمة و فتح اللام و إسكان الياء المثناة تحت و الصاد المهملة ، و هو واد على طريق حجاج مصر على أربع مراحل من مكة به نحو تسعة أنهر على كل نهر قرية .

و خليص تصغير خلص كما حكله البكري في معجمه فقال (ص٥٠٩) : خُليص تصغير خلص .

أصل الاشتقاق .

و خلص في اللغة :

قال ابن فارس في مقاييس اللغة (٢٠٨/٢) : خلص ، الخاء واللام و الصاد أصل واحد مطرد و هو تنقية الشيء و تهذيبه يقولون : خلّصته من كذا و خَلَص هو .

و قال ابن سيده في المحكم و المحيط (٥٨/٥) : خَلَص الشيء يخلص خلوصا و خلاصا : نجا .

و زاد الجوهري في الصحاح (١٠٣٧ص) : خلَص الشيء بالفتح يخلص خلوصا ، أي صار خالصا .

و قال ابن سيده أيضا : و الخلَص : شجر طيب الريح ، له ورد كورد المرو طيب زكي .

الموقع و المكان .

و أفضل من وصف موقع خليص هو المؤرخ البشاري في كتابه أحسن التقاسيم حيث قال (ص٩٩) : فإذا قلنا إلى فلانة و فلانة فإنهما في موضع واحد مثل خليص و أمج .

قلت : بل خليص في وادي أمج .

و وصف موقعه العلامة الزَبيدي في تاج العروس فأجاد حيث قال : و خليص كزبير : حصن بين عسفان و قديد ، على ثلاث مراحل من مكة ، شرفها الله تعالى .

فهذان الوصفان شافيان و كافيان لمن رغب في التعريف به والدلالة عليه أن يحيل عليهما ، لأن الموضع الذي بين عسفان و قديد هو : وادي أمج .

خليص في القرن السادس الهجري .

وبعد اندثار وادي أمج في القرن الخامس الهحري نشأت بخليص إمارة جديدة تابعة لإمارة مكة في عهد الأشراف الهواشم الذين ورثوا حكم مكة بعد محاربة السليمانيين ونفيهم لليمن كما تقدم .

و في آواخر مدة حكم الهواشم الحسنيين في عام ٥٧٨هـ زار خليص العالم الأندلسي ابن جبير في رحلته للحج و وصفها قائلا (ص١٦٣) : فلما كان إثر صلاة الظهر أقلعنا إلى خليص



فوصلناها عشي النهار ، و هي أيضا في بسيط من الأرض كثيرة حدائق النخل ، **لها جبل فيه حصن مشيد في قنته و في البسيط حصن آخر** قد أثر فيه الخراب و بها عين فوارة قد أحدثت لها أخاديد في الأرض مسربة يستقى منها على أفواه كالآبار يجدد الناس بها الماء لقلته في الطريق بسبب القحط المتصل و الله يغيث بلاده و عباده .

تحليل النص و شرحه :

قوله : لها جبل فيه حصن مشيد في قنته و في البسيط حصن آخر ، فيه فوائد :

١- فهو يفسر نص البشاري المتقدم في سنة ٣٧٥هـ و الذي ذكر حصنين من حجر بأمج ، فتأمل كيف تحول المسمى بعد قرنين من الزمان و أصبح الحصن يوصف بحصن خليص بدلا من حصن أمج .

قال الحموي في معجمه (٣٨٧/٢) : خليص : حصن بين مكة و المدينة .

و تابعه البقاعي في مراصد الإطلاع فقال (ص٤٧٩) : خليص : حصن وقرية بين مكة و المدينة قريبة من مكة بها نخل وبركة كبيرة يردها الحاج .

٢- و كذلك هذا الخبر يؤكد صحة القول بقدم عمارة حصن أمج ، لأنه زار خليصا في عهد الدولة العباسية ، و الراجح أنه بني في عهد المقتدر العباسي في بداية القرن الرابع الهجري لأن القاضي وكيع لم يذكره في كتابه الطريق حينما تحدث عن أمج و خليص .

٣- و كذلك في هذا الخبر إشارة لسبب من أسباب اندثار أمج و هو القحط و قد تقدم بيانها و الراجح منها .

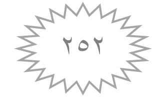
٤- وأما الحصن الآخر فهو يقبع بمقبرة العزيزية بجانب الحرة وقد ساهم في اندثاره فيما يظهر استعمال حجارته أنصابا للقبور والله أعلم .

و قد برزت سمعة خليص و شاعت في الأقطار الإسلامية في القرن السادس الهجري بحيث تجد ذكرها في كتب الفقهاء والمحدثين فضلا عن كتب التواريخ و معاجم البلدان .

فقد ذكر العيني في كتابه البناية شرح الهداية وصف العلامة عبدالحق الإشبيلي (ت٥٨١) و هو يعرف ببعض المواضع بالحجاز فقال (٥٥/١١) : قال عبد الحق : وقصة خبيب كانت في غزوة الرجيع والرجيع على ثمانية أميال من عسفان **وعسفان على مرحلة من خليص في الجنوب** و من عسفان إلى بطن مر ثلاثة و ثلاثون ميلا و من بطن مر إلى مكة مسيرة يوم و خليص بضم الخاء المعجمة و عسفان بضم العين المهملة و بطن مر بفتح الميم وتشديد الراء .

خليص في القرن السابع الهجري .

و أما في القرن السابع الهجري فقد أصبح دور خليص الإداري والسياسي في ذروته اشتهارا و أخبارا ، و ظهر دور سكانه وملاكه و انتشرت أخبارهم بحيث نجد ذكرهم في دواوين السلطة الإسلامية العليا في تلك المدة .



انقراض دولة الهواشم بمكة بتغلب القتادات عليها .

ففي عام ٥٩٧هـ تقريبا تغلب على إمرة مكة الشريف قتادة الحسني من ولد موسى الجون ، ثم استمر حكمها في ولده من بعده إلى تاريخ دخول القوات السعودية سنة ١٣٤٣هـ .

و في مدة حكم ولده سقطت الدولة العباسية على يد المغول كما هو مشهور في كتب التاريخ سنة ٦٥٦هـ فانتهض المماليك عمال العباسيين بمصر لقتال المغول فكسروهم في معركة عين جالوت كما هو مشهور في سنة ٦٥٨هـ فاستعادت الدولة الإسلامية هيبتها و استردت بعض أمجادها ، و في نفس العام تسلم زمام الحكم بالدولة المملوكية بمصر والشام السلطان الظاهر بيبرس فأعاد الخلافة العباسية بمصر سنة ٦٥٩هـ بشكل رمزي و فرح المسلمون بانتصاراته و ظهر فضله بإصلاحاته فوفدت الوفود تبايعه و تهنئه من كل حدب وصوب في أقطار دولته لتظفر بكرمه ، و كان من ضمن تلك الوفود وفد أمير خليص .

قال ابن شداد (ت٦٨٤) في تاريخ الملك الظاهر (ص٣٢٩) : ووفد عليه...... وتاج الدين حسان بن قاسم بن قتادة صاحب خليص .

و معنى قوله : صاحب خليص أي واليها و حاكمها و ليس متوليها والقائم على شؤونها كمن سبقه لأنها تحولت إلى إمارة يحكمها نواب من أمراء الحجاز القتادات وجميع ما يقع تحت سلطانهم من مخاليف الحجاز ولايات تابعة لهم يولون فيها من شاؤوا ويعزلون عنها من شاؤوا .

و يظهر أن الشريف حسان بن قاسم بن قتادة من الشهرة بمكان حيث نجد الفاسي يشير إلى بعض أملاكه في زمنه فقال في ترجمة الشريف عجلان بن رميثة بن أبي نمي أمير مكة : ومن أفعاله المحمودة : سبيل للماء بالمروة من العلقمية وصدقة على الزوار للنبى صلى الله عليه وسلم فى طريق الماشى وهذه الصدقة جزء من المال المعروف بمال ابن حسان صاحب خليص بواسط هدة بنى جابر بما لذلك من السقية ونفعها مستمر إلى الآن أجزل الله ثوابه .

و في مدة حكم الظاهر بيبرس آل حكم مكة إلى الشريف أبي نمي محمد بن حسن بن علي بن قتادة الذي بسط يده على مكة ما يقرب من خمسين عاما تتخللها بعض المنازعات من أعمامه ، لذلك نرى الظاهر بيبرس حينما قدم إلى مكة لأداء مناسك الحج سنة ٦٦٧هـ كان في استقباله الشريف أبو نمي وعمه إدريس و أمير خليص و ينبع .

قال النويري في نهاية الإرب (١٠٧/٣٠) : وقضى السلطان فرض الحج ومناسكه كما يحب وحلق ونحر وأحسن إلى أميرى مكة شرفها الله تعالى الأمير نجم الدين أبى نمى والأمير إدريس بن قتادة وإلى صاحب ينبع و أمير خليص وزعماء الحجاز كلهم وطلب أميرا مكة نائبا من السلطان فرتب شمس الدين مروان وزاد أميرى مكة جملة من الغلال فى كل سنة بسبب تسبيل البيت الشريف وزاد أمراء الحجاز إلا جماز ومالك أميرى المدينة فإنهما انتزحا من بين يديه .

فهذا النص أفاد بأن إمارة خليص ذات وزن و لها ثقل سياسي في تلك المدة و أميرها من أهل الحل والعقد و المشورة .

ثم إن أبا نمي قُتل ولده ، قتله بنو حسن بن قتادة فثأر له أبو نمي في معركة بخليص سنة ٦٦٩هـ قتل فيها عمه إدريس



وحز رأسه بها ، حكاه الفاسي في العقد فقال (١٧٥/٣) : وذكر ابن محفوظ، أن الحرب الذى قتل فيه إدريس، كان بخليص بعد أن استبد دون أبى نمى بإمرة مكة أربعين يوما .

فلما استتب لأبي نمي الأمر بمكة أبعد خصومه وعين أولاده نوابا له و من ذلك إمرة خليص .

قال الفاسي في العقد الثمين (٤٧٥/٥) : وكان لقتادة من الولد : حسن الذي ولي إمرة مكة بعده وراجح وهو الأكبر الذي كان ينازع حسن في الإمرة وعلي الأكبر جد الأشراف المعروفين بذوي علي وعلي الأصغر جد أبي نمي جد الأشراف ولاة خليص .

و في مدة حكم أبي نمي لمكة زار الحجاز العلامة ابن رشيد ومر على خليص في رحلته للحج سنة ٦٨٤هـ فتغنى بها في قصيدة له ذكر منها أبياتا في رحلته ملء العيبة فقال (ص٧٦) : ثم رحلنا منزلا منزلا إلى أن وافينا خليصا يوم الأربعاء ضحوة الثالث من ذي الحجة فقِلنا هناك و رفعنا عشي النهار ، و في وصف خليص أقول من قصيد :

و خليص إذ وردنا خلصه

فرعى الله أويقات الورود

إلى آخر ما قال رحمه الله في رحلته و هي رحلة ماتعة .

و بعد زيارة ابن رشيد بأربع سنوات زار الحجاز المؤرخ العبدري الذي مر على خليص سنة ٦٨٨هـ هجرية لإداء مناسك الحج فوصفها وصفا حسنا حيث قال في رحلته (ص٣٥١) : خليص ... وهي قليعة منيعة على شرف مرتفع

ولها نخل كثير وماء جار طيب وصاحبها من الشرفاء مستبد بها وهو رجل صالح محب في الحجاج ومكرم لهم .

و معنى قوله من الشرفاء : أي من قبيلة الأشراف حكام مكة شرفها الله .

خليص في القرن الثامن الهجري .

وفي مستهل القرن الثامن الهجري توفي الشريف أبونمي محمد بن حسن بن علي بن قتادة سنة ٧٠١هـ و آل حكم مكة لأولاده (رميثة و حميضة و عطيفة و أبي الغيث) .

و كان يسيطر على حكم مصر من المماليك في تلك المدة السلطان الناصر محمد بن قلاوون ، و قد عزم السلطان الناصر على الحج في سنة ٧١٩هـ و كان قبل مسيره للحج قد وجه بإصلاح عين خليص و العناية ببركتها تسهيلا على الحجاج حيث كانت قد انقطعت في تلك المدة .

قال المقريزي في حوادث سنة ٧٢٠هـ (٢٣/٣) : فيها عاد السلطان من الحجاز بعدما منّ بخليص ، وقد جرى الماء إليها ، وكان قد ذكر له وهو بمكة أن العادة كانت جارية بحمل مال إلى خليص ، ليجري الماء من عين بها إلى بركة يردها الحاج ، وقد انقطع ذلك منذ سنين ، وصار الحاج يجد شدة من قلة الماء بخليص فرسم بمبلغ خمسة آلاف درهم لإجراء الماء من العين إلى البركة و جعلها مقررة في كل سنة لصاحب خليص ، فأجرى صاحب خليص الماء قبل وصول السلطان إليها ، و استمر حمل المال إليه في كل سنة و وجد الماء في البركة دائما ، ولقى السُّلْطَان فِي هَذِه السفرة جَمِيع العربان من بني مهْدي وأمرائها وشطى وأخيه عساف وَأَوْلَاده وأشراف مَكَّة من الْأُمَرَاء وَغَيرهم وأشراف الْمَدِينَة والينبع وخليص .



١- ففي هذا الخبر تظهر شدة عناية الدول الإسلامية المتعاقبة على حكم الحجاز بعين خليص و عمارة بركتها ومشارعها وقنواتها تسهيلا على قوافل الحج بشكل خاص وعلى عابري السبيل من غيرهم بشكل عام ، و ترتيب المخصصات اللازمة لذلك .

٢- و يظهر فيه نفوذ حكام إمارة خليص و قربهم من السلطة و تقدمهم على باقي ولاة مخاليف مكة و ذلك كونهم من الأسرة الحاكمة كما سيأتي ، و تأثيرهم في القرار السياسي .

٣- و يظهر لي أن سبب انقطاع عين خليص هو تخريب السيول لها لأن وادي أمج يفترق إلى ثلاثة (مشارب) أحدها يصب في المزارع التي حول العين ، و لعله في تلك المدة قد طمرها و أخربها ، و الله أعلم .

وللسلطان المملوكي أخبار في خليص أعرضنا عنها لعدم تعلقها بالبحث تعلقا ظاهرا ، فمن أحب الاطلاع عليها فليراجع المصادر المشار إليها .

و بعد حج السلطان المملوكي الناصر قلاوون بخمس سنوات زار الحجاز الرحالة المشهور ابن بطوطة سنة ٧٢٥هـ و مر على خليص ووصفها وصفا حسنا و ذكر من جريان العين فقال (١٢٠/١) : ثم نزلنا بركة خليص وهي في بسيط من الأرض كثيرة حدائق النخل لها حصن مشيد في قنة جبل وفي البسيط حصن خرب بها عين فوارة صنعت لها أخاديد في الأرض سريت إلى الضياع. وصاحب خليص **شريف حسني النسب** وعرب تلك الناحية يقيمون هنالك سوقا عظيمة ويجلبون إليها الغنم والتمر والإدام .

و في عام ٧٣٩هـ زار الحجاز الحافظ الإمام البرزالي لأداء مناسك الحج فتوفي في الطريق إلى مكة بمنزلة خليص محرما و دفن بها ، أرخه ابن رافع في الوفيات (٢٨٩/١) حيث قال : وفي رابع ذي الحجة سنة تسع وثلاثين وسبع مئة توفي الحافظ علم الدين القاسم بن محمد البرزالي بمنزلة الحاج بخليص ودفن بها ضحى النهار عند القلعة الخراب .

و ذكر علماء التراجم أنه ممن سمع بخليص و حدث بها وذلك لأجل أن العلماء كانوا يعتنون بالسماع و الإقراء في طريق الحج ، و من أولئك الحفاظ ابن حجر والسخاوي والسيوطي و غيرهم رحمهم الله .

و رثاه المؤرخ ابن فضل الله بقصيدة أوردها في كتابه مسالك الأبصار (٢٤٧/٥) و مما جاء فيها قوله :

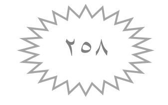
وحل أرض خليص كل ريح صبا

بنشرها تبعث الأردان واللمم

وخيمت دون عسفان لها سحب

تسقى بأنوائها السكان والخيم

و لعل أمير خليص في تلك المدة التي توفي فيها البرزالي هو الشريف جسار ، حيث ذكر ابن فضل الله العمري (ت٧٤٩) في مسالكه أن صاحب خليص هو الشريف جسار من بني حسن فقال (٤٩٠/٤) : ومن الصفراء إلى الجحفة ورابغ لزبيد الحجاز ومن الجحفة على قديد وما حولها إلى الثنية المعروفة بعقبة السويق لسليم ومن الثنية على خليص المشرفة على عسفان للشريف جسار من بني حسن ومن



الثنية المشرفة على عسفان إلى الفج المسمى بالمحاطب لبني جابر .

والشريف جسار هذا هو : جسار بن أبي دعيج بن أبي نمي لعدة قرائن منها :

١- توافق الاسم .

٢- أن الشريف جسار بن أبي دعيج كان حيا في تلك المدة ترجم له الفاسي و أرخ وفاته في عشر التسعين و سبعمائة .

٣- ما حكاه الفاسي كما سبق أن ذوي علي فيهم إمرة خليص وهو منهم .

٤- و هناك قرينة تخص اسم والده نبتعد عن الخوض فيها .

و في هذا النص تظهر حدود ولاية خليص و التي تشمل وادي غران أيضا ، و هي حدود ضئيلة بالنسبة لما سيأتي .

و بعد وفاة الشريف رميثة بن أبي نمي سنة ٧٤٦هـ آل حكم مكة لولده عجلان ، و كان يشاركه أخوه ثقبة في بعض المدد و من ذلك ما وقع في سنة ٧٥٢هـ حيث قال الفاسي في العقد (١٩١/٥) : وفى سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة وصل مرسوم من صاحب مصر يطلب الشريفين عجلان وثقبة فتوجها إلى القاهرة فأما ثقبة فبلغها وأما عجلان فإنه وصل إلى ينبع وقصد منها المدينة النبوية للزيارة وتوجه منها إلى مكة ولم يزل مالكها إلى ذى القعدة من سنة اثنتين وخمسين ومنع ثقبة لما أن وصل من مصر متوليا لمكة بمفرده من دخول مكة فأقام ثقبة بخليص إلى أن وصل الحاج المصرى فى سنة اثنتين وخمسين وجاء ثقبة مع أمير الحاج المجدى وأراد عجلان منعهما من دخول مكة ثم إن المجدى أصلح

بين الأخوين على أن يكون لكل منهما نصف البلاد بموافقة ثقبة على ذلك .

و سبب نزول ثقبة بخليص لأنها من ديارهم و تحت سلطانهم و هم ولاتها .

و في سنة ٧٧٦هـ صادف الحاج سيل عظيم بخليص أتلف شيئا كثيرا في الذهاب ثم صادفهم به في الرجعة هواء عاصف وكان الغلاء في الذهاب كثيرا ، هكذا أرخه الجزيري وانفرد بذكره في حدود علمي في كتابه الدرر (ص٦٦٦) .

و في مدة حكم الشريف عجلان تسلطن بمصر سنة ٧٦٤هـ الأشرف شعبان من أحفاد الناصر قلاوون و كان من أهل الفضل .

بحيث أن الدولة المملوكية في عهده لم تقتصر عنايتها بصرف المخصصات و تأمين المرتبات و تعاهد عين خليص بالإصلاحات و حفظ الطريق و تسهيل مرور القوافل بها بل امتد الأمر إلى تسبيل الأوقاف التي تضمن استمرار تدفق العين والانتفاع بها لدفع المشقة عمن يطرقها .

فقد ورد في كتاب أوقاف السلطان الأشرف شعبان المملوكي على الحرمين ذكر وثيقة مؤرخة سنة ٧٧٧هـ تنص على ما يلي (ص١٣٠) : **مشائخ عين خليص** : خصصت الوثيقة مبلغ ألف درهم لمشائخ عين خليص منها خمسمائة درهم مقابل خفارتهم الحجاج ذهابا و إيابا و الخمسمائة درهم الأخرى لعمارة العين و ترميمها و الفسقية و ترميمها .

و لا شك أن هذا المبلغ زهيد و لكن كما قيل : قليل دائم خير من كثير منقطع ، و مشائخ عين خليص في تلك المدة هم الأشراف ذوي علي القتادات كما تقدم .

و في هذه السنة التي أرخت للوثيقة وهي سنة ٧٧٧هـ توفي الشريف عجلان بن رميثة و آل حكم مكة لولده أحمد .

و في مدة حكمه صاهره الشريف جسار بن أبي دعيج بن أبي نمي أمير خليص على أخته كما حكاه الفاسي في ترجمته بالعقد الثمين (٢٦٨/٣) .

و في أخر مدة حكم أحمد بن عجلان تنافر مع بني عمه حسن بن ثقبة و عنان بن مغامس جد الأشراف أهل الخوار اليوم فسجنهما سنة ٧٨٧هـ فهرب عنان من السجن و نزل بخليص فتزود بها ببعض الرواحل للسفر إلى مصر .

قال الفاسي في العقد عن هروب الشريف عنان من السجن (٤١٨/٥) : فلما كان الليل ركب مع رجلين أو ثلاثة الرواحل التى أعدت لهم فوقفت بعض ركابهم قبل وصولهم إلى وادى مرّ وما وصل هو إلى خليص إلا وقد كلّت راحلته فسأل بعض أهل خليص عن راحلة لبعض أصحابه بلغه أنها بخليص فأخبر بوجودها فأخذها ويقال إن صاحبها كان إذا فرغ من علفها يقول : ليت عنانا يخلص فينجو عليك فكان ما تمناه فتوصل عنان إلى ينبع ثم إلى مصر فى أثناء سنة ثمان وثمانين وسبعمائة .

و في هذه السنة أي ٧٨٨هـ توفي الشريف أحمد بن عجلان أمير مكة فوليها بعده ابنه محمد إلا أن السلطان المملوكي الظاهر برقوق ولى الشريف عنان في تلك السنة .

فلم يدم طويلا حتى نافره بنو عجلان إلى أن خلع في السنة التي تليها و وليها الشريف علي بن عجلان ، فاستمر في حكم مكة إلى أن قُتل سنة ٧٩٧هـ قتله الأشراف بنو أبي نمي .

ثم آل حكم مكة في تلك السنة لأخيه حسن بن عجلان فقاتل قتلة أخيه ، و يظهر أنه أبعدهم عن إمرة خليص في تلك الحرب لكثرة منازعاتهم له و إثارتهم الفتن و القلاقل و تأليب المماليك عليه ، حيث أشار لذلك القلقشندي (ت٨٢١) عند حديثه عن عرب الطريق إلى مكة فقال في صبح الأعشى (٤٩٠/٤) : ومن الصفراء إلى الجحفة ورابغ لزبيد ومن الجحفة على قديد وما حولها إلى الثنية المعروفة بعقبة السويق لسليم ومن الثنية على خليص إلى الثنية المشرفة على عسفان إلى الفج المسمى المحاطب لبني جابر .

و بنو جابر هؤلاء تقدم نسبهم أنهم عرب من القحطانية حكاه جارالله بن فهد في حسن القرى ، ولا يمكن الجزم بتاريخ إقطاعهم لإمرة خليص إلا أنني أميل إلى أنه بعد هذه الفتنة .

و قد ذكر المقريزي في حوادث سنة ٧٩٨هـ ما يقوي ذلك حيث قال في السلوك (٣٨٥/٥) : وقدم الخبر من الحجاز بأن الشريف حسن بن عجلان هزم بني حسن إلى ينبع وهو في طلبهم ثم عاد إلى خليص ومعه أمير ينبع فكبس عليهم وظفر بهم .

و مثله الفاسي في ترجمة حسن بن عجلان حيث قال : وفيها (أي سنة ٧٩٩هـ) أخرج الأشراف من جدة وكانوا نزلوها فى شهر رجب بمعونة القواد والحميضات لغضبهم على حسن واستمالهم بالإحسان حتى ساعده على إخراجهم من جدة وتبعهم إلى عسفان فهربوا إلى خليص فتبعهم فهربوا أيضا فرجع عنهم وتوصلوا بغير حريم إلى الخيف فأجارهم بعض القواد إلى انقضاء السنة وسكنوا الخيف وما جسروا على فعل ما يخالف هواه إلى ذى القعدة من السنة المذكورة .



خليص في القرن التاسع الهجري .

و لم يظهر في مدة حكم بني جابر هؤلاء لإمارة خليص سوى خبر أورده الفاسي في العقد عن إصلاح العين ، حيث ذكر في ترجمة أحد عمال المماليك بمصر ما يقتضي ذلك فقال (٤٨٤/٥) : **قطلبك بن عبد الله الحسامى المنجكى** كان أحد الأمراء بالقاهرة وكان يتردد إلى الحرمين متوليا لتفرقة صدقة القمح التى ينفذها الملك الظاهر وعمر المسجد الذى بأعلى مكة المعروف بمسجد الراية سنة إحدى وثمانمائة وعمر فيها عين خليص وتوجه بعد الحج إلى مصر فأدركه الأجل بينبع فى أول سنة اثنتين وثمانمائة وكان فيه خير وعنده قوة زائدة .

و معنى قوله : عمر فيها عين خليص أي رممها و جدد معمارها و تعاهدها لدوام جريانها .

ولا شك أن هذه الإصلاحات أسهمت في دوام جريانها وغزارته وأبهرت روادها في تلك المدة حتى وصل الأمر بالقلقشندي أن وصف خليصا بأنها مصنع ماء فقال في صبح الأعشى و هو يصف منازل الطريق إلى مكة (٤٢٣/١٤) : ثم منه إليه إلى قديد بضم القاف ، ثم منه إلى عقبة السويق ، ثم منها إلى خليص و به مصنع ماء .

إقطاع قبيلة بني بشر من حرب لإمارة خليص .

ثم في سنة ٨١٦هـ اقطعت قبيلة بني بشر من حرب إمارة خليص و نُحي بنو جابر ، و كان ذلك في مدة حكم الشريف حسن بن عجلان بن رميثة بن أبي نمي .

قال المقريزي في السلوك (٣٠٧/٧) : وفي ليلة الأربعاء ثالث عشر (اي من رجب سنة ٨٣٩) بعث الشريف زين الدين ابو

زهير بركات بن حسن بن عجلان أمير مكة بعثا لمحاربة بشر من بطون حرب إحدى قبائل مذحج ومنازلهم حول عسفان نزلوها من نحو ٨١٦ هجرية وقد أخرجهم بنو لام من أعمال المدينة فكثر عبثهم وأخذهم السابلة من المارة إلى مكة بالميرة وجعل على هذا البعث أخاه الشريف علي بن حسن بن عجلان ومعه من بني حسن الشريف ميلب بن علي بن مبارك بن رميثة وغيره والوزير شكر في عدة من الناس وسار معهم الأمير أرنبغا أمير الخمسين المركزين بمكة من الممماليك السلطانية وصحبته منهم عشرون مملوكا فنزلوا عسفان يوم الخميس رابع عشرة وقطعوا الثنية التي تعرف اليوم بمدرج علي ......إلخ .

فهذا الخبر ظاهر الدلالة على أن قبيلة البشور أول ما نزلت عام ٨١٦هـ في خليص وغران والدليل على ذلك :

١- أن الشريف علي بن حسن بن عجلان حينما ذهب لمحاربتهم نزل بعسفان قبل محاربتهم ولو كانت قبيلة بشر تنزل بعسفان في تلك المدة لبدأ بمحاربتهم .

٢- أن المؤرخ المقريزي ذكر أن جيش الشريف علي قطع الثنية (اي ثنية غزال) متوجها لهم بمعنى أنه دخل وادي غران .

٣- الأخبار التي مرت لهم في مبحث وادي غران .

٤- خبر الجزيري و سيأتي في موضعه إن شاء الله .

وفي مدة إمرة بني بشر بخليص انقطعت العين سنة ٨٤٥هـ فلم تتمكن الدولة المملوكية من إصلاحها قبل موسم الحج فعملت آبارا يستسقى منها إلى أن تستصلح و تعود للجريان كما كانت ، حكاه ابن فهد في إتحاف الورى فقال (١٧٣/٤) :



وفيها في شوال توجه أمير من مكة كان وصل مع الرجبية إلى خليص لعمارة عينها ، فلم تجر العين المذكورة ، فلما أن قدم الحاج و لم تجر العين حفرت آبار فنفعت الحاج .

ثم في سنة ٨٤٦هـ قام أحد عمال الدولة بإصلاحها فلم يفلح حكاه ابن فهد في إتحاف الورى حيث قال (١٩٥/٤) : فلما كان في ليلة الثلاثاء ثاني ذي القعدة قدم علي بن محمد الشبيكي مكة المشرفة و أمر بضرب دراهم ينقش عليها اسم السيد أبي القاسم ثم عاد إلى جدة فجاود العرب ، و جهز جماعة من الفعلة لعمارة عين خليص فاشتغلوا بها فلم تجر .

و أبو القاسم هذا هو الشريف أبو القاسم بن حسن بن عجلان أمير مكة كان يشارك أخاه الشريف بركات حكم مكة في بعض المدد و يستقل في بعضها .

وقد وليها في هذه السنة (٨٤٦هـ) مستقلا ثم إنه اجتهد في إصلاح عين خليص فصلحت .

قال ابن فهد في الدر الكمين (ص١٣٣٢) : و فعل من المعروف عمارة عين خليص فعمرت و جرت على عادتها وذلك في سنة سبع و أربعين .

إقطاع إمارة خليص لقبيلة زبيد من حرب .

و بعد وفاة الشريف بركات بن حسن بن عجلان في سنة ٨٥٩هـ آل حكم مكة لولده الشريف محمد بن بركات ، و كان قويا شديد البأس فتاكا بخصومه ، و قد توسعت إمرة مكة في زمنه توسعا عظيما حتى بلغت المخلاف السليماني (جازان) جنوبا ، فأراد التوسع شمالا فاصطدم بأشراف ينبع و قبيلة زبيد من حرب ، فأبت قبيلة زبيد التبعية لإمرة مكة لأن

غالب ديار قبيلة حرب كانت تابعة لإمرة المدينة منذ نزولهم إلى ذلك الوقت و الدليل على ذلك ما يلي :

١- أن قبيلة حرب و منها قبيلة زبيد هم عسكر دولة بني حسين بالمدينة و نواب مخاليفها كما تقدم في خبر البلخي وابن الحصين .

٢- أن جل المؤرخين الذين وصفوا مخاليف مكة مما يلي المدينة ذكروا منتهاها إلى الجحفة منهم :

القلقشندي (ت٨٢١) في صبح الأعشى حيث ذكر أن آخر مخاليف مكة مما يلي طريق المدينة قرية كليّة فقال : التاسع (وادي كليّة) بضم الكاف وفتح اللام وتشديد الياء المثناة تحت المفتوحة وهاء في الآخر وهو واد بالقرب من خليص به نحو سبعة أنهر على كل نهر قرية وكان بيد سليم وقد خرب من مدّة قريبة بعد الثمانين والسبعمائة .

و أكده الفاسي (ت٨٣٢) مؤرخ مكة و المقرب من ديوان السلطة حيث قال في العقد (١/١٩٦) : و ولاة مكة الآن يأخذون ما يغرق في البحر فيما بين جدة ورابغ ويرون أن ذلك يدخل في عملهم .

و أكده أيضا ما ذكره ابن فهد مؤرخ مكة و المعاصر للشريف محمد بن بركات فقال في ترجمته (١/١١٤) : و في المحرم من سنة ثمانين توجه إلى الشرق ثم عاد إلى مكة في ربيع الأول ووجد قاصده جاء من مصر فاجتمع هو و القضاة بالحطيم وقرئ مرسومه و لبس هو و ولده بركات خلعتين ، و مضمون المرسوم إخباره بوصول الحاج شاكرين سالمين إلى غير ذلك وفيه أن في ضمانك من مكة إلى رابغ .



وقد تقدم في فصل تاريخ أمج أن الجحفة من مخاليف مكة كما حكاه اليعقوبي .

فلما امتنعت قبيلة زبيد عن التبعية لإمرة مكة و بقيت محتفظة بولائها لأمراء المدينة ، و قد تكون مستقلة أيضا فحاربهم عندئذ الشريف محمد بن بركات في سنة ٨٧٣هـ لقصد إرغامهم بالدخول في تبعيته .

قال ابن فهد في إتحاف الورى (٤٩٣/٤) : وفيها (اي سنة ٨٧٣) كانت قتلة بين الشريف محمد بن بركات و زبيد ذوي مالك بالقرب من رابغ فكان الظفر في ذلك للسيد الشريف مع أنه كان في قلة من أصحابه وقتل من زبيد نحو سبعين رجلا منهم رومي وفروا هاربين فغنم منهم أموالا كثيرة يقال أنها ثلاثة آلاف بعير وغير ذلك ...... إلى أن قال : ثم إن الشريف صالحهم بعد ذلك في سنته وأعطاهم مالا .

ومعنى قوله : زبيد ذوي مالك ، أي زبيد اليمن جماعة الشيخ مالك بن رومي هكذا فسره المعاصر لأبناء مالك بن رومي المؤرخ الكبير عبدالقادر الجزيري حيث قال في الدرر (٧٥٠) : و غزا السيد محمد بركات بن حسين بن عجلان عرب زبيد اليمن ذوي مالك بن رومي بقرب خليص ورابغ ، فقتل منهم سبعين رجلاً منهم شيخهم رومي وأخوه مالك ، وغنمهم وأموالهم .

و كنت قد جزمت في كتابي مدرج عثمان بأنهم اقطعوا إمارة خليص في هذه السنة و لكن يظهر أنه بعد ذلك ببضعة سنوات و الخطب يسير إن شاء الله .

فلما امتنعت قبيلة زبيد وأبت الحيف ، و لم يُجدِ معها الترهيب بحد السيف ، لجأ الشريف محمد بن بركات إلى

إغرائهم (وربما كان شرطهم) فاقطعهم إمارة خليص و التي تمتد في تلك المدة من رابغ إلى الجموم علاوة على ديارهم كما سيأتي تفصيله .

و كان هذا الإقطاع في زمن الشيخ مالك بن رومي الزبيدي أمير خليص وصهر الشريف محمد بن بركات أمير مكة و الذي أصبح والي الحجاز كله فيما بعد .

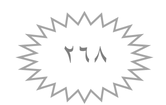
قال السخاوي في الضوء اللامع في ترجمة الشريف محمد بن بركات : واستمرّ أمره فِي نمو و وجاهته فِي ازدياد وسعده فِي ترق و إسعاد **بِحَيْثُ أضيفت إِلَيْهِ سائر بِلَاد الْحجاز ليستنيب فِيهَا من يخْتَار** ودعي لَهُ على المنبرين كَمَا سمعته فِي المسجدين .

و قال الجزيري واصفا هذا الإقطاع (ص١٤٤٧) : وكان الدرك قديما مقسما بين جماعات بمعاليم معلومة منهم البشريون والعصيفيون وبنو سليم فصار الآن الدرك و المعلوم جميعا بيد زبيد اليمن .

و بعد أن اقطعت قبيلة زبيد اليمن من حرب إمارة خليص صارت خليص أكثر تأثيرا وحضورا خاصة و قد عاصر تلك المدة مؤرخ مكة العز بن فهد و الذي دون الكثير من أخبار تلك المدة و لذلك تقرر الكلام عنها في فصل مستقل .

و قفات مع بعض كتب المعاصرين .

جاء في كتاب مقتطفات من تاريخ خليص قوله (ص٢٧) : ولم نعلم في الحقيقة متى وصلت هذه الأسرة للأمارة وذلك نظرا لندرة المصادر و المراجع التي توضح لنا ذلك إلا أنه من الثابت أن ابن عسم سكن خليص قبل عام ١٩٥هـ .



ثم استدرك هذا المؤلف على نفسه في كتاب له وسمه بمشيخة العسوم فحرك ما أثبته فقال (ص٩) : إلا أنه من الثابت أن آل رومي ابن عسم سكن خليص بداية القرن الثامن الهجري .

و يكفي لبيان توهمه ترتيب مراجعاته من كتاب لأخر و قد وهم غفر الله له حتى في التاريخ الذي استقر عليه وقد حررناه أعلاه فراجعه .

و كذلك الصواب أن يقال : قبيلة زبيد اليمن و ليس ابن عسم لأن الأخير حكم خليصا بعد ذلك كما سيأتي .

الفصل الخامس :

تاريـخ خليص في عهد زبيد اليمن .

وفيه خمسة مباحث :

المبحث الأول : عهد الشيخ مالك بن رومي الزبيدي .

المبحث الثاني : نسب الشيخ مالك بن رومي الزبيدي .

المبحث الثالث : عهد الشيخ شهوان بن مالك الزبيدي .

المبحث الرابع : عهد الشيخ داهش بن شهوان الزبيدي .

المبحث الخامس : تاريـخ خليص بعد إجلاء زبيد اليمن .

الفصل الخامس : تاريخ خليص في عهد زبيد اليمن .

المبحث الأول : عهد الشيخ مالك بن رومي الزبيدي .

وفي شهر رجب من سنة ٨٧٤هـ و هي المدة التي اقطعت فيها قبيلة زبيد اليمن من حرب إمارة خليص أو قبلها بيسير قامت السلطة المملوكية بمصر بتكليف أمير جدة شاهين الجمالي بالإشراف على بعض أعمالها الإصلاحية المعمارية بولاية مكة كمسجد الخيف و عين خليص و نحوها ، و قرئت مراسيم بذلك في الحرم الشريف .

قال ابن فهد في إتحاف الورى (٥٠٩/٤) : ومجموع ما في المراسيم التوصية على الأمير شاهين و أنه كان مقربا عندنا وأننا وليناه إمرة عشرة و أنه وصل لمباشرة العشور و العمارة على ما تقدم في العام الماضي و هو ترميم المسجد و قد كمل من العمارة مسجد الخيف و هم عمّالون فيه من العام إلى الآن و عمارة عين خليص ... إلخ .

ثم في شهر ذي القعدة من نفس السنة انتهى أمير جدة من إصلاحات و عمارة عين خليص و مسجدها حيث قال ابن فهد في نفس المرجع (ص٥١٥) : و عمرت عين خليص وأصلح المسجد الذي هناك و سقف بالأخشاب البحرية والدوم والجريد وذلك في مدة أولها عاشر شعبان و آخرها عاشر القعدة من السنة و عم نفعها للحاج وغيرهم بمبلغ ألف أشرفي وثلاثمائة وسبعة وسبعين وربع وسدس وثمن .

وبعد تلك الإصلاحات بمدة يسيرة عُملت أخرى بعين خليص أصرف عليها من أموال أحد عمال الدولة وهو ابن صاحب طرابلس الذي توفي بمكة و لم يترك وارثا وخلف ثروة طائلة أشار لذلك ابن فهد في ترجمته بالدر الكمين حيث قال

(ص١١٩٧) : مصطفى ابن صاحب طرابلس الرومي المعروف بالذبيح لكونه ذبح ثم قطب نزيل مكة الخواجا ... إلى أن قال : و لم يخلف وارثا وترك مالا كثيرا جدا عمر منه السلطان عين عرفة ومسجدها و البرك بها ومسجد الخيف و فسقية خليص وغير ذلك مات في ليلة السبت سابع عشري صفر سنة خمس وسبعين و ثمانمائة بمكة .

و في سنة ٨٨١هـ على الأرجح تزوج الشريف محمد بن بركات والي الحجاز **زينة بنت رومي الزبيدي** شيخ زبيد اليمن من حرب و الذي مر معنا خبر مقتله سنة ٨٧٣هـ .

وولدت له ابنه أحمد الملقب بجازان ، لُقّب به لغزو أبيه لجازان سنة ولادته ٨٨٢هـ .

و قد توفيت رحمها الله في ذي القعدة سنة ٩١٠هـ كما أرخه العز في بلوغ القرى حيث قال (ص١٤١٢) : و في صبيحة يوم الجمعة سادس الشهر جيء إلى مكة **بزينة بنت رومي الزبيدي** أم جازان و هي ميتة ...إلخ .

قلت : و لعلها توفيت على إثر الوباء الذي انتشر بمكة وضواحيها في ذلك الشهر كما أرخه العز .

و بعد هذه المصاهرة بين والي الحجاز الشريف محمد بن بركات والشيخ مالك بن رومي الزبيدي أمير خليص كثرت أخبار خليص في تلك المدة ، خاصة و أنها قد وقعت في زمن أحد أبرز مؤرخي مكة في زمنه و هو العز بن فهد و الذي قيد شواردها و أبان عن مكنون فوائدها .

و من أهم الحوادث في تلك المدة ما أورده العز بن فهد عن نزول والي الحجاز بخليص لزيارة أهله في سنة ٨٨٦هـ حيث قال في البلوغ (ص١٦٨) : و في صبح يوم الثلاثاء سابع عشري



الشهر وصل السيد الشريف محمد بن بركات من جدة من جهة الشام ودخل مكة محرما وطاف وسعى وجلس بمكة بقية يومه وبعض الليلة المستقبلة ثم سافر و عاد إلى أهله وهم بناحية الشام بخليص فيما يقال .

و ورد مثله في حوادث شهر شعبان سنة ٩٠١هـ .

وفي سنة ٩٠٣هـ توفي الشريف محمد بن بركات والي الحجاز فتنازع أولاده من بعده على السلطة فانقسموا إلى فريقين أحدهما يقوده الشريف بركات بن محمد وهو أولاهما بالحكم لأنه الأكبر و كان يدعى له مع أبيه في حياته ، و الآخر فريق أصهار قبيلة زبيد و ابن أختهم ويقوده الشريف هزاع و أحمد الجازاني ، و أخبارهم كثيرة جدا تحتاج لمجلد و لكن سنتعرض لما يخص بحثنا فقط .

و قد كانت قبيلة زبيد إلى جانب أصهارها وابن أختهم في تلك المدة ، بل ويحتمل أنها من يغذي ذلك الصراع ، ومعهم أيضا أشراف ينبع النخل ، يقال لهم : بنو إبراهيم .

و من أوائل تلك الصراعات هو الصراع الذي حصل بين الشريف هزاع و الشريف بركات فتدخل كاتب السر للصلح بينهم أو لهدنة في شعبان من سنة ٩٠٤هـ حيث قال العز ابن فهد في البلوغ (١٠٩١) : و في يوم الأربعاء حادي عشري الشهر جاء لكاتب السر من السيد هزاع ورقة وغير واحد وقال الناس أنه كتب له أن بني إبراهيم قالوا : لابد لهم من مواجهة السيد بركات بالقتال قاتلهم الله و أنهم ما رضوا إلا هذا فتوجه له في يومه ولم يسمع ما كان والله يقدر للمسلمين ما فيه الخير ، ثم سافر من يومه إلى ينبع وواجه الشريفين كل واحد على انفراده و أصلح بينهما إلى أن يرجع الحاج وأمن كل واحد منهما صاحبه وجماعته وحلف على ذلك وكتب كل

واحد منهما خطه بذلك أو بالتأمين وحده **ونزل هزاع بخليص عند زبيد** وأمن الآخرون ويتقاضون هم وهزاع حوائجهم من البلدين مكة وجدة بل والحجاز ويجيء له والأمر لله ما شاء فعل ، و توجه لهزاع زينة بنت رومي زوجة أبيه وأم أخوته الجازاني وأخته ومعها بنتها المذكورة وسبقها الجازاني .

ثم في سنة ٩٠٧هـ توفي الشريف هزاع ، و بعده بمدة يسيرة قُتل الشريف أحمد الجازاني في سنة ٩٠٩هـ ، فاستبد الشريف بركات بحكم مكة فأول ما قام به أن دبر لاغتيال الشيخ مالك بن رومي الزبيدي فتم له ذلك في سنة ٩١٣هـ .

قال العز ابن فهد في غاية المرام (٢٠١/٣) : و المقتولون **مالك بن رومي الزبيدي شيخهم** و أولاده الثلاثة مقرظ وقادم وذاعر و مشهون بن رومي أخوه ، وولده بازان (الصواب جازان) وابن أخيهما زين بن شهوان بن رومي (الصواب زبن) وعلي بن خريص ابن عم مالك بن رومي وولده قفلة ، ومحمد بن مقبل وشوفان وخزامى ثلاثتهم من ذوي روايا وشادي من ذوي جماع ولم يسلم إلا شهاون وولده لأنهما لم يكونا معهم (الصواب شهوان بن رومي وهو صهر الشريف هزاع أمير مكة كما حكاه العز في البلوغ (ص٨٨)) .

وقفة مع هذا النص .

قوله : ثلاثتهم من ذوي روايا وشادي (لعله مشاري) من ذوي جماع هاتان القبيلتان كانتا تنزل برابغ كما نص على ذلك النهروالي في رحلته سنة ٩٥٩هـ حيث قال : و أهل هذا المكان طائفتان من موالي ذوي رومي طائفة يقال لهم ذوي روايا .... إلى أن قال : وطائفة يقال لهم ذوي جماع .



و ذكر أحد المعاصرين في كتابه فقال : ذوي روايا من هنود رابغ .... ذوي جماع من هنود رابغ .

و هذا غريب و عجيب منه و لست أدري كيف يستحل هذا الشخص مثل هذا الصنيع ؟!

وذوو روايا وذوو جماع قبيلتان حليفتان لزبيد اليمن من حرب وليس لهما ذكر اليوم ، وقد آلت أملاك ذوي جماع (الجماعية) لأحد أثرياء رابغ ، و سيأتي مناقشة ذلك بالتفصيل في موضعه إن شاء الله .

و بعد اغتيال الشيخ مالك آل حكم خليص لابنه الشيخ شهوان كما سيأتي .

المبحث الثاني : نسب الشيخ مالك بن رومي الزبيدي .

هو الشيخ مالك بن رومي الزبيدي ابن الشيخ رومي الزبيدي الذي قتله الشريف محمد بن بركات في المعركة المتقدم ذكرها سنة ٨٧٣هـ .

هكذا نسبه المؤرخ العز بن فهد القرشي المتوفى سنة ٩٢٢هـ في تواريخه منها :

١- غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام .

٢- بلوغ القرى في ذيل إتحاف الورى .

و الجزيري في الدرر الفرائد و هو معاصر لأولاده ، و النهروالي في رحلته وهو معاصر لولد ولده ، و كل من نقل عنهم إلى زمن تأليف كتاب نسب حرب في آخر القرن المنصرم ، فإن مؤلفه غفر الله له زاد من كيسه فقال (ص١٢٢) : قلت : مالك بن رومي العسمي كان هو وسلالته أمراء حرب كافة .

و قد سار على هذا الوهم في كل كتبه بلا استثناء فلا حاجة لتعدادها .

و تابعه جل المعاصرين على هذا الوهم ممن عول عليه إلا أن الدكتور مبارك المعبدي فاقه فزاد : مالك بن رومي بن نويرة .

و لعله التبس عليه باسم الصحابي الجليل مالك بن نويرة التميمي .

و ما ذكره البلادي رحمه الله تصرف في نصوص المتقدمين وتحكم منه لأنه لم يعاصر تلك الأحداث فلا يسلم له بهذا الحكم و إنما يسلم للمعاصر و قد مر ذكرهم ، و قد اتفق المؤرخون بلا استثناء أنه الزبيدي و لم يعينوا فرعه !.

فكيف يُحكم على نسبه بعد أربعمائة سنة ؟!

والقاعدة عند أهل التحقيق كما هو معلوم : **أن الأصل في ثبوت الأسماء هو النقل سواء كان سماعا بسند متصل أو كتابة في نص أو وثيقة .**

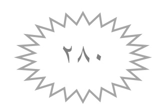
و هذا الوهم نشأ على إثر قرائن احتفت بأخبار الشيخ مالك بن رومي الزبيدي فراجت على البلادي رحمه الله فتوهم أنه من العسوم و ليس كذلك ، و من تلك القرائن ما يلي :

١- أنه التبس عليه وجود اسم رومي في قبيلة العسوم ، و هذا منقوض بوجود اسم رومي في قبيلة الصحاف أيضا ويتوارثونه إلى عهد قريب ، و قبيلة الصحاف من زبيد اليمن و قد ثبت عندي إجلاؤهم ثم رجوعهم كما سيأتي إن شاء الله .

٢- أنه التبس عليه كون ابن عسم أمير خليص و مالك بن رومي أمير خليص أيضا ، و هذا منقوض بخبر إجلائهم من خليص و الذي أرخه النهروالي سنة ٩٧٦هـ كما سيأتي .

و الأمانة العلمية تقتضي ذكر خبر الإجلاء و الإجابة عنه و قد أعرض جل المعاصرين عن هذا النص و مروا به مرور الكرام وستأتي مناقشته إن شاء الله تعالى في موضعه .

و أما ما ذكرته في كتابي مدرج عثمان حاشية رقم (٤-٥) بالصفحة (٤٦) بأنه يحتمل أن يكون الشيخ مالك من زبيد قرماء ونواحيه فإنه كان من قبيل الاعتراض و ليس الاحتجاج وما أقرره فهو مدون في هذا الكتاب فقط ، وقد نشرته في مدونتي قبل صدور كتابي مدرج عثمان .



و خلاصته .

أن الشيخ مالك بن رومي الزبيدي ينتسب إلى قبيلة زبيد اليمن من حرب و هو شيخهم و أمير خليص فمن زعم أنه عسمي أو صحفي أو جدعاني أو جحدلي أو عصلاني فنحن نطالبه بالدليل !.

فإن أبى ، قلنا له : هذا رأيك ، و نحن لا نحجر على آراء الناس فاصنع كصنيعنا و لا تلزمنا به .

ومثله الشيخ مالك بن بدر الزبيدي وغانم بن سند الزبيدي الذين ذكرهما ابن شداد في تاريخه ولم يعين من أي فروع قبيلة زبيد هما ؟!

فينبغي التوقف حيث توقف النص فهو الأسلم .

المبحث الثالث : عهد الشيخ شهوان بن مالك الزبيدي .

وفي سنة ٩١٤هـ بعث السلطان المملوكي للشريف بركات مرسوما يوصي بعمارة عين خليص أرخه العز في غاية المرام (٢١١/٣) فقال : فقرئت المراسيم ، وفي مرسوم الشريف بركات و قايتباي الثناء عليهما و أنهما مقربان عندنا والتوصية على عمارة عين عرفة وعين خليص ، ويصرف على عين خليص ثلاثمائة دينار وعلى عين عرفة مهما أصرف حتى لا تحتاج إلى عمل بعد هذا .

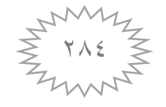
وفي سنة ٩٢٣هـ سقطت الدولة المملوكية على يد العثمانيين وبعدها بيسير توفي الشريف بركات سنة ٩٣١هـ و آل حكم مكة لابنه أبي نمي الذي حكم مدة طويلة استغرقت القرن العاشر كله تقريبا ، وكان يشاركه بعض بنيه في آخر حياته .

وكان يحكم خليصا في أثناء هذه المدة الشيخ شهوان بن مالك بن رومي الزبيدي وقد التقى به المؤرخ الكبير عبدالقادر الجزيري رحمه الله في سنة ٩٥٥هـ ، وأخذ عنه نسبه و أملى عليه عقبه وحدود صلاحيته و أمورا أخرى يأتي بيانها إن شاء الله تعالى .

وفي سنة ٩٣٨هـ انقطعت عين خليص وتعطلت البركة وحصل للحجاج عنت شديد و مشقة فظيعة أرخها الجزيري في صغره حيث قال في الدرر (ص١٧٠٢) : قلت : وهي باقية بالديوان السلطاني وصرفتها ، لأصحاب خليص من جملة مرتباتهم والمقررات المستمرة ، وعوائدهم المستقرة إلى يومنا هذا وقد أدركتُ هذه العين في باكورة العمر ، و من الشباب **في سنة ثمان و ثلاثين و تسع مئة** ، ولاية مصطفى كاشف الغربية لإمرة الحاج و قد انقطع الماء و وقفت العين وتعطلت البركة التي بها و وصل الركب فلم يجد بها ماء

فصعد الحاج إلى مجاري العين بالجبل و بالوادي و تتبعوا محال الماء فلم يحصلوا من ذلك طائلا و باءوا بمشقة شديدة و كوتب نائب السلطان سليمان بن عثمان بمصر وهو إذ ذاك سليمان باشا بما حل و جل من المشقة فعرض ذلك على المسامع السلطانية و برز أمره الشريف السلطاني أجزى الله الأجور في صحائفه ، و أدام بره الموفور بساعي البيت وطائفه بعمارتها على أحسن قانون و تنوع من الفنون فعمرت على يد أمين جدة من مالها و أتقنت فجرى الماء على حال التسديد و تنظيف مجراه و أعيد تبييض الفسقية بالنورة المحكمة الصناعة فجاءت بحمد الله طيبة الإساغة و النفاعة و بنى نائب جدة بجانبها قبة لطيفة و بيضها بالجص و النورة داخلا و خارجا و جعل على العين شادا مقيما بخليص لا يبرح عنها خارجا و لا يكون عن حراستها و مصالحها دارجا فعادت من أعظم مناهل طريق مكة و أنزهها و من أجل منازلها وأفرحها خصوصا ما يزرعه أهل تلك المحطة بجوانب مجاري العين من بعض أشجار الليمون و الأعناب و من البطيخ اللطيف منظرا و يلذ طعمه كالشراب و من أنواع البقول و الخضر مما يجد به القادم إلى تلك البقعة غاية الروح و الأنس بعد مشاق السفر و يزول عن جسده ما كان به من الفتور و الكلال و الضرر و يطيب له خبر تلك المحلة والمنزلة بعد السماع و الخبر و كم مرت لنا بها أوقات و ورد علينا فيها و بها نعم و مسرات في صحبة أماجد الأمراء والأعيان ذوي الفتوة و المكارم و الإحسان إذ الناس فيهم بقية من صبابة تغمهم الله برحمته و أسكنهم فسيح جنته بفضله و طوله و منته و حوله .

و ذكر الجزيري في موضع آخر من كتابه الدرر الفرائد عند حديثه عن هذه الواقعة أن أمين جدة عين عاملا من قبله



على العين لا يبرح عنها و يقوم بمصالحها وعمارتها يدعى خير الدين الرومي فقال (ص١٤٦٠) : وقد جددت عين خليص وأصلحت **في سنة اربعين وتسع مئة** ، وأصلحت البركة التي بها بعد خرابها وتلاشيها ، وكان الإصلاح على يد امين جدة وعمل بجانبها قبة لطيفة في غاية الأنس تشرف على البركة وأول من أنشأ هذه البركة لسقاية الحاج أرغون النائب وسنذكر بعض ترجمته باختصار ، و أتذكر نزول الركب فيها في سنة ثمان وثلاثين و تسع مئة فإذا البركة خراب متلاشية والعين نازحة و حصل للركب بواسطة ذلك غاية المشاق في تلك الرحلة ، و لما عرض أمر ذلك على **السلطان سليمان** عين ملوك الزمان من بني عثمان لا زالت صدقاته الشريفة بأيدي كرام بررة مرفوعة و مبراته المنيفة للوافدين بهذا الدرب و آل الحرمين الشريفين غير مقطوعة و لا ممنوعة فبرز أمره الشريف بعمارة العين و إصلاحها و تجديد عمارة البركة على أكمل حالة صلاحها ، وذلك في ولاية سليمان باشا نائبه بمصر ، وأقيم عليها نفرٌ من عسكر جُدَّة ، **يدعى بخير الدين الرومي شادًا على العين بجامكية و جراية لا يظعن عنها شتاء و لا صيفا و لا يقصر في تنظيفها و حراستها ربيعا و لا خريفا ، و تزوج امرأة من ذوي رومي و أولدها ولدا ذكرا** و استمر هذا المورد من أجلّ الموارد الحجازية و من ألطف البقاع الجليلة المكية و لما حج الوزير الكبير لطفي باشا و هو من صهورة السلطان بعد عزله من الوزارة العظمى في سنة نيف و أربعين و تسع مئة توفي أحد أعيان مماليكه الخاصة بهذه المنزلة فدفع إلى خير الدين شاد العين مئة دينار من الذهب الجديد ليبني على قبره بناء و يتصدق بالباقي من ذلك فأدار على قبره بناء و بيضه بالنورة ثم بنى لنفسه بيتا يشتمل على حوش كبير و مجلس و بوابة حسنة و استمر يسكنها والدار ظاهرة في خليص ، و لنا بخير الدين المذكور صحبة

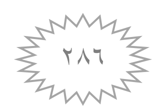
وتوفي سنة اثنتين و ستين و تسع مئة و استقر ولده من امرأة من ذوي مالك ابن رومي عوضه في هذه الخدمة رحمه الله تعالى ، و بخليص مزار مدفون به رجل يماني مشهور بالصلاح و البرَكة في ضمن بناء بالقرب من البركة و له خادم **و هو مجاور للقبور** التي بتلك المحل و زرنا قبره مرارا .

وقوله : و أول من أنشأ هذه البركة لسقاية الحاج أرغون النائب ، يشير إلى الخبر الذي أوردناه سنة ٧٢٠هـ و مقصوده أول من أنشأها على هذه الصفة التي شاهدها و إلا فقد ثبت عمارتها قبل هذا بقرون كما في نص القاضي وكيع .

ثم في سنة ٩٥٥هـ زار الحجاز المؤرخ عبدالقادر الجزيري والتقى بالشيخ شهوان بن مالك بن رومي الزبيدي شيخ قبيلة زبيد اليمن من حرب و أمير خليص و أملى عليه نسبه و ولده وحدود سلطته و أمور أخرى تخص تاريخ المنطقة حيث قال (١٤٤٧) : والستان بعد الفضاء محاطب شجره يختفي فيه الركب بحمله ويرى منه البحر على بعد وهو آخر درك زبيد الشام وأول حد زبيد اليمن وحده من بستان القاضي إلى الحدره والمضيق الذي هو آخر وادي العميان و أول مر الظهران ومن شيوخهم شهاون ابن مالك بن رومي و أولاده داهش وعلى وإخوتهما ، وكان الدرك قديما مقسما بين جماعات بمعاليم معلومة منهم البشريون العصيفيون وبنو سليم فاستولت أولاد رومي على الدرك جميعه .

و هذا النص أوردته في كتابي مدرج عثمان بأطول من هذا السياق لحاجة الكتاب لذلك ، فمن أراد التوسع فليراجعه هناك ، وإنما نورد منه هاهنا ما يتعلق بتاريخ أمج و خليص .

وتحليل النص كالتالي :



١- قوله : والستان بعد الفضاء محاطب شجره يختفي فيه الركب .

هذا الوصف ينطبق على المنطقة الواقعة شرقي مستورة بينها وبين الأبواء (الخريبة) ، وهي تمتد جنوبا من الضفة الجنوبية لوادي مستورة أسفل (وادي الفرع) إلى الحرة التي أسفلها قرية ودان القديمة جنوبا ، وبالحرة ثنية هرشى المشهورة أيضا .

وهو مشهور بهذا الاسم في القرن التاسع أيضا حيث وصفه العطار في كتابه منازل الحج المصري في سنة ٨٦٦هـ كما ذكره الجزيري في مقدمة الفصل ، و الكتاب مطبوع اليوم عن نسخة ناقصة .

و البستان يقع في هذه المنطقة ووصفه الجزيري في موضع آخر فقال : بستان القاضي .

٢- القاضي جمعه القضاة وهي إحدى قبائل زبيد اليمن ورد ذكرهم في وثيقة حلف الشريف أبي نمي و زبيد اليمن سنة ١١٨٧هـ .

٣- وبستان القاضي واقع على الحد بين ديار زبيد الشام و زبيد اليمن كما ذكر الجزيري حينما قال : وهو آخر درك زبيد الشام وأول حد زبيد اليمن .

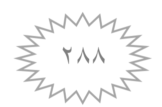
٤- أن حدود إمارة خليص تمتد من بستان القاضي جنوب شرق مستورة إلى قرية الغزيات شمال غرب الجموم اليوم تقريبا .

فهي تشمل غالب حدود إمارة رابغ اليوم و خليص وعسفان .

وقد حاول الشيخ مالك بن رومي الزبيدي التوسع إلى الشميسي و ضم درب جدة فامتنع أمير مكة الشريف بركات مما أدى لاغتياله بعد ذاك كما مر .

٥- قوله : شهاوان تصحيف صوابه شهوان ، لأنه من أسماء أعمامه .

وثيقة قبائل زبيد اليمن من حرب المؤرخة سنة ١١٨٧هـ .



المبحث الرابع : عهد الشيخ داهش بن شهوان الزبيدي .

وفي سنة ٩٥٩هـ زار خليصا مؤرخ مكة العلامة النهروالي ووصفها وصفا حسنا وذكر شيئا من خبرها حيث قال كما حققه الجاسر في مجلة العرب (ج٧/٨ س١٦) : **المرحلة الخامسة خليص** : وصلنا إليه صبحا وصلينا به الصبح ووجدنا به العين جارية على وجه الأرض والبركة فيها قليل ماء ووجدنا به الغنم واللبن وطيور القطا وذهبت في قبيل هذه الرحلة بطة سمن لبعض أصحابنا وجاء زبيد ذوي رومي وأخذوا من القافلة بعض الجبا وهو على كل جمل محزوم ليس بزاد يسمى بينهم عصم أربعة محلقة ومنهم من أخذ ثلاثة محلقة ونصف على كل جمل عصم وليس على الشقادف ولا على الزوامل الهالكة شيء وهذا الجبل يختص بذوي رومي **وبلادهم من خليص إلى رابغ ومشايخهم الآن داهس بن شهاون بن مالك بن رومي و مزبن بن مزهر بن مقرب بن رومي** ولهم صر محمول مع أمير الحاج سبع مئة أشرفي كل عام وذكروا أنهم كان لهم جبا على الشقادف في هذا المكان وأن السيد الشريف نصره الله تعالى اشتراه منهم بأربع مئة دينار يعطيها لهم كل سنة في مقابل تركهم الجبا من الشقادف .

تحليل النص :

١- قوله : ومشايخهم الآن داهس بن شهاون بن مالك بن رومي .

داهس صوابه داهش كما نص عليه الجزيري وليس واهس كما توهمه أحد المعاصرين .

وفيه أن الشيخ شهوان بن مالك توفي في المدة ما بين عام ٩٥٥هـ والعام ٩٥٩هـ .

ولعل أمير خليص في تلك المدة هو الشيخ داهش بن شهوان والله أعلم .

وبعد هذه الزيارة بعام أي في سنة ٩٦٠هـ جهز السلطان محمود شاه صاحب الكجرات من ملوك الهند إلى مكة المشرفة بضاعة لتباع هناك ويستفاد من ثمنها لحفر وإصلاح آبار على الطريق بين مكة والمدينة في المنطقة الواقعة بين رابغ و خليص ، لحصول الضرر للحجاج في هذه المنطقة من قلة المياه بها ، و رتب نائبا له للقيام بذلك يدعى نصير الملك فوجد ثلاثة آبار مطموسة فنظفها فيما بين رابغ وخليص .

قال الجزيري في الدرر (ص٢٥٢) : وذكر صاحبنا الشيخ شمس الدين محمد السلح السلمي المكي في قطعة وجدت من تاريخه أن في يوم السبت سادس عشرين شوال سنة ستين وتسع مئة توجه نصير الملك ولد أخت أفضل خان الواصل بحرا في هذا العام من الكجرات إلى رابغ وخليص والخبت وأخذ معه جماعة من الذين لهم خبرة في أمر الآبار وفي قصده أن يحفر بعض الآبار في طريق المدينة بالخبت حيث لا ماء يحصل الارتفاق للحجاج والزوار والقوافل .... إلى أن قال :

ودخل نصير الملك قبل دخول الحاج إلى مكة في أواخر القعدة وذكر أنه نظف ثلاثة أبيار كانت داثرة فيما بين رابغ وخليص وهي على غير طريق الحجاج لكنها قريبة من الطريق يصل إليها من أراد فقال بعض الناس : هذه أبيار لنفع زبيد والسراق المقيمين بتلك الأرض وأما للزوار وللحجاج فلا .



وهذا فيه إجحاف بلا شك لأن أهل الطريق إن استفادوا فالنفع يعود لرواده أيضا .

ومعنى قوله : الخبت ، فالأظهر عندي أنه خبت كلية لأنه من ديار زبيد اليمن في تلك المدة وقد مر معنا نص النهروالي على ذلك حينما قال : **وبلادهم من خليص إلى رابغ .**

ثم بعد هذا التاريخ بمدة ذُكر العزرة بخبت كلية وقديد والسبب في ذلك عصيان قبيلة زبيد اليمن على الشريف أبي نمي ثم إجلاؤهم على إثر ذلك كما حكاه النهروالي في رحلته سنة ٩٧٦هـ حيث قال : وكان عرب زبيد يأخذون سبعة أنصاف على الجمل العصم وحدهم إلى رابغ فمنعم السيد قريبا من ذلك فلم يمتنعوا **فأمر بإجلائهم عن وطنهم وأسكنهم اليمن وأبقى في خليص مزبنا فقط مع جماعة يسيره وهم الآن لا يأخذون من احد شيئاً .**

فورث العزرة هذه المنطقة والسيادة عليها كما سيأتي .

وقفة : هل (العزرة) الأصل في زبيد كما حكاه البلادي ؟!

وهذا النص ونصوص الجزيري السابقة توهن ما توهمه الشيخ عاتق البلادي في كتابه معجم قبائل الحجاز حينما قال (ص٣٢٨) : العزرة والنسبة إليهم عزيري بطن من زبيد من مسروح من حرب وإذا ذكرت زبيد قال رواة حرب : الأصل العزيري .

وهذا وهم منه بلا شك رحمه الله ولو أنه اطلع على هذه النصوص لما وقع فيه ، و أما الرواية التي ذكرها فليست معروفة لدينا في قبيلة زبيد وإنما المشهور خلاف ذلك حيث أن الرواة يذكرون هذا في داخل العزرة وليس على عموم قبيلة زبيد فيقولون إذا ذكرت العزرة قالوا : الأصل كذا !.

ولكن الذي يظهر أن الشيخ عاتق البلادي رحمه الله كان ينقل المرويات بالمعنى لطول عهده بنقلتها ، فيحصل الوهم في ألفاظها حينئذ .

تتمة : ويستفاد من خبر النهروالي الآنف نزوح ذرية الشيخ مالك بن رومي الزبيدي جميعهم مع قبيلتهم لليمن واستمرار قبيلة زبيد اليمن في حكم خليص لأن الإجلاء لم يشملهم بالكلية وأما قوله اليمن فالمقصود به جنوب مكة في حدود سلطة الشريف أبي نمي وليس إقليم اليمن المعروف اليوم .

وكذلك قد يكون أمير خليص في سنة ٩٧٦هـ هو الشيخ مزبن بن مزهر بن مقرب بن رومي الزبيدي وقد تصحفت لدى الشيخ حمد الجاسر مزبنا إلى مزينا فتابعته على ذلك في كتابي مدرج عثمان ولكن الصواب ما أثبتناه هاهنا إن شاء الله ، وأما الجماعة اليسيرة من قبيلة زبيد اليمن الذين بقوا في خليص فسيأتي بيان بعضهم .

وكنت قد ترددت في كتابي مدرج عثمان ولم أجزم بجلاء قبيلة الصحاف من زبيد اليمن من حرب ، لكن ثبت عندي هذا بالقطع كما سيأتي ثم إنهم بعد هذا الإجلاء رجعوا واقطعوا ديارهم اليوم بوادي غران كما هو مشهور عند رواتها الثقات .

واعلم أن تاريخ قبيلة زبيد اليمن (بعد جلائهم) لا يزال يحتاج إلى تحقيق و تمحيص وتوثيق فلا يستغرب القراء الكرام من تغير النتائج التي نتوصل إليها من كتاب لآخر .

وبعد إجلاء قبيلة زبيد اليمن من حرب عن خليص و سكناهم جنوب مكة نزل بها بعض الأشراف وتملكوا بها ، وكذلك بعض بطون العزرة من زبيد .



وكذلك قرية رابغ أيضا نزلها جماعة من بطون قبيلة حرب من بني سالم (الظواهر والقواد) ومن بني عمرو (بنو محمد وبنو يوب و العبدة والبلادية) وقبيلة عوف و من زبيد الشام والعزرة وغيرهم .

المبحث الخامس : خليص بعد إجلاء زبيد اليمن .

وأول ذكر لخليص بعد جلاء قبيلة زبيد اليمن منها جاء في رحلة كبريت الحسيني حيث مر على خليص سنة ١٠٣٩هـ وأشار إلى إهمال العين وتسرب الخراب إليها حيث قال في رحلته الشتاء والصيف (ص٢٤٣) : ثم أتينا على خليص وهي عين غزيرة الماء عليها نخل كثير وبركة متسعة جدا وإذا احتاجت العين للعمارة جاء المصرف إليها من حاصل جدة كذا في (زهر الرياض) وقد عفا رسم هذه العين لتغافل الدولة عنها وعسى أن يعود الماء إلى مجاريه .

ثم بعد هذه الزيارة بسنة تملك الشريف عنان بن علي بخليص مزرعة من أحد سكان خليص حيث جاء في وثيقة مؤرخة سنة ١٠٤٠هـ تملك الشريف المذكور أرضا زراعية بنواحي عين خليص ، نشرها الشريف العنقاوي في معجمه .

والشريف عنان هذا من أحفاد الشريف عنان بن مغامس أحد أمراء مكة المتقدم ذكره .

وهو الجد الجامع لأهل الخوار كما أفادني بذلك الشريف عيسى بن فيصل العناني و ليس كما توهمه البلادي رحمه الله بأن الذي نزل خليصا هو الشريف عنان بن مغامس .

والذي يظهر أن الشيخ مزبن الزبيدي قد نحي عن حكم خليص فيما بعد إلا أنه لا يوجد ما يؤكد تولية الشريف عنان بن علي عليها فتبقى نتائج البحث مترددة غير مقطوع بها في تلك المدة .



معجم أشراف الحجاز/ حرف (العين) ١٠٢٥

حجة شراء للشريف عنان بن علي مؤرخة في ٢٥ صفر سنة ١٠٤٠ هـ

وقد نصت الوثيقة على أن البيع حصل بديرة زبيد ، وذكرت أحد شهودها يدعى (على الأرجح) الصبحي ، وبنو صبح هؤلاء من زبيد اليمن ، وقد مر ذكرهم في الوثيقة .



وممن تملك بخليص في تلك المدة أيضا الأشراف بنو ثقبة بن أبي نمي الثاني حيث ذكر السنجاري في منائحه أن الشريف ثقبة بن قتادة بن ثقبة بن أبي نمي طلب من الشيخ محمد بن سليمان المغربي النزول ببلده خليص إلى حين خروج الحاج حينما أبعدته الدولة العثمانية سنة ١٠٩٣هـ عن مكة فقال (٤٩٦/٤) : ثم إن السيد ثقبة قال للشيخ إن كان لابد من خروجك فأخرج أنا و أنت إلى بلدي خليص وتستمر عندي إلى الحج .

وقوله : بلدي خليص يحتمل أمرين إما بلده حيث أملاكه كالشريف عنان بن علي أو بلده أي سلطته و ولايته والراجح عندي الأول ، والله أعلم .

وبعد تحرير وثيقة الشريف عنان بمدة يسيرة مر على خليص الشيخ العياشي سنة ١٠٧٢هـ ووصفها وصفا حسنا يظهر سرعة التطور العمراني الذي لحقها حيث قال في رحلته ماء الموائد (٣٠٨/١) : فبلغنا إلى خليص عند المغرب ونزلنا به وفيه عين ماء تجري وأبنية وقهاوي وسوق وقد سيق الماء في قنوات محكمات من العين يفجر عنها في مواضع للسقي والوضوء إلى أن خرج الماء إلى بركة عظيمة تحت القرية لم أر أحلى منها ولا أعظم يغرق فيها من لا يحسن العوم ويخرج الماء من البركة إلى مزارع قريبة من البلد و بات الناس بجانب هذه البركة في أرغد عيش بسبب الماء الحلو الغزير وسقوا واستقوا وتوضأوا بلا كلفة في ذلك و لا مشقة .

قلت : هذا من أجل النصوص التي ذكرت خليصا ويدل على عمارتها و العناية بها بعد نزول الأشراف بها وتملكهم بها .

بل وأصبحت سوقا اقتصاديا مربحا يرتاده المستثمرون من كل نواحي الحجاز كما هو ظاهر في وثائق أهلها بحركة البيع والشراء ونحو ذلك .

والخبر فيه فوائد كثيرة يجدر العناية به .

وكانت زيارة العياشي متزامنة مع إمرة الشريف زيد بن محسن وهي من أطول مدد حكم الأشراف بمكة حيث حكم من سنة ١٠٤١هـ إلى سنة ١٠٧٧هـ ، وذكر العياشي في تلك الرحلة أن الشريف زيد بن محسن كان يبعث عسكرا لخليص لحفظ الطريق في مدة الموسم مما يوحي بضعف المنطقة أمنيا في تلك المدة .

قال العياشي (٣٢٧/١) : وقد أخبرني من أثق به أنه كان ذات يوم دعا بعض عماله ليذهب إلى خليص في أيام الموسم فيجلس فيها مع طائفة من عسكره ردعا للصوص وتأمينا للسبل كما هو شأنه في سائر الطرقات أيام الموسم ...إلخ .

ثم آل حكم مكة لولده الشريف سعد بن زيد فحكمها للمرة الأولى مدة قصيرة ثم وليها الشريف بركات بن محمد بن إبراهيم بن بركات بن أبي نمي الثاني من سنة ١٠٨٢هـ إلى أن توفي سنة ١٠٩٣هـ .

وفي مدة حكم الشريف بركات وهو أول حاكم لمكة من ذوي بركات أهل وادي مر الظهران (الجموم) حصل نزاع بينه وبين ذوي زيد بن محسن (سعد وأحمد) فلجأ الأخير إلى بني سالم من حرب أهل الصفراء وأعمالها فمالوا إليه و أعانوه فخرج إليهم الشريف بركات فغزاهم و أوقع بهم ثم إنهم صالحوه بعد ذلك .



وكان أول ما عملوه عند لجوء الشريف أحمد بن زيد لهم أن قطعوا الطريق بين رابغ ومستورة ليظهروا ضعفه في حفظ الطريق فتنقلب السلطة العثمانية على الشريف بركات .

قال السنجاري (٣٩١/٤) : ولما كان يوم الأحد الرابع عشر من ذي الحجة (أي سنة ١٠٨٣هـ) ورد نجاب الجبل وكان بعهد وروده يوم عرفة ولذا سمي نجاب الجبل ، فجاء مكة راجلا منهوبا وأخبر أن العرب نهبته ما بين رابغ ومستورة ....إلخ .

وفي السنة التي تليها قتلت قبيلة سليم الشريف حسين بن زيد كما حكاه السنجاري (٣٩٤/٤) .

وفي نفس السنة خرج الشريف بركات قاصدا الشام لكونه بلغه أن الشريف أحمد بن زيد نزل الفرع من جهة المدينة واستمال أهله ، هكذا أرخه السنجاري أيضا (٣٩٧/٤) .

ثم نشب القتال بينه وبينهم حيث قال السنجاري في حوادث تلك السنة (٣٩٩/٤) : وما كان من مولانا الشريف فإنه لما كان يوم الاثنين السابع والعشرين من جمادى الأخرى وصل منه مبشر إلى أخيه مولانا السيد إبراهيم بن محمد : بأن مولانا السيد أحمد بن زيد قد (لمّ) بحرب البدنة المعروفة وأن مولانا الشريف التقى بهم في الصفراء يوم الأحد تاسع عشر جمادى الأخرى وكانت النصرة لمولانا الشريف بركات وأنه قتل من حرب نحو مائة رجل وأخذت فرس شيخهم أحمد ابن رحمة من تحته ولم يُقتل فنجا هربا ، و أما مولانا السيد أحمد بن زيد توجه بعد الكسرة إلى جهة الفرع .

ثم أخبر عن الصلح فقال (٤٠١/٤) : وما كان من ابن رحمة شيخ حرب فإنه وصل إلى المدينة ولاذ بشيخ الحرم عبدالحليم آغا واستشفع به عند مولانا الشريف فبعث

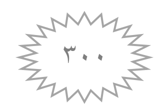
المذكور إلى مولانا الشريف يشفع فيه فعفى عنه وقبل شفاعة شيخ الحرم وأرسل من أتى به من المدينة **فأخلع عليه ورضي عنه وأمره بحفظ الطريق وإيصال الحب الوارد إلى المدينة و أبقاه على ما كان عليه .**

ثم في السنة التي تليها (١٠٨٥هـ) توجه الشريف بركات لوادي الفرع لقتال الشريف أحمد الذي لجأ إليه فقال السنجاري (٤٠٩/٤) : وفي يوم الخميس الرابع والعشرين من رجب توجه مولانا الشريف بركات إلى جهة الفرع لخبر عصيان أهله وخروجهم عن طاعته وخرج معه من جدة صاحبها فاجتمعا بعسفان ، وصام هناك و أتاه هناك مشايخ أهل الفرع فصالحوه بما أرضاه عنهم .

وقد ذكر المحبي في خلاصة الأثر ما يقتضي تنحي الشريف أحمد بن زيد إلى قبائل مسروح حيث ذكر في ترجمة الشريف أحمد بن زيد ما نصه : ولما توعد الشريف بركات أهل الفرع في أوائل سنة خمس وثمانين وألف تنحوا إلى جهة وادي البقيع (الصواب النقيع) من بلاد حرب بين السفر وبلاد بني علي وعوف واستمروا ومن معهم إلى شهر رمضان .

وجميع هذه الأخبار قرائن قوية تظهر سبب تعيين الشيخ ابن عسم في المنطقة وإقطاعه حكم هذه المساحة العظيمة والتي تشمل غالب ديار قبيلة زبيد القديمة (من ينبع إلى عسفان) بحيث بلغ نفوذ سلطته ما لم يبلغه نفوذ الشيخ مالك بن رومي الزبيدي في وقته ، والله أعلم .

ولا شك أن الشيخ ابن عسم كان من النفوذ لدى أشراف مكة بمكان لكي يتولى هذا المنصب الرفيع و الخطير و كذلك كما مر معنا من النصوص السابقة لابد و أن يحظى أمير خليص



برضا السلطة العثمانية و أن يكون محل الثقة لديها كي يحظى بهذا المنصب .

والدلائل والشواهد على هذا الاشتراطات و الصفات كثيرة يصعب حصرها وليس هذا محلها .

وفي سنة ١٠٩٢هـ كتب الشيخ عبدالله بن عسم وثيقته المشهورة بوثيقة تحديد ديار زبيد .

وهذه الوثيقة يرى جملة من المعاصرين أن تاريخها مصحف وصوابه ١١٩٢هـ وقد سمعت الشيخ عبدالخالق بن إبراهيم العسمي يقول : ١٠٩٢هـ . والله أعلم

وسيكون الكلام عليها في فصل مستقل ومشتمل على مباحث ومطالب كي يسهل على الباحثين دراستها .

هذا وقد استمر ذكر الأشراف بخليص إلى بداية القرن الثالث عشر الهجري حيث مر على خليص ابن عبدالسلام الدرعي في سنة ١١٩٦هـ فقال (ص١١٢) : ثم نزلنا خليصا ..... إلى أن قال : والقرية اليوم خالية ما بقي إلا أثر أنقاضها وبالمكان ضعفاء من الشرفاء أهل البيت .

وسبب ذلك أن الأشراف ذوي عنان تملكوا عين الخوار ونزلوها في تلك المدة وتملكوا بوادي غران حتى أن قرية بلاد الشريف بغران سُميت بهم ، وأما الضعفاء الذين ذكرهم فلعلهم ممن نزل بها للعمل ونحو ذلك ، وأما قبيلة زبيد من العسوم وغيرهم فهم بصدر خليص والرجع ونواحيه في تلك المدة . والله أعلم .

الفصل السادس :

تاريخ خليص في عهد الشيخ ابن عسم .

المبحث الأول : وثيقة الشيخ ابن عسم .

المطلب الأول : شرح وثيقة الشيخ ابن عسم .

المطلب الثاني : التحليل التاريخي للوثيقة .

المطلب الثالث : حرب البنت .

المطلب الرابع : إشكالات على بعض عبارات الوثيقة .

المبحث الثاني : تاريخ خليص بعد زمن الوثيقة .

المطلب الأول : رجوع زبيد اليمن إلى ديارهم الأصلية .

المطلب الثاني : نسب قبيلة زبيد بوادي قرماء ونواحيه .

المطلب الثالث : الأوضاع السياسية في القرن الثاني عشر .

الفصل السادس : تاريخ خليص في عهد الشيخ ابن عسم .

المبحث الأول : وثيقة الشيخ ابن عسم .

أول ذكر للشيخ ابن عسم في إمارة خليص بحسب اطلاعي جاء في وثيقة الشيخ ابن عسم المؤرخة سنة ١٠٩٢هـ على الأرجح ، ويعنون لها بعض الباحثين بوثيقة تحديد ديار زبيد أو تخصيص ديار زبيد .

وقد ألحقنا الوثيقة في السرد التاريخي لتاريخ خليص لأن تاريخها يعود لعام ١٠٩٢هـ هكذا قاله الشيخ عبدالخالق بن إبراهيم العسمي وهو مالك أصل الوثيقة ، آلت إليه عن سلفه وستأتي مناقشة الخلاف في تاريخها إن شاء الله تعالى في موضعها .

ولا يمتنع أن يكون متوليا لها قبل ذلك بمدة يسيرة ، ولكن الراجح بحسب القرائن المحتفة بالوثيقة كما سيأتي أنه ولي إمرة خليص في هذه السنة ، وإلا فما المعنى من كتابة هذه الوثيقة ؟!

ومعلوم أن لكل وثيقة دوافع أدت لكتابتها وأسباب مقتضية لتحريرها .

و ستكون مناقشتها في أربعة مطالب :



وثيقة تخصيص ديار زبيد المؤرخة عام ١٠٩٢ هـ



المطلب الأول : شرح وثيقة الشيخ ابن عسم .

القسم الأول : وهو الإحضار والإقرار .

لقد تحاظرو : أي تداعوا للحضور ، من الفعل حضر ولكن الكاتب عامي فكتبها بالظاد .

الرجال الكمل : الكُمّل جمع ، واحده الكامل .

وهم رجال زبيد : لم يعينهم !.

على شيخهم عبدالله بن عسم : وهذا النص يفيد بأن الشيخ عبدالله بن عسم شيخ زبيد فقط ، ولم تسند إليه مشيخة قبيلة حرب بعد ، مما يرجح القول بأن تاريخ الوثيقة ١٠٩٢هـ كما سيأتي .

ولموجب .... وتخصيص الدرة على طرح الحدان القديمة : هناك كلمات غير واضحة وأما التخصيص فمعناه توزيع المسؤولية داخل حدود سلطة ابن عسم والتي هي إمارة خليص والدرة أي الديرة وأما الحدان فهي جمع حد وأصلها من الحدود بين ديار القبائل إلا أن اللفظ المستعمل هاهنا عامي والقديمة معناه التي قبل مشيخة ابن عسم .

وحدد لهم الديرة : الذي حدد لهم الديرة هو الشيخ ابن عسم رحمه الله بصفته وكيلا ونائبا عن الدولة ، إلا أن هذه الحدود معروفة وقديمة كما أقر بذلك ، وإنما جدد كتابتها لأنه حاكم منوط به التوثيق والإقرار و الإشهاد على من هم تحت سلطته فإن حدث ما يخل فلكل نصيب من المسؤولية بحسب حدود سلطته .

وهذا التحديد لا يختص بقبيلة زبيد فقط بل يشمل تقرير من حضر و شهد كما سيأتي .

القسم الثاني : بيان أعلام الحدود وأسمائها .

من شام : عُرف حجازي يعني أي من الشمال .

من بطن مسيل ينبع منحدر إلى البحر : أي أن الحد الشمالي لديار قبيلة زبيد هو وادي ينبع ممتدا من خروجه من الجبال نحو الساحل إلى البحر .

وهو عين حدودهم في سنة ٩٥٥هـ والتي ذكرها الجزيري في كتابه الدرر الفرائد حيث ذكر أنها تمتد من الدهناء شمالا .

والدهناء قرية خربة تقع أسفل وادي ينبع النخل مما يلي الساحل .

ومن شرق : وهاهنا المسافة طويلة جدا تبلغ قرابة ثلاثمائة كيلا لذلك يكثر أسماء المعالم التي وردت في الوثيقة وبيانها كالتالي :

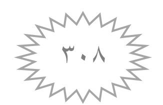
درب الحاج السلطاني إلى ... وبدر : طريق معروف ومشهور تطرقه قوافل الحج المصري ، ثم كلمات غير واضحة .

ولعله أراد الطريق الخارج من ينبع إلى بدر ، وعليه يكون مطابقا لوصف الجزيري سنة ٩٥٥هـ .

على الجدر : الجدر هذه ذكرها النهروالي في طريقه بين مستورة و بدر ، ولعلها بين بدر و النصايف .

على حسنة : قوز حسنى مشهور يقع جنوب بدر .

على المسفرة إلى حلق ميل الخريبة ويقبله مسند إلى فم مجاج : ثم إذا خرجت من بدر تمتد ديار زبيد في الساحل إلى الخريبة (الأبواء) ثم تمتد شرقا (مسند) في وادي النخل أسفل



الفرع إلى التقائه بوادي مجاح أحد روافد وادي الفرع الشمالية شرق الأبواء .

وهذه المواقع المعروف والمشهور أنها من ديار بني عمرو من حرب ولكن كما ذكرت سابقا ، لهم دركها و مسؤوليتها .

ويتيامن إلى مقرح الدمجا : ثم تمتد جنوبا (يتيامن) من وادي مجاح إلى مقرح الدمجاء شرق رابغ شمال النويبع .

ما ردت يسار عمري وما ردت يمين زبيدي : أي غرب هذا الحد من مقرح الدمجاء إلى فم مجاح كله زبيدي .

ويشرق إلى الشيبا الميسرة عمرية والميمنة مسروحية : الشيباء حرة مشهورة بين وادي الفرع و وادي رابغ ، ومعنى ما ذكره أنه من مقرح الدمجاء يتجه الحد شرقا إلى حرة الشيباء فما كان شمالها (الميسرة) فلبني عمرو و ما كان جنوبها (الميمنة) فمسروحية .

وهذا لا معنى لذكره لأنه ليس من ديار زبيد ولكن لعله أراد أن ينص على حدود مسؤولية مسروح حيث تشمل منطقة شرق رابغ .

وهذه المواضع ليست من ديار مسروح كما هو معلوم لدى قبائل حرب ولكن كما تقدم هذا كله من قبيل السلطة وليس التملك .

صطكة الحدان : غير واضحة المعنى عندي .

بقرار أهلها : وهذا يثبت ما ذكرته آنفا أن هذه الديار لها ملاكها من قبائل حرب ولكن ليس لهم من السلطة شيء .

ومن جهة سليم : ثم بعد الخروج من وادي رابغ جنوبا بمسافة تبدأ حدود قبيلة سليم مع قبيلة زبيد .

ثمرة و زورا وضلع الروضة وقهيبا مسر : ثمرة تقع أعلى وادي كلية و أسفلها الحصينية من ديار قبيلة بشر دخلت في حدود ديار زبيد هاهنا دركا ، زورا وضلع الروضة وقهيبا ومسر هذه المواضع أعلى قديد و خليص ونواحيهما ، وهي معروفة اليوم .

و درب الزير : درب الزاير ، يقع بالبرزة من ديار معبد وهو يؤكد ما ذكرناه بأنها حدود إدارية ومسؤولية .

إلى حرة فيدة اليمانية : وهي حرة معروفة تفصل وادي غران عن وادي فيدة و عسفان .

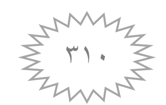
وماردت الحرة قبلة دولية و ماردة شام زبيدية : وماردت الحرة قبلة (أي جنوبا) دولية أي في درك أمراء مكة مع أنها من ديار بشر ومعبد ، وهو يؤكد ما ذكرناه بأنها حدود إدارية ومسؤولية .

إلى واردة الماء من عسفان : أي آبار عسفان .

يحدر على النصيبا : يحدر أي يتجه غربا عكس كلمة يسند السابقة ، والنصيباء ضليع صغير بجوار قلعة عسفان على ضفة الوادي من الشمال .

و على أبو حصاة و على النصب إلى البحر : أبو حصاة معروف ، موضع به حصاة كبيرة شمال الغولاء .

وهذه الحدان المذكورة من حدها الشرقي المذكور أورده البحر : إلى هنا انتهى الكلام عن الحدود الشرقية والجنوبية .



القسم الثالث : توزيـع المسؤولية داخل ديار قبيلة زبيد .

وأما تخصيص الديرة بين أهلها : أي توزيـع المسؤولية داخل ديار قبيلة زبيد الآنف ذكرها .

وأهلها معناه : سكانها ، ولكن لابد من قيد ضروري وهو : في تلك المدة أي سنة ١٠٩٢هـ ، وأما إن كان تاريخها ١١٩٢هـ فالمعنى أشد ظهورا ولا يحتاج لقيد ، وسيأتي تفصيله بإذن الله .

من مسيل ينبع إلى الزريب عند زبيد الشام : هذا القسم الأول من ديار زبيد يقع تحت مسؤولية قبيلة زبيد الشام .

والزريب غير معروفة لدي ولكن لعلها الحرة القابعة جنوب مستورة .

ومن الزريب و يمن إلى عويرضة عند القايدي : وهذا القسم الثاني من ديار زبيد و يمثل جل رابغ وما حوله ويقع تحت مسؤولية القايدي لأنه قال : (عند!) ، والقايدي مجمل غير معروف لأن القواد برابغ كثيرون في تلك المدة ، بعضهم ينتسب لقواد ينبع النخل وبعضهم يقال أنهم من زبيد .

وقوله : ويمن أي و جنوبها ، وعويرضة حرة معروفة ومشهورة شرق الجحفة .

وأما قول أحد المعاصرين : (يمن) معناه زبيد اليمن فهذا تحريف وغير مستغرب من قائله .

و من عورضة إلى الثنية عزيرية : وهذا القسم الثالث من ديار زبيد ويمتد من الجحفة إلى ثنية لفت بين قديد و خليص تحت مسؤولية العزرة أحد أقسام قبيلة زبيد من حرب ، وهو أول ذكر لهم ، ولا يمنع وجودهم قبل ذلك ، و سيأتي بيانه .

وهل تشمل المنطقة الساحلية فيما بين رابغ و ثول ؟! لم يظهر لي منعه إن كان تاريخ الوثيقة ١٠٩٢هـ .

ومن الثنية إلى عسفان عسمية وتوابعه : وهذا القسم الرابع من ديار زبيد ويشتمل على خليص و غران والدعيجية وذهبان وأجزاء من عسفان والغولاء والبرزة والخوار .

ومعنى توابعه أي في الإدارة والحكم كما أفادني بذلك الشيخ عبدالخالق بن إبراهيم العسمي ، وليس في النسب ، ولأن القبائل التي تسكن في هذه الحدود معروفة وأنسابها مشهورة قبل أن يوجد الشيخ ابن عسم بالمنطقة وسيأتي الجواب عليها بأكثر من هذا التفصيل إن شاء الله .

فائدة : زعم أحد المعاصرين بأنها وثيقة أنساب ، ولم يجب عن وثائق الأنساب المرفقة في هذا الكتاب !.

والحق أنها وثيقة إدارية و سياسية ليس لها متعلق بالأنساب إلا بالإشارة .

فمن ذلك : قوله : عند زبيد الشام ، و عند القايدي ، وعزيرية وعسمية ، فهذا يشير لما يلي :

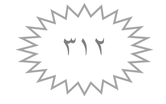
١- أن العزرة ليسوا من زبيد الشام .

٢- أن القايدي ليس من زبيد الشام ولا العزرة .

٣- أن ابن عسم ليس من زبيد الشام ولا العزرة .

وجميع من ذكر أعلاه ليس من زبيد اليمن قطعا ، وعليه فإن تقسيم د.مبارك المعبدي لقبيلة زبيد في كتابه ملامح من تاريخ حرب لا يصح التعويل عليه .

وسيأتي مزيد تفصيل في محله بإذن الله تعالى .



القسم الرابع : مستدركات و تواقيع الشهود .

ولم يظهر عند زبيد الشام إلا قطعة سالم بن جديع هي الخريبة : وهذا الموضع مستثنى من ديار زبيد الشام وقد نبهنا عليه آنفا ، و أما سالم هذا فلا أعرفه .

يحده من الغرب قبليه و من الشرق فم السيل وقبله وشام الجبلين جبال المسيل : هذه حدود الخريبة المستثناة .

وعلى هذا وقع الأشهاد شهد الله أول قبل خلقه والله خير الشاهدين : ديباجة الختام .

حضر و شهد بذلك الشريف هزاع بن هجار الهجاري : قوله حضر يفيد أن الوثيقة حررت بخليص .

وهزاع هذا هو الشريف هزاع بن غيث بن محمد بن دراج بن هجار ، إن كان تاريخ الوثيقة ١٠٩٢هـ .

وقد ذكر العنقاوي في معجمه (١٥٣٥ص) أنه تولى إمرة ينبع في النصف الأول من القرن الثاني عشر الهجري محتجا بوثيقة صادرة سنة ١١٢٩هـ والله أعلم بصحة ذلك .

والذي يظهر من كلام العنقاوي أنه تولى إمرة ينبع بعد تحرير هذه الوثيقة .

وهو جد الأشراف ذوي هزاع الهجارية بينبع ، ومن ولد ولده أحفاد يسمون على اسمه أيضا لكن هذا هو الأقرب إن شاء الله تعالى .

وبناء عليه يكون اسم هزاع موجودا في كلا التاريخين المقررين للوثيقة إلا أنه في الأقدم أقرب و أكثر ظهورا ، ويراجع في هذا كتاب معجم أشراف الحجاز للعنقاوي .

شهد بذلك الشيخ سعد ابن مضيان الظاهري : لم يقل حضر هاهنا ، وقوله الشيخ سعد مشكل هاهنا ، إلا إن كان سعد المذكور من أعيان المضايين وليس شيخ حرب لأن مشيخة الظواهر لحرب موثقة في الجملة كما سيأتي .

وأما جزم أحد المعاصرين بأنه في عام ١١٩٢هـ فيه تكلف لأن اسم سعد يكثر في المضايين خاصة في تلك المدة ، فينبغي الترفع عن القطع في ما يتطرق إليه الاحتمال وهذه قاعدة في جميع الأسماء الآتية .

شهد بذلك نامي بن زيادة العمري : كالذي قبله لم يصرح بحضوره ولم يصفه بالشيخ ، فهو من أعيانهم إذن .

ونامي اسم مشهور في أمراء مكة منهم نامي بن عبدالمطلب صاحب الغارة الشهيرة بالجلالية سنة ١٠٤١هـ ولاشك أن العرب تسمي أولادها على أسماء السلاطين و المشاهير .

فالجزم بأنه في سنة ١١٩٢هـ فيه تكلف ، لأن كون اسم نامي موجودا في تلك المدة يعتبر دليلا على وجوده قبل ذلك فقد يكون سمي على أحد أجداده أو أعمامه . والله أعلم .

شهد بذلك بنيان التوم السفري : مثل الذي سبقه .

وعدم تصريحه بحضور الثلاثة الآخرين غير مؤثر لأنه قد يكون اكتفى به في الشاهد الأول .



القسم الخامس : تاريخ الوثيقة .

تاريخ الوثيقة كتابة : **ألف وثنين .... وتسعين من الهجرة النبوية على صاحبه .... :**

وقد ذكرت آنفا أن الشيخ عبدالخالق بن إبراهيم العسمي ذكر أن تاريخها ١٠٩٢هـ ، وهو مالكها و من أخرجها وآلت إليه من سلفه .

وذكر الشيخ عاتق البلادي رحمه الله أنه رآها عند الشيخ محمد بركة بن مبيريك و ذكر أن تاريخها في آخر القرن الثاني عشر أي في سنة ١١٩٢هـ .

وقد وافق البلادي جملة من المعاصرين ، والقطع في مثل هذا ليس من منهجي لكني سوف أناقشها بإذن الله بناء على كلا التاريخين لأنه من الصعب تجاهلها فهي نص تاريخي يؤرخ للمنطقة ، كوثيقة الشريف عنان وقد مرت .

وزعم بعضهم أنها : ألف وثنين ومائة وتسعين وهذا غريب !.

المطلب الثاني : التحليل التاريخي للوثيقة .

حدود ديار قبيلة زبيد مرت بعدة مراحل عبر التاريخ .

١- المرحلة الأولى (مرحلة النزول) و هي غير واضحة المعالم لسيطرة قريش على عامة مخاليف الحجاز إلا أنه يمكن استنتاجها فيما بين الجار و الجحفة .

٢- المرحلة الثانية (مرحلة الإقطاع) وهي المرحلة التي ظهر فيها دورهم السياسي و الأمني بالمنطقة ولعلها بدأت بعد اندثار الجحفة و جلاء الجعفريين عنها أو هجرتهم ، وقد تحدث عنها مؤرخو مصر كابن فضل الله والقلقشندي ووصفوها فيما بين الصفراء والجحفة .

٣- المرحلة الثالثة (مرحلة التوسع والنفوذ) وهي مدة حكم قبيلة زبيد اليمن لخليص كما تقدم في خبر الجزيري والتي كان نفوذهم بها كالتالي : من ينبع إلى مستورة تقريبا في درك زبيد الشام و من مستورة إلى الجموم في درك زبيد اليمن .

٤- المرحلة الرابعة (مشيخة ابن عسم) وهي المذكورة في الوثيقة وحدودها كالتالي : من ينبع إلى مستورة تقريبا عند زبيد الشام و من مستورة إلى عسفان عند (القايدي والعزيري والعسمي) . فاختفى ذكر زبيد اليمن بسبب الجلاء وورثت هذه الأسماء سلطتهم بالمنطقة .

و أما كيف وصلت هذه الأسماء للسلطة على المنطقة ؟

فلا أصدق من موروثهم ومروياتهم التي يتناقلونها كابرا عن كابر في (حرب البنت) والتي سنجلي عنها ما شابها من أساطير ونمحص ما حوته من حقائق ، حتى كأن القارئ يعاينها بإذن الله تعالى وسيكون الكلام عليها في مطلب مستقل كالتالي :



المطلب الثالث : حرب البنت .

وخلاصة تلك المرويات الموروثة لدى هذه القبائل بالاتفاق أن الذروي (العزيري) نزل المنطقة قبل ابن عسم .

وهذا الموروث صحيح لا يطعن فيه إلا ظالم لنفسه ، و يبقى السؤال متى ؟ و كيف ؟

وللإجابة على هذه الأسئلة لابد من مقدمة تكشف تاريخ منطقة الحدث وهي (كلية و قديد) منطقة سيطرة الذروي (العزيري) التي سبقت نزول الشيخ ابن عسم .

نبذة مختصرة عن تاريخ قديد و كُليّة .

كانت قديد من ديار بني كعب من خزاعة رهط أم معبد والنسبة إليهم الكعبي واستمر وجودهم به إلى القرن الرابع الهجري ، و لا يبعد إلى القرن الخامس أيضا إلا أن الأول مؤكد بالنصوص في بحث لي قديم سينشر إن شاء الله تعالى .

و أما كلية فالصحيح أنها من ديار كنانة و لبني ضمرة منهم خاصة ، و كلية هي آبار الماء التي بالخبت سمي الوادي بها هكذا ذكره عرام السلمي في رسالته ، وقد اختفى ذكرهم مع خزاعة تقريبا .

والراجح عندي أن القبيلتين هاجرتا من الحجاز في عام القحط الذي أرخته في تاريخ أمج فليراجع .

ثم سيطرت على المنطقة كلها (قديد و كلية) قبيلة بني سليم كما أرخه ابن فضل الله و القلقشندي و الجزيري وقد مر .

واستمرت سيطرة قبيلة سليم إلى سنة ٨٨٠هـ تقريبا حيث نحيت عن حكم المنطقة واقطعت لقبيلة زبيد اليمن من حرب .

واستمرت سيطرة قبيلة زبيد اليمن من حرب على حكم المنطقة قرابة مائة عام ثم أجليت لليمن كما أرخه الجزيري والنهروالي وقد مر .

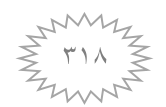
وفي مدة حكم قبيلة سليم للمنطقة خربت آبار كلية وجفت وطمرت كما أرخه القلقشندي حيث قال : وادي كليّة ، بضم الكاف وفتح اللام وتشديد الياء المثناة تحت المفتوحة وهاء في الآخر وهو واد بالقرب من خليص به نحو سبعة أنهر على كل نهر قرية ، وكان بيد سليم ، وقد خرب من مدّة قريبة بعد الثمانين والسبعمائة .

ومعنى قوله خرب أي أصبح خرابا بلا سكان لذلك ليس له أخبار في تلك المدة و لم يذكره الجزيري في منازل الطريق .

ثم في سنة ٩٦٠هـ تبرع ملك الهند بإصلاح آبار كلية كما تقدم واستمر نفوذ قبيلة زبيد اليمن عليها إلى تاريخ الإجلاء سنة ٩٧٦هـ .

فورث الذروي (العزيري) هذه المنطقة بعد ذلك وكانت سلطته عليها ليست مستقلة و إنما تابعة لقبيلة سليم .

وسببه أن المنطقة بعد إجلاء قبيلة زبيد اليمن من حرب أصبحت ضعيفة وبها فراغ إداري و أمني كبير وهي من أخطر المنازل على طريق الحاج ، فإهمالها يؤثر على سمعة إمرة مكة خاصة وأن تلك المدة مزامنة لأقوى سلطة على امتداد التاريخ العثماني وهو سلطة السلطان سليمان القانوني .



فأصبح الذروي (العزيري) يؤدي الزكاة للدولة ممثلة في حاكمها على المنطقة وهي قبيلة سليم ، والزكاة في تلك المدة لا تخرج عن كونها من بهيمة الأنعام أو خارج الزروع والثمار وهذا معنى قول الرواة أن الذروي (العزيري) كان يؤدي لقبيلة سليم شاة رسما .

فتفسيرها بغير هذا المعنى فيه سذاجة ينبغي للقائلين به الترفع عنه .

ولا أستطيع الجزم بمن أقطعهم هذه المنطقة من أمراء مكة ولكن لعله الشريف حسن بن أبي نمي .

فقد كان شجاعا حازما فاتكا شارك والده أبا نمي الحكم بعد وفاة أخيه الشريف أحمد سنة ٩٦١هـ ، فتقلد حماية الحرمين الشريفين وجدة المعمورة وينبع وخيبر وحلي وجميع ما شمله الأقطار الحجازية وذلك من خيبر إلى أطراف حلي وأعمال جازان طولا ومن أعمال الينبع المبارك إلى حجاز ثقيف و ما اتصل به من أرض نجد عرضا هكذا ذكره العصامي مؤرخ مكة في زمنه (٣٤٠/٤) وللشريف حسن أخبار يطول شرحها منها :

١- أنه في سنة ٩٦٣هـ أوقع بأشراف المدينة الحسينيين وعنزة والظفير وقعة شنيعة مشهورة في كتب التاريخ .

٢- ثم بعدها بمدة يسيرة أجلى زبيد اليمن من خليص وأسكنهم اليمن على الأرجح كما تقدم ، و رتب الذروي (العزيري) على منزلة كلية ونواحيها تحت إمرة قبيلة سليم .

٣- وفي حدود سنة ٩٨٢هـ أوقع (بمضبع!) لما نقضوا العهود وسار إليهم بخمسين ألفا فضرب الرقاب وأخذ الأموال **و رتب فيه من يحفظه من شجعان الرجال** ، هكذا أرخه العصامي .

ولذلك بعد أن سيطر الذروي (العزيري) على منزلة كلية بعد إصلاح آبارها ذكرت كمحطة على الطريق بعد ذلك ، حيث وصفها العياشي في رحلته سنة ١٠٧٢هـ فقال (٣٦٤/١) : ثم ارتحلنا من خليص ومررنا بقديد في الضحى الأعلى ولم يقل الناس ذلك اليوم لأن الهواء فيه بعض رطوبة **ومررنا بالسبيل** الذي هناك قبل العصر وفيه ماء قليل وحوله ناس من الأعراب يبيعون العلف والحبحب والرطب يأتون بكل ذلك من القرية التي بإزاءه وبينه وبينها عدة أميال على يمين القادم من مكة .

وقال (١٣٩/٢) : ونزلنا آخر الليل **عند السبيل** الذي هناك ووجدنا به قهوة وقوما يبيعون العلف .

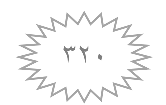
ونص كبريت الحسيني في رحلته سنة ١٠٣٩هـ على أن **السبيل** يسمى كلية حيث قال (ص٢٤٣) : ثم أتينا على دفين وهي كثبان قبيل **السيل من جنة كلية .**

وقوله : السيل من جنة كلية ، صوابه : قبيل السبيل من جهة كلية .

ثم استلم الشيخ ابن عسم إمارة خليص فنحيت قبيلة سليم مرة أخرى عن المنطقة و أصبحت (كلية) تابعة له ، فهذا هو التحليل الذي أميل إليه لما يسمى بحرب البنت ، وتخليص الذروي من الشاة التي يدفعها لقبيلة سليم .

وأما قول البلادي أن قبيلة حرب كانت تدفع الشاة لسليم في دوران فهذا خطأ فادح ووهم فاحش ، حيث كان ينبغي عليه أن يلتزم بمن ورد في الرواية ولا يعمم ذلك على قبيلة حرب .

بل إن الرواة يقولون أن قبيلة حرب هي من خلصه من الشاة فكيف تدفعها إذن ؟!



وأما تاريخ إقطاع الشيخ ابن عسم إمرة خليص فالراجح والذي أميل إليه حتى تاريخ كتابة هذا البحث فإنه مع تاريخ تدوين هذه الوثيقة أي سنة ١٠٩٢هـ ، إن ظهرت صحته .

لأنه لا بد من دواع وأسباب لكتابة كل وثيقة تدون عبر التاريخ ، فالوثيقة تحدد أمرين :

١- تقرير مندوبي الإمارات المجاورة لحدود سلطة الشيخ ابن عسم على تلك الحدود ورضاهم بمضمونها .

٢- التقسيم الداخلي لحدود سلطته وتقرير المسؤولية بها .

وأما إن لم تظهر صحة ذلك التاريخ لتدوينها فهو قبلها بيسير لأن رواة قبيلة الصحاف من زبيد اليمن من حرب يذكرون في موروثهم أن الشيخ ابن عسم كان يدفع الشاة لسليم فخلصوه منها كما سيأتي .

وأما الإجابة على السؤال كيف ؟ فهو كالتالي :

ثبت بالأدلة المحكمة القطعية الدلالة السابقة أنه لا توجد سلطة في الحجاز إلا بتعيين من الدولة المسيطرة مباشرة أو من طريق نوابها وعمالها و ولاتها .

وأما تصوير الحجاز بغير هذا الواقع يعرض صاحبه للتغليط والاستدراك كما هو شائع في كتب المعاصرين .

وبناء على تلك المقدمة و مقدمة إجلاء قبيلة (زبيد اليمن) سنة ٩٦٧هـ الآنف الذكر ، وموروث تلك القبائل والمشهور والمستفيض لدى رواتها ، فإن إمرة الشيخ ابن عسم ومشيخته كانت بتعيين من دولة أشراف الحجاز في القرن الحادي عشر الهجري أي بعد عام (١٠٠٠هـ) .

فإن صح أن تاريخ الوثيقة ١٠٩٢هـ كما ذكر الشيخ عبدالخالق بن إبراهيم العسمي فإن التعيين صاحَب هذا التاريخ ، ثم قام الشيخ ابن عسم بتقرير المراكز الإدارية المجاورة له على حدود سلطته وفي نفس الوقت عمل على توزيعها من الداخل .

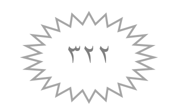
وكذلك ينبغي أن يُعلم أنه لا يمتنع تعيينه قبل ذلك بمدة يسيرة ويبقى تحديد ذلك محلا للنظر والاجتهاد مالم يُظفر بنص أو وثيقة تقرب هذا أو تنص عليه .

وأما إن كان تاريخ الوثيقة ١١٩٢هـ كما ذكر البلادي وغيره من المعاصرين فإن ذلك لا يبطل تلك النتيجة لأنها نتيجة صحيحة بإذن الله تعالى وقد قامت على مقدمات سليمة .

ويبقى تعيين دوافع وأسباب كتابة تلك الوثيقة في ذلك التاريخ محلا للاجتهاد والنظر حتى يقطع أو يترجح ما يبين ذلك .

وقد يكون ولا أجزم بذلك أن سبب تعيين الشيخ ابن عسم على إمارة خليص هو الصراع الذي حصل بين الأشراف ذوي حسن بن أبي نمي وخاصة ذوي زيد بن محسن منهم وبين الأشراف ذوي بركات بن أبي نمي في عهد الشريف بركات بن محمد بن إبراهيم بن بركات بن أبي نمي الذي ولي الحجاز بعد تنحية الشريف سعد بن زيد في المدة الأولى من حكمه سنة ١٠٨٣هـ .

وقد مر من أخباره (أي سعد بن زيد) و نزوله على الشيخ أحمد بن رحمة بن مضيان الظاهري الحربي و توريطه في هذا الصراع الذي كاد أن يذهب بمنصبه ، ثم نزوله على بني عمرو من حرب بالفرع ، ومحاربة الشريف لهم ، ثم ارتفاعه لقبائل



مسروح بالنقيع فلم تفلح جل محاولاته بإسقاط الشريف بركات لما يتمتع به من ولاء غالب الأشراف له في تلك المدة ومشائخ الحرم ونواب العثمانيين .

فرأى الشريف بركات أنه لا بد من إضعاف هذه القوى التي يستند إليها الشريف سعد بن زيد في الحجاز حتى لا يعيد الكرة ويتمكن من إحداث البلبلة فيظهر ضعفه أمام السلطة العثمانية فتنحيه .

فعمد إلى إضعاف سلطة الشيخ أحمد بن رحمة بن مضيان الظاهري الذي ذكر العصامي أنه كان شيخ قبيلة حرب كافة حيث قال في كتابه سمط النجوم (٥١٦/٤) في حوادث سنة ١٠٨٠هـ : وفي اليوم السابع والعشرين من رجب المذكور آخر النهار وقع بين عسكر المدينة وبين العرب قتال ..... إلى أن قال : وهؤلاء العرب من قبيلة تعرف بحرب ولم نعلم حرب هذا جدهم لمن ينسب وإلى أي جيل يحسب وهم جمع كبير يشتمل على قريب من خمسين فخذا كل فخذ يشتمل على جماعة لهم جد خاص وعليهم الدرك في حفظ الطريق من عسفان إلى المدينة الشريفة **والشيخ الذي جماعهم عليه وانتماؤهم إليه كان يسمى أحمد بن رحمة** أفاض الله عليه الرحمة .

فهذ نص صريح بأن الشيخ أحمد بن رحمة بن مضيان الظاهري **كان** شيخا لكافة قبائل حرب .

وقوله : كان يسمى ، لأنه استدرك الخبر بعد وفاة الشيخ أحمد بن رحمة فقد كان العصامي يتعاهد كتابه بالتنقيح والإضافة وهذا من جملته وقد ذكر خبره معاصرة في غزو الشريف بركات لهم بالصفراء سنة ١٠٨٤هـ كما مر .

وهذا فيه إشارة إلى ضعف سلطة المضايين بعد الشيخ أحمد بن رحمة ، وهذه المشيخة (لقبيلة حرب كافة) ينبغي التوقف فيها عند النص فلا تنسحب لما قبل الشيخ أحمد بن رحمة ولا لمن بعده ، ولعله تبوأها لنفوذه وعلاقته القوية بالشريف سعد بن زيد .

وبتعيين الشيخ ابن عسم على إمارة خليص و مشيخة حرب فيما بعد أصبحت هناك قوى أخرى توازي نفوذ ابن مضيان وتقف على الحياد فيما يجري بين أمراء مكة والحجاز عند التنازع وتقف في صف المتولي فقط دون الدخول في الصراعات لذلك بقيت سلطته على خليص مستقرة حتى دخول الملك عبدالعزيز الحجاز ولم يرد من أخبار خليص في عهده أي خبر يدل على دخوله في الصراع بين أمراء مكة .

وأقدم خبر يمكن أن يستدل به على بداية مشيخة ابن عسم لقبيلة حرب هو وثيقة إقطاع الشيخ رومي بن نافع العسمي للزنابقة من زبيد اليمن من حرب ديرة بجنوب رابغ سنة ١١٢٤هـ نقل ألفاظها دون صورتها الباحث سعد بن جبر الجحدلي في كتابه ثول الدعيجية (ص٢٨٢) نقلا عن الشيخ أحمد بن محمد علي الجحدلي وهو ثقة ومعروف رحمه الله .

وهذا لا يمنع أن يكون شيخا لقبيلة حرب قبلها لأن رواة قبيلة الصحاف يذكرون أن ابن عسم شيخ حرب عند نزولهم بوادي غران في بداية القرن الثاني عشر الهجري كما سيأتي تحقيقه ولكن المنهج المتبع هاهنا تقديم النص على الموروث حتى يؤكده .



المطلب الرابع : إشكالات على بعض عبارات الوثيقة .

الإشكال الأول : قوله : عسمية وتوابعه .

قوله : وتوابعه ، يحتمل أمرين :

الاحتمال الأول : في النسب ، أي أن قبائل زبيد اليمن القاطنة في حدود سلطة الشيخ ابن عسم (كوادي غران والدعيجية وذهبان) حلفاء له .

الاحتمال الثاني : توابعه في الإدارة والحكم .

والإجابة على هذه العبارة من وجهين ، وهو مما استدركه على كتابي مدرج عثمان حيث أجبت عنها من وجه واحد .

الوجه الأول :

إن كان تاريخ الوثيقة ١٠٩٢هـ فهذا لا إشكال فيه لأن قبيلة زبيد اليمن في المنفى في تلك المدة (باليمن) جنوب مكة كما نص عليه النهروالي وإنما عادوا واقطعوا وادي غران بعد سنة ١١٠١هـ كما سيأتي .

والكلام هاهنا عن قبيلتي قبيلة الصحاف من زبيد اليمن من حرب فقط ، ولست مخولا بالحديث عن غيرهم .

وعليه يكون معنى : (عسميه و توابعه) أي جماعته ممن يسكن معه بخليص أي (زبيد الشيخ) .

الوجه الثاني :

وأما إن كان تاريخ الوثيقة ١١٩٢هـ فالجواب عليه كالتالي :

هذه الوثيقة أخرجها الشيخ عبدالخالق بن إبراهيم العسمي وهي في حوزته اليوم وقد زودها كل من سأله عنها ، وقبل أن

أجيب عنها في كتابي مدرج عثمان ، زرته في منزله وسألته عن معنى قوله في الوثيقة : عسميه وتوابعه ، هكذا منهجي في البحث .

فقال : **توابعه في الإدارة والمشيخة وليس النسب .**

وسألت الشيخ مرزوق بن نفاع الصحفي كذلك فقال : **لا نعلم تبعية لابن عسم إلا كما نتبع محافظة خليص اليوم**

هذا قول بعض عوارف قبيلة زبيد من حرب و أعرضنا عن غيرهم خشية الإطالة ، والحق أنني لست بحاجة لإيراد أقوالهم لأن هذا المعنى متفق عليه بالإجماع لدى عوارف قبيلة زبيد ولكن لقطع الطريق على المتمحلين (وما أكثرهم اليوم) أوردنا شهاداتهم .

فإن أبى متمحل و ركب صهوة العناد قلنا له : إن الوثائق لا يفسرها إلا وثائق مثلها تكشف معناها أو تبطل مدلولها ومغزاها .

يقول الغازي (ت١٣٦٥) مؤرخ مكة عن مبايعة ابن عسم للسلطان عبدالعزيز في كتابه إفادة الأنام : عهد زبيد وبني عمرو الأشراف : وفي شهر جمادى الثاني سنة ١٣٤٣ قدم من قبيلة زبيد رئيسها والمتقدم فيها صالح بن عبدالله بن عسم ومن بني عمرو الأشراف عبدالله بن ماضي و وارد بن سند **فتهعد الأول ابن عسم بكفالة قومه من قبيلة زبيد المقيمين ضمن الحدود المعروفة قبلة من انقطاع حدود الصحاف صمد المغربي إلى رابغ ومن الشرق من صمد المغربي إلى حدود سليم ومن الغرب البحر .**

فلو كانت (قبيلة الصحاف من زبيد اليمن من حرب) تابعة له في النسب لكانت ضمن حدود ديار ابن عسم في المبايعة

وكذلك لكانت ضمن قبائل زبيد الشيخ التي تعتبر فرعا من قبيلة زبيد اليوم وهذا لا يقول به أحد !.

الإشكال الثاني : لم تذكر الوثيقة قبيلة زبيد اليمن .

هذا الإشكال قد أجبتُ عليه آنفا وذكرت السبب في ذلك وهو إجلاؤهم عام ٩٧٦هـ لليمن جنوب مكة ولكن تقرر تكراره هاهنا لما بُني عليه .

حيث تفرع عن هذا الإشكال إشكالات أخرى منها :

الإشكال الأول :

ذكر بعض المعاصرين أن هذه الوثيقة أي وثيقة تحديد ديار زبيد ، تخص أهلها الأصليين في زمن الشيخ عبدالله بن عسم سنة ١١٩٢هـ .

وهذا غلط وقد بينت أن المعنى من قوله : أهلها أي في زمن كتابة الوثيقة سنة ١٠٩٢هـ ، فهذا قيد ضروري هاهنا ، أما عبارة الأصليين فأظن الكتاب قد أجاب عنها .

وأما إن كان تاريخها ١١٩٢هـ فمعناه : أصحاب السلطة عليها لأن د.مبارك المعبدي وهو أحد القائلين بهذه الجملة أورد وثيقة في كتابه ملامح من تاريخ قبيلة زبيد توضح أهل رابغ في سنة ١٢٣٤هـ وذكر عنوانها فقال : وثيقة إعمار رابغ .

وهو تاريخ مقارب لتاريخ وثيقة الشيخ ابن عسم بناء على القول بأنه ١١٩٢هـ .

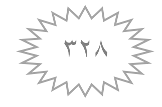
ثم بدا للدكتور مبارك أن يحذف الوثيقة لأن مضمونها يخالف دعوى من زوده بها ، حيث ادعى ذلك الشخص أن رابغا من أملاكهم مستندا على وثيقة الشيخ ابن عسم ، ولكن

نسي أن يحذف ترجمتها بتقدير الله ليبطل دعوى ذلك الشخص .

وثيقة (١٧)

وثيقة عمار وادي رابغ المؤرخة عام (١٢٣٤هـ)

لقد حضر أهل البلد وتراضوا واتفقوا على عمور واديهم وممشى قاديهم على المعمور وما قام عليه عمار رابغ ومقتضاه بنظر أهل البلد وما يوجه الله لهم الهدي عليه بالأمر بالمعروف و النهي عن المنكر والصلاح وعليه حضر السيد هاشم بن محمد ولزم على السادة ومن يتبعهم وحضر بن حامد العصلاني ولزم على العصلان ومن يتبعهم وحضر قاسم بن تزيل الله ولزم على اللهيه ومن يتبعهم وحضر محمد بن صالح ولزم على القوائم ومن يتبعهم وحضر عابد ولزم على الحوازم ومن يتبعهم وحضر ثامر بن مبارك القايدي ولزم على ذوي سعيد ومن يتبعهم وحضر عوض القايدي ولزم على ذوي كمي ومن يتبعهم وحضر عويض بن بريك ولزم على حساوه ومن يتبعهم وحضر راشد بن احمد الغريبي ولزم على الغريبه ومن يتبعهم وحضر عويض الجرفلي ولزم على الجرافيل ومن يتبعهم وحضر احمد الضمدوني ولزم على الضمادنه ومن يتبعهم وحضر مبارك بن عصيلان ولزم على الرواشد ومن يتبعهم وحضر عطية بن ضيف الله ولزم على المستاد ومن يتبعهم حضر محي الدين بن دعيج الشيخ ولزم على الشيوخ ومن يتبعهم حضر عبد المعين بن رويضي ولزم على الجحادلة ومن يتبعهم وحضر سالم العبيدي ولزم على العبدة ومن يتبعهم وحضر أحمد بن دخيله القايدي ولزم على ذوي محمد ومن يتبعهم حضر مسفر بن ضيف الله الجعفري ولزم على الجعافرة ومن يتبعهم حضر على بن محمد ولزم عن بني محمد ومن يتبعهم بأملاء الجميع واتفاق على المعمور المذكور وقد تلازموا الأعراض النقية وتعاهدوا بالله الوثيق على بناء حجرتهم وإيقامتهم في ما فيه صلاح واديهم وممشى قاديهم وإقامتهم فيه على مقام عملهم في العقوم (عقم وليشه - عم الحجاج - عقم مزيقه - عقم الدولة - عقم.....) وجميع ما يكون لأهل البلد فيه منفعه ولا عليهم فيه ضرر من عقوم وارتواه وقد وقفوا المذكورين لقاضي الهجره من أهل البلد وناظرها مستلم سوقه بالهجره وكل هجره ينظر القيم عرضها وطولها واللي ما يوفي الهجره عليه سوقة الضمد بضمدين وساير الوادي والوسم على وفا الهجره ما لم يوفي في هجرته لا يقبل منه بقر ما يقبل منه إلا سلم مثنى والقيمة اللي يرضونها اهل البلد وما يبقها إلا بخله وما .... في السوق في كل هجره مرهونه من ماله في سوقه وكل من لا يورد سوقه ويحاسب على ... لا يجاب ولا ... سوقه في ماله ورفعه على اللزوم بقانون الهجره ولا يبار ويبيع ولا يشتري والخارج عن أهل الهجره ما له مجبور وأهل الوادي دربهم عليه واحد . والقيم الذي .



تابع

يرضونه من اهل ما عليه وساقه ولا قضت بد بسوق والذي يرفع بد عليه ماله عاني
ويتقى فيه الخامس والنظر ساير ... والضعيان يسقونه والمجبور يحضرونه عنه
والمزين للمجبوره بنظر فاتون اهلها ورده للزم عليه الفاتون جرم مثنى وماله
مقطوع عن جايز اهل الوادي ومن حال القشاش في حملين بضمد بقلم فريح وخط
حجري وسايق وكل مند فيها ... ولا زمينه على ولها ومنفاذها على ولها بشهادة من
حضر حسين ابن علي السواكني والزم من اربعه امنا وهم ابن دريويش القتيبصي
وابن حامد الصلاني وابن رويضي الجحدلي وابن معيض القايدي راع الحجره وانا
انتقضوا اهل الوادي ينظر فالحجره الاربعه وما يقلونه يصير والحكم فيه اما لهل
الوادي والزم والنظر اذا صار ما يعقب الا بعد شربه سيل ونصفه وعاقب النظر عاثر
ونفاد منه وكان في قبلاده يجي فيها نظر ينظر في مبقها ان كان فيه خراب على اهل
الوادي حد الحيه ومعطين النظر الامنا .... وعلى هذا وقع الاشهاد بعد اكفاهم
حضر ناسي .. والزم على علي حمايه مافي الحجه حضر عاتق ابن عثمان الحساوي
والزم وجهه على حمايه مافيا الحجه و شد عاتق ابن عطيان العوفي على حمايه
مافي الحجه

هذه ترجمة لوثيقة عمار وادي رابغ عام ١٢٣٤هـ وأصل

فهؤلاء هم أهل رابغ في تلك المدة وقد ذكر النهروالي أن أهل رابغ في زمنه هم ذوو روايا وذوو جماع (حلفاء زبيد اليمن) كما تقدم ، ثم سكنها أصحاب الوثيقة بعد رحيلهم .

وكذلك مر معنا وثيقة إقطاع الشيخ رومي بن نافع العسمي شيخ حرب لقبيلة الزنابقة من زبيد اليمن من حرب سنة ١١٢٤هـ مما يفيد أن قوله عزيرية معناه : إدارتها لأن ما بين رابغ إلى جدة من ديار زبيد اليمن (الزنابقة والجحادلة والجدعان) و أما العزرة فديارهم معروفة بكلية و دوران .

وأما قديد فليس من أملاك العزرة فقط ، فلقبيلة الروايقة من زبيد اليمن من حرب مساحة كبيرة منه وهي معروفة الحدود عند أهل تلك المنطقة ، ثم إذا خرجت من ديار الروايقة فأنت في مدينة ثول من ديار الجحادلة من زبيد اليمن فكل مياه وادي قديد تذهب لمزارعهم فتسقيها .

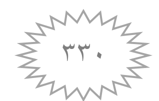
فينبغي على أخي الكاتب أن يلتزم بنص الوثيقة و أن يسأل أهل المعرفة في القبيلة وأن لا يستجب لمبطل و محرف فيضطرنا للرد عليه ، ولولا أغاليط أمثال هؤلاء لما خرجنا ولما علم بنا أحد والله المستعان .

فهل يقبل هذا الكاتب أن يقال له : أهل ديار قبيلة زبيد الأصليون في زمن الجزيري هم زبيد الشام و زبيد اليمن !.

فبماذا سيجيب ؟!

ولعل جوابهم يقودنا للإشكال الثاني وهو :

الإشكال الثاني :



ذكر أحد المعاصرين أن **قبيلة زبيد اليمن** تتكون من :

١- زبيد الشيخ .

٢- العزرة

٣- زبيد اليمانية .

و زعم آخر أن **زبيد اليمن** هي :

١- القايدي .

٢- العزيري .

٣- العسمي .

كما في وثيقة الشيخ ابن عسم ، واستدل بقوله في الوثيقة : من عويرضة و يمن عند ....

ولم يعلم أمثال هذا المتوهم أنه يلزمه بهذه الدعوى تغليط الشيخ ابن عسم وأنه أعرف منه بنسب قبيلة زبيد .

فلو كانت تلك الأسماء هي قبيلة زبيد اليمن فلماذا يفصل بذلك الشكل ؟!

لقال : من الزريب إلى عسفان عند زبيد اليمن !.

ومع هذا سنجيب عليها إبراء للذمة ويكون الجواب عليه كالتالي :

١- وهو أهم الأجوبة ، من قال به من أهل المعرفة في قبيلة زبيد قبلك ؟!.

فإن قال : قال به فلان و فلان فقد جانب الحقيقة !.

وإن قال : لم يقل به أحد .

قلنا : الحمد لله هذا ما نريد إثباته أن القائل هو أنت !.

فالتفريق بين زبيد اليمن و زبيد اليمانية يلزمه أن الكاتب يكتب في غير فنه و أنه يجهل لغة قومه وهذا كاف في إبطال قوله ، و مع ذلك سنناقشه إبراء للذمة .

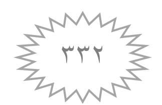
ذكْر القائلين بأن زبيد اليمن هي زبيد اليمانية و أن اللفظين لهجة واحدة في قبيلة زبيد :

١- الشيخ محمد بركة بن إسماعيل الغانمي شيخ حرب وشيخ قبائل زبيد الشام في خطاب أرسله للجحادلة بخصوص شهادته في نسبهم أوردها الباحث سعد الجحدلي في أحد كتبه ثم حذفها وقد أحسن وأجاد في ذلك ، وعندي صورة منها ، حيث ذكر أن الجحادلة من زبيد اليمن .

٢- الشيخ عبدالغالب بن نويهر الغانمي شيخ العزرة في صورة مشجر لقبائل زبيد أرسلها للدكتور مبارك المعبدي ولدي صورتان منها سنرفقها في نهاية المناقشة حيث ذكر قبائل زبيد اليمانية تحت قسم زبيد اليمن .

٣- الشيخ حامد بن صحيفة المزروعي رحمه الله شيخ قبيلة المزاريع حيث سأله الإعلامي حمد الشدادي الحربي في لقاء مصور عن نسبهم فأجابه بأنهم من زبيد اليمن .

٤- الشيخ طلال بن عمرو الجحدلي عمدة حي الرويس بجدة وبحضور جملة من كبار السن وعوارف الجحادلة حيث سألهم الإعلامي حمد الشدادي عن نسبهم فأجابوه أنهم من زبيد اليمن .



٤- الشيخ قميش الزنبقي رحمه الله حيث سألته في منزله فأجابني أنهم من زبيد اليمن .

٥- أ.د عبدالرزاق أبو داوود في كتابه سيرة الشيخ هامل بن عبدالعزيز الجدعاني شيخ شمل الجدعان ، أخذ أنسابهم عنهم فقالوا : من زبيد اليمن .

٦- في كتابي مدرج عثمان وقد أجمع مشائخ القبيلة على الإذن بنشره .

فمن أنت أخي هدانا الله وإياك للصواب حتى يؤخذ بقولك ويطرح قول مشائخ قبيلة زبيد لأجله ؟!!.

وقد تقدم في مطلب شرح عبارات الوثيقة أن الوثيقة تشير إلى أن تلك الأسماء ليست من زبيد اليمن ، لأنها لو كانت كذلك لما احتاج إلى ذلك التفصيل وقد تقدم بأكثر من ذلك فليراجع هناك .

فائدة : تقدم في خبر مبايعة الشيخ ابن عسم للملك عبدالعزيز ذكر (صمد المغربي) كحد بين العسوم والصحاف والصحيح أنه حد إداري فقط وأما حد الديار فهو قريب من طريق الطلعة ومن الشرق جبل (أبو شداد) معروف لدى القبيلتين .

وأما سبب تسميته بصمد المغربي فلأنه كان به سوق قبل الدولة السعودية فقُتل به أحد التجار المغاربة فسمي به على إثر ذلك هكذا رواه لي الشيخ رحيم الصحفي والله أعلم .

المبحث الثاني : تاريخ خليص بعد زمن الوثيقة .

المطلب الأول : رجوع زبيد اليمن إلى ديارهم الأصلية .

تقدم في المباحث السابقة أهم النصوص التي تطرقت للمنطقة في زمن الشريف أبي نمي الثاني ثم ابنه حسن والذي رجحنا أنه أجلى قبيلة زبيد اليمن من حرب إلى اليمن (جنوب مكة) في مدة حكم والده ، إلى أن آل حكم مكة والحجاز للشريف بركات .

وبعد وفاة الشريف بركات بن محمد بن إبراهيم بن بركات بن أبي نمي الثاني سنة ١٠٩٣هـ آل حكم الحجاز لولده الشريف سعيد إلا أنه اضطربت الأمور في مدته فخُلع سنة ١٠٩٥هـ وولي بعده الشريف أحمد بن زيد إلى أن توفي في سنة ١٠٩٩هـ ثم تقرر تعيين ابن أخيه الشريف سعيد بن سعد بن زيد ولكنه خُلع بعد بضعة أشهر من مدته فولي بعده الشريف أحمد بن غالب بن محمد بن مساعد بن مسعود بن حسن بن أبي نمي الثاني .

أخبار الشريف أحمد بن غالب .

وبعد أن ولي مكة الشريف أحمد بن غالب حصلت في مدة حكمه حوادث خطيرة و وقائع كثيرة منها :

في الثاني والعشرين من شهر شوال سنة ١١٠٠هـ جاء إلى مكة خبر مقتل الشريف عبدالله بن أحمد الحارث أمير ينبع وسبب ذلك كما حكاه السنجاري في المنائح (٩١/٥) حيث قال : وفي هذا اليوم ورد الخبر من الشام بوفاة السيد عبدالله الحارث فإنه كان في ينبع فالتقت حرب و صبح ففزع مع صبح على حرب ومعه السيد باز بن هاشم بن عبدالله ، فضرب عبدالله

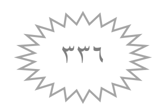
بن أحمد بن الحارث برصاصة وقتلت فرس باز ابن هاشم وقتلت بعض الأشراف الرواجح وحاكم ينبع .

وذكر الطاهر في الدر الفاخر (و.ر٨٧) أن الشريف أحمد بن غالب أقام على ينبع الشريف محمد بن مساعد أميرا بدله وذلك في الرابع عشر من ذي القعدة .

وفي مستهل سنة ١١٠١هـ خرج من مكة الأشراف ذوو زيد مغاضبين لمنافرة وقعت بينهم وبين الشريف أحمد فنزلوا الشام (أي شمال مكة) قال السنجاري في المنائح (٩٥/٥) : ثم جاء الخبر بأنهم اقتصروا على ينبع البحر وأنهم أقاموا هناك ثم إنهم استمالوا العرب هناك ولم يزالوا حتى أنهم نادوا للشريف محسن بن الحسين بن زيد بالصفراء و بدر وتلك النواحي .

وذكر الطاهر تفصيلا أكثر مما ذكره السنجاري نورده بلفظه حيث قال (و.ر٨٧) : وفي أول محرم الحرام عام .. مائة وألف خرجو ذوي عينا و ذو زيد وذوي باز ، و هم السيد مساعد بن سعد و محسن بن حسين وعبدالله بن عمر وحسن بن حمود ... فجملتهم نحو العشرين شريف كلهم جلوية و توجهوا إلى نحو الشام **وتحالفوا** هم وحرب وصبح ان يدهم واحده على كل من نواهم بسوء فتفرقوا في محلات متعددة ، وتحالفوا هم و أهل المدينة ان ما يقع لكم منا خلاف وإننا نأمر حرب انهم يحملوا لكم جميع حبكم فاوصلوا لهم القوافل واحدة بعد واحدة .

وانفرط الأمر على الشريف أحمد بن عالب وكثر الناقمون عليه فخرج في مستهل شهر صفر الأشراف ذوو عبدالله وذوو أحمد أيضا إلى جهة اليمن (أي جنوب مكة) واستولوا على القنفذة وقطعوا السبل .



وفي السابع عشر من صفر استولى الشريف مساعد بن سعد بن زيد على ينبع ونادى به للشريف محسن بن الحسين بن زيد أيضا ، وقد مات الشريف محمد بن مساعد أمير ينبع على إثر مقاتلته لهم بيومين .

ثم خرج الأشراف الحرّث و الشنابرة وجماعة أخرون من الأشراف فنزلوا بقرية عمق على طريق جدة .

واستمر الصراع بين الشريف أحمد و الناقمين عليه من بني عمه إلى أن وصل خليصا .

قال السنجاري في منائحه (٩٩/٥) : **وتفاقم الأمر على مولانا الشريف وجاء الخبر أن خليصا أخذت من حاكمها وورد حاكمها مكة .**

وحاكم خليص في مدة الشريف أحمد بن غالب هو قبيلة سليم والتي تسكن أعلاه ، والدليل على ذلك ما أورده المؤرخ الطاهر في الدر حيث قال (و.ر٨٨) : وفي يوم الاثنين تاسع جمادى الأول جاؤوا سليم إلى مولانا الشريف و هم مطرودين من ديارهم وسبب ذلك أن مولانا الشريف أمرهم بنهبت زبيد فخذ (و) من حرب و هم أهل خليص فركبوا سليم على زبيد ونهبوهم وقتلوا منهم خمسة عشر رجلا والتجار الذي في خليص فسمعوا بقية حرب بما وقع لرفاقتهم فجاؤوا منهم نحو ألف وخمسماية بواردي **ومعهم السيد عبدالله بن عمرو والسيد حسن بن حمود** فلما استحسوا سليم بذلك وعرفوا أن ما لهم قدرة على لقاهم رحلوا من ديارهم و نزلوا على الشريف ، وخيموا من النوارية إلى العمرة ، والناس في غاية من التعب من قطع السبل بسبب مخالفة الأشراف والشريف .

وهذا مما استدركه على كتابي مدرج عثمان حيث أني لم أتمكن من الحصول هذا المخطوط عند الشروع في تأليفه .

وهو نص صريح ومبين لما أجمله المؤرخ السنجاري حينما قال : و ورد حاكمها مكة .

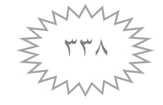
وقد يستغرب بعض الباحثين تولية سليم على خليص ولكن من سبر تاريخ الأشراف ولاة مكة لا يتطرق إليه الاستغراب خاصة وأن قبيلة حرب قد نادت للشريف محسن بن الحسين بن زيد بالصفراء ثم ببدر ثم ساندوا المتغلبين على ينبع .

فلما خشي موافقة أهل خليص لبقية بني عمهم أو ربما أنهم وافقوهم ولى عليهم قبيلة سليم ، فعصوا عليهم ، فسمح بنهبهم .

فلما سمع الثوار من الأشراف و من انضم إليهم من قبيلة حرب بما حصل لأهل خليص جاؤوا لنصرتهم أو ربما للتغلب عليها كما حصل في بقية المخاليف ، ولا يتوهم متوهم أن قبيلة سليم العريقة قد أجليت من ديارها جملة ، فهذا لا يقول به إلا ضعيف البضاعة وإنما الواردون إلى مكة هم من أقطعهم الشريف حكم خليص فقط .

موروث قبيلة الصحاف من زبيد اليمن من حرب .

تقدم في الفصل الثاني من هذا الكتاب بمبحث وادي غران ذكر رجوع قبيلة زبيد اليمن إلى ديارهم الأصلية في مبتدأ القرن الثاني عشر الهجري وذكرنا أن بيان ذلك سيأتي في موضعه ، وها نحن نشرع في بيانه بفضل الله و توفيقه .



يقول رواة قبيلة الصحاف : أن جدهم قَدِم من اليمن فوجد العسمي يدفع الشاة لقبيلة سليم فخلصه منهم ثم عزم على الرجوع إلا أن الشيخ ابن عسم شيخ الحربية أبى عليه الرجوع واقطعه نصف ديرته .

وكما ترى فهي مقاربة لرواية العسوم في بعض التفاصيل وكنت قد توقفت عن نشرها في كتابي مدرج عثمان لأمور :

١- أني لم أتمكن من جمعها من جميع فروع القبيلة للتعجل في إخراجه كما سبق بيانه ، ولكن حينما حصل التحقق باتفاق الرواة من جميع فروع القبيلة تعين نشرها .

٢- أني خشيت التسبب في حرج لما حولنا من القبائل وهو أصل بنيت عليه كتابي مدرج عثمان بأمر من مشائخ القبيلة وفقهم الله خاصة وأن الرواية مشابهة لرواية العسوم كما تقدم ، ولكن حينما تحققت من أن لكلا الروايتين ملابستها المحتفة بها و تقدم إحداهما على الأخرى تعين نشرها .

وكنت قد ذكرت في كتابي مدرج عثمان معقبا على نص النهروالي الذي أرخ جلاء قبيلة زبيد اليمن لليمن جنوب مكة بأني لا أستطيع الجزم بنفيهم لليمن لاشتباه حصل عندي بين النصوص والوثائق والموروث ، فقدمت النصوص والوثاق على الموروث وجعلت المسألة محتملة للمجتهدين فلم أنفي جلاءهم ولم أجزم به في كتابي المشار إليه حتى تتضح الصورة لدي ، فلما استكملتُ المرويات من جميع فروع القبيلة واطلعت على مخطوط المؤرخ الطاهر ومخطوط الجزء الثالث من تاريخ الطبري و سافرت لليمن حيث ديار زبيد اليوم هناك نواحي القنفذة مرارا و تكرارا اكتملت الأدلة واتضحت الصورة و اندفع الاشكال بحمد الله .

فقولهم : **جدنا قدم من اليمن** ، هذه ديباجة جل المواريث القبلية و الصحيح أن خوامس القبلية قد تشكلت في تلك الحقبة و يكفي لبيان ذلك مطالعة وثيقة الشريف أبي نمي المتقدم عرضها .

وأما اليمن في الرواية فالمقصود به جنوب مكة هكذا ذكره الشيخ مصلح بن حميد الصحفي رحمه الله ، إلا أني لم أستطع تحديده بالضبط ، ويبقى تحقيقه مفتوحا للمجتهدين وإن كنت أميل إلى أنه لا يخرج عن حدود ديار زبيد هناك .

قولهم : **فوجد العسمي يدفع الشاة لسليم** ، هي عين عبارة رواية العسوم إلا أنهم يقولون الذروي ، وكلاهما صحيح .

وقد بينا أن الذروي (العزيري) كان يؤدي الزكاة لقبيلة سليم بعد جلاء قبيلة زبيد اليمن ، ثم بعد تعيين الشيخ ابن عسم نحيت قبيلة سليم عن حكم المنطقة ، ثم في عهد الشريف أحمد بن غالب أعادهم لحكم خليص كما أرخه الطاهر وإن كان لم يصرح به تصريحا ظاهرا إلا أنه لا معنى لتسليطه عليهم إلا ذلك .

ثم بعد أن أبعد الشريف أحمد بن غالب عن حكم مكة اقطعت قبيلة الصحاف ديارها اليوم بوادي غران لحماية المنطقة وتقويتها أمنيا ، وقد جاء صريحا في وثيقة الزنابقة من زبيد اليمن التي نشرها الباحث سعد بن جبر الجحدلي والمؤرخة سنة ١١٢٤هـ بأن الشيخ ابن عسم شيخ حرب أوكل لهم حمايتها فلتراجع في الكتاب المشار إليه .

قولهم : **ابن عسم شيخ الحربية** ، يفيد بأنه موجود قبلهم وأنه متقلد لمنصبه في تلك المدة وأن وادي غران من أملاك



العسوم قبل ذلك ، وهذا معنى قول ابن عسم في وثيقته : عسمية وتوابعه .

وقد بينا الجواب على هذه العبارة بالتفصيل فيما سبق وقلنا إن كان تاريخ الوثيقة ١٠٩٢هـ فلا إشكال لأن قبيلة زبيد اليمن لا تزال في المنفى و إن كان تاريخها ١١٩٢هـ فالجواب ما ذكره الشيخ عبدالخالق العسمي و قد مر ، فليراجع هناك .

المطلب الثاني : نسب قبيلة زبيد بوادي قرماء ونواحيه .

الصحيح في نسب أبناء عمنا في وادي قرماء و نواحيه أنهم من قبيلة زبيد الشام وليسوا من زبيد اليمن ، فهذا هو موروث قبيلة زبيد الشام بمستورة و نواحيها ، يقولون : أنهم منهم ، بل إن بعض الرواة يقول : أن للعصلان أملاكا في ديارهم الأصلية وخاصة ابن مرزوق .

ومما يؤكد صحة هذا الموروث تطابق الأسماء فيما بينهم .

وكنت أرى إلى قبيل تبييض هذا الكتاب أنهم من زبيد اليمن وأنهم أجلوا مع قبيلة زبيد اليمن ، ولكن الذي يظهر بحسب موروث قبيلة زبيد الشام أنهم اقطعوا حكم وإدارة ديار زبيد بالمظيلف ونواحيها بعد رجوع قبيلة زبيد اليمن إلى ديارها الأصلية ، والأمر يحتاج إلى مزيد من التحقيق والتثبت فلا استطيع القطع بشيء هاهنا (أعني وقت نزولهم) .

وعليه يظهر وهم الشيخ عاتق البلادي حينما نسبهم إلى زبيد اليمن معتمدا على سكناهم باليمن ، وهو معذور رحمه الله في هذا .

وسواء كانوا من زبيد الشام أو من زبيد اليمن فهم أبناء عمنا بدون شك وتاريخنا وتاريخهم شيء واحد .



المطلب الثالث : الأوضاع السياسية في القرن الثاني عشر .

ثم زاد انحلال أمر الشريف أحمد بن غالب إلى أن خُلع في رجب من السنة المذكورة و وليها بعده الشريف محسن المتقدم ذكره .

ولم يطل الأمر بالشريف محسن بن الحسين بن زيد حتى اختلفت كلمة الأشراف عليه و خرج بعضهم من مكة مغاضبين في أخر سنة ١١٠١هـ .

واستمر طوال هذه السنة في تذبذب وضعف حتى تقرر تنازله للشريف سعيد بن سعد بن زيد في أول سنة ١١٠٣هـ ، والذي حكم مكة إلى أن قدم والده الشريف سعد بن زيد في جمادى الآخرة من نفس السنة فتولى أمر الحجاز جميعه .

وفي جمادى الأولى من سنة ١١٠٤هـ استعد الشريف سعد بن زيد وخرج لقتال قبيلة حرب بالصفراء ونواحيها .

قال السنجاري عن سبب المعركة (١٦٠/٥) : وكان الحامل على هذا الخروج ، مولانا السيد ناصر بن الحارث لأخذ ثأره من حرب البدنة المعروفة .

وهذا الثأر لأجل أخيه عبدالله الحارث أمير ينبع الذي قُتل في معركة مع أهل الصفراء في زمن الشريف أحمد بن غالب كما تقدم .

فلما ولي إمرة مكة الشريف محسن بن الحسين بن زيد لم يستجب لطلب الشريف ناصر بن الحارث في أخذ ثأر أخيه للعلاقة القوية بين ذوي زيد و بني سالم أهل الصفراء .

وما إن استلم الشريف سعد بن زيد زمام الحكم بمكة للمرة الثانية استجاب لطلب الشريف ناصر الحارث بأخذ الثأر

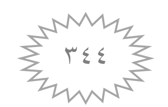
لأخيه ، و تنكر لما كان بينه و بين بني سالم أهل الصفراء فسار إليهم .

ولما دنا منهم أرسل إليه مشائخ بني سالم يعرفونه بما بينهم فلم يلتفت لذلك حيث ذكر السنجاري تفاصيل ذلك فقال (١٦١/٥) : فلما بلغ ذلك حرب أنفت نفوسهم لصدقهم مع مولانا الشريف وقيامهم بخدمة أهل هذا البيت المنيف فجمعوا الجموع وأرسلوا إليه يعذلونه عن هذه النية ويبذلون له الطاعة مع حفظ النفوس و القدس بينهم .

وهذا من أجل النصوص في تاريخ قبيلة حرب لمن تدبره وأخرج مكنونه ، والذي يعنينا هاهنا قوله : القدس الذي بينهم ، وهو ما يؤكد كلامي أعلاه أن الشيخ أحمد بن رحمة بن مضيان كان شيخا لكافة قبائل حرب وذلك بسبب العلاقة القوية بينه و بين أمراء مكة ذوي زيد ، و أما قوله القدس كناية عن الحلف بينهم .

ثم انحسرت مشيخة ابن مضيان على حرب في زمن الشريف بركات بن محمد كما تقدم ، والذي سيرتبط بنو عمه (ذوو بركات) بحلف مع قبيلة زبيد اليمن من حرب كما سيأتي .

وفي رجب من سنة ١١٠٤هـ رجع الشريف سعد بن زيد منكسرا و تقوت حرب كما حكاه السنجاري ورجع إلى رابغ ثم منه إلى خليص ، قال السنجاري (١٦٢/٥) : ثم جاء الخبر بتحول مولانا الشريف ومن معه إلى خليص ، وفي أوائل شعبان ورد عليه قفطان من صاحب مصر فلبسه هناك وفي ليلة الأحد الثاني عشر من شعبان خرج مولانا الشريف إلى لقاء والده بخليص .



وهذا الخبر ظاهر الدلالة بأن السلطة بخليص سلطة محايدة وهو يؤكد ما ذكرناه آنفا و يعضده .

ثم رجع الشريف سعد إلى مكة ليعد العدة لاستئناف القتال مع قبيلة حرب ، و ما إن انقضى موسم الحج نادى منادي الشريف سعد في الأشراف أن لا يخرج منهم أحد إلى أي جهة ثم ذهب إلى جدة وصادر بعض التجار ولعله لينفق على جيشه ثم نزل **بذهبان** ، وفي هذه المدة جاءه أمر باشوي يطلب منه عدم التعرض لحرب و للشيخ بدوي بن أحمد بن رحمة شيخ حرب ولا يقع منه تفريط في هذه البدنة فإنها خدمة السلطنة والتحذير من الوقوع بهم .

فلم يستجب لهذا الأمر وأخذته الحمية الهاشمية إلا والثأر لبني عمه ولو كان من أقرب أعوانه و خواصه .

فكان هذا العصيان منه سبب خلعه في ليلة السبت السابع من ذي الحجة سنة ١١٠٥هـ ثم وليها من بعده الشريف عبدالله بن هاشم بن محمد بن عبدالمطلب بن حسن بن أبي نمي الثاني .

ثم ما لبث أن جمع الشريف سعد و ابنه سعيد جموعا فتغلب على مكة و الحجاز في ربيع الثاني من سنة ١١٠٦هـ .

واستقرت الأمور بعض الشيء في هذه المدة من حكم الشريف سعد بن زيد إلى سنة ١١١٣هـ حيث رفع إلى السلطنة بتركيا يلتمس الموافقة على تنازله لولده بالحكم .

وفي السنة التي تليها أوكل الشريف سعد بن زيد والي الحجاز للشريف عبدالكريم بن محمد بن يعلى بن حمزة بن موسى بن بركات بن أبي نمي الثاني ، رأس أهل الحل والعقد في أشراف الحجاز في زمنه وقائم مقام الشريف بمكة في بعض المدد

أسند إليه حماية طريق جدة وشدد عليه في ذلك حكاه السنجاري في منائحه حيث قال (٢٧٥/٥) : ثم إن مولانا الشريف استدنى السيد عبدالكريم بن محمد بن يعلى شيخ ذوي بركات و دركه بدرب جدة وجعله في وجهه فقبل ذلك وأرسل مولانا السيد عبدالكريم لذوي زيد و ذوي بركات الذين بالوادي وأكد عليهم في حفظ الدرب وقال لهم : متى أونستم أحد من السادة الأشراف الجلوية حولكم أو قريبا منكم فأسرعوا في تعريفنا بذلك و دبرهم على شيء يعرفونه .

وهذه المهمة هي أحد أسباب الحلف بين قبيلة ذوي بركات وقبيلة زبيد اليمن من حرب كما سيأتي ، فقبيلة الأشراف ذوي بركات أحد أعمدة السلطة بالحجاز ، فهم إما ولاة أو مشاركون فيها ، فلا بد لهم من أعوان في السلطة و عسكر لتنفيذ أحكام الدولة وتأديب خصومها و غير ذلك من المهام .

وفي نفس السنة توفي شيخ حرب الشيخ بدوي بن أحمد بن رحمة بن مضيان الظاهري الحربي فأقام الشريف سعد بن زيد أخاه الشيخ مبارك مقامه .

والراجح أن مشيخة بدوي و من بعده انحسرت وليست كمشيخة والده رحمهم الله تعالى .

ثم في آخر السنة جاءت الموافقة من السلطنة العثمانية على التنازل للشريف سعيد بن سعد بن زيد ، إلا أنه لم يكن بالدرجة التي اتصف بها والده من الحنكة والدهاء و الهيبة لدى الأشراف ، لذلك اختلفوا عليه و خلعوه .

وكان السبب الأكبر في ذلك منعه لمخصصاتهم كما حكاه السنجاري في دعوى خصومه بالمحكمة حيث قال (٢٩٦/٥) : فادعى السيد عبدالله بموجب وكالته عن جماعته على



مولانا الشريف بأنه منعهم من حقوقهم **من مداخل البلد ومخاليفها** ، لم يعطهم ما يستحقونه واختص بكل ذلك دونهم ، وهم شركاؤه فيه ، وقد قضت قواعدهم على ذلك من زمن الشريف قتادة بذلك وأن لا يعاملونه إلا على ذلك فإن ذلك قوام معاشهم .

ثم وليها الشريف عبدالمحسن بن أحمد بن زيد تسعة أيام فقط وتنازل عنها لكبير الأشراف وأحقهم بها بإجماعهم الشريف عبدالكريم بن محمد بن يعلى البركاتي في العشرين من ربيع الآخر سنة ١١١٦هـ .

ومنذ أن ولي الشريف عبدالكريم الحجاز اشتعل فتيل الملاحم وانقسم مناوؤه إلى فريقين ، أحدهم بقيادة الشريف سعيد بن سعد و الآخر بقيادة والده الشريف سعد بن زيد فخرج الشريف سعيد إلى الشيخ مبارك بن أحمد بن رحمة بن مضيان الظاهري شيخ حرب يطلبه الإعانة على استرجاع حكم الحجاز حيث قال السنجاري (٣٢٦/٥) : وهذا وما كان من الشريف سعيد فإنه توجه إلى المدينة فنزل على مبارك بن رحمة شيخ عرب حرب وشكى عليه ما فعل بنو عمه به واستنجد به فأبى وقال : **أنا خادم السلطنة ولا أعصي أمر السلطان .**

ويلاحظ أنه لم يذهب لخليص حيث الشيخ ابن عسم ولعله لعلمه باتفاق جوابه مع ابن مضيان ، لأن هذا الجواب جواب المحايد في الصراع بين الأشراف وليس من عادة ابن مضيان الحياد فيه ولكن سبب تركه لنصرته ظاهر لأن والده الشريف سعد بن زيد قطع الحلف الذي بينهم بغزوه لهم كما تقدم .

ثم ذهب الشريف سعيد لينبع فنصره بنو إبراهيم وجهينة وأعانوه حتى تغلب عليها لكن الشريف عبدالكريم أخرجه

منها بمعاونة الشيخ ابن مضيان و الشيخ ابن زيادة البلادي شيخ بني عمرو و أمير الفرع .

وأما الشريف سعد بن زيد فإنه دخل مكة بأتباع فانكسر ثم ارتحل لليمن ليستجمع قواه لإعادة الكرة .

ثم انكسر مرة أخرى ثم كر ثالثة فأصيب فيها فمات واستتب للشريف عبدالكريم بن محمد بن يعلى البركاتي الأمر بعد ذلك بعض الشيء .

ثم في آخر السنة المذكورة وقعت مؤامرة عليه من قبل بعض عمال العثمانيين فولوا الشريف سعيد بن سعد بن زيد فلم يسلم لهم الشريف عبدالكريم وإنما ارتفع إلى بعد انقضاء موسم الحج .

وفي مستهل سنة ١١١٧هـ تدخل كبار الأشراف بالصلح بين الشريفين إلى أن يأتي مرسوم السلطنة العثمانية بمن يلي الحجاز منهما فتم ذلك .

قال السنجاري عن ذلك الصلح (٣٧٣/٥) : ثم رجعوا إلى الشريف سعيد وأخبروه بذلك فقبل ذلك ثم قال : مروه فليرتحل عن محله لتعلم الناس من البادية والأتراك أننا اصطلحنا ، فضمنوا له ذلك وكفل جماعة هذا وجماعة هذا وبعثوا إلى الشريف عبدالكريم بذلك فارتحل من محله إلى محل يقال له : شعثاء قريبا من جدة .

وقد اطلعت على وثيقة في معجم العنقاوي (ص٩٨٢) تفيد تملك ذوي بركات لعين شعثاء قبل عام ١٢٤١هـ .

وذكر الطبري في الإتحاف أنه نزل بخليص ولا تعارض بينهما لأن شعثاء من عمل خليص في تلك المدة .



ثم بعد هذا الصلح بمدة صدر المرسوم العثماني بتولية الشريف عبدالكريم البركاتي على الحجاز في شهر رجب من السنة المذكورة .

واستتب للشريف عبدالكريم بن يعلى البركاتي حكم الحجاز إلى سنة ١١٢٣هـ حيث تسببت قبيلة حرب بعزله بعد أن كانت سبب وصوله للحكم والخبر في ذلك يطول ليس لنا حاجة في ذكره هاهنا .

ثم وليها الشريف سعيد بن سعد بن زيد مرة أخرى فلما انقضى موسم الحج واستهلت سنة ١١٢٤هـ خشي الشريف سعيد من إغارة الشريف عبدالكريم والتغلب على مكة فنزل بخليص يتربص به ، واستمر به إلى شهر شعبان .

وفي هذه السنة أقطع الشيخ رومي بن نافع العسمي شيخ حرب وقايد عشيرتها قبيلة الزنابقة من زبيد اليمن من حرب ديارهم المعروفة فيما بين رابغ و القضيمة كما مر معنا خبر ذلك آنفا فليراجع هناك .

وفي سنة ١١٢٩هـ توفي الشريف سعيد فولي مكة بعده ابنه الشريف عبدالله ثم أخوه علي ثم خلعه الأشراف فولي بعدهما الشريف يحي بن بركات البركاتي ولايته الأولى ولم يدم فيها طويلا حيث خلعه الأشراف سنة ١١٣٢هـ و ولى بعده الشريف مبارك بن أحمد بن زيد .

وفي مدة حكم الشريف مبارك ذكر الطبري في إتحافه (و.ر ٤٤) أن الشيخ مبارك بن مضيان الظاهري شيخ حرب المتقدم ذكره عمي و مرض على إثر ذلك وتوفي مكفوفا رحمه الله في سنة ١١٣٤هـ و ولي بعده ابن عمه رومي شيخا عليهم .

و يظهر أنه لم يدم طويلا في المشيخة لأنه ذكر في (و.ر ١٠٤) في حوادث سنة ١١٣٩هـ أن شيخ حرب هو الشيخ سعد بن بدوي ولعله الذي ذكر في وثيقة تحديد ديار زبيد حيث كان من أعيانهم في تلك المدة وحضر كمندوب عنهم .

وللشيخ سعد هذا ذكر في ديوان البيتي أيضا فانظره .

وفي نفس العام الذي توفي فيه الشيخ مبارك بن مضيان عُزل الشريف مبارك و ولي بعده الشريف يحي بن بركات مرة أخرى و بعد سنة من حكمه تنازل لابنه بركات إلا أن ذوي زيد لم يمكنوه و تغلبوا على مكة فحكم مكة الشريف عبدالله بن سعيد بن سعد بن زيد واستمر فيها إلى أن توفي رحمه الله سنة ١١٤٣هـ .

وذكر الطبري في الإتحاف (و.ر ٣/٧٦) أنه في مدة حكم الشريف عبدالله أخذت من طريق جدة بضاعة فأرسل عسكره للشريف محمد بن عبدالكريم البركاتي لأن الطريق في وجهه ، وذكر في (و.ر ٣/٧٨) أنه عقيد ذوي بركات .

وهذا المنصب هو عينه منصب والده قبل أن يتولى إمرة مكة كما تقدم .

ثم ولي مكة ابنه الشريف محمد بن عبدالله بن سعيد بن سعد بن زيد فنازعه عمه الشريف مسعود بن سعيد مدة إلى أن تغلب على مكة في سنة ١١٤٦هـ واستمر فيها إلى وفاته سنة ١١٦٥هـ .

وفي مدة حكم الشريف مسعود توفي الشيخ منصور بن مضيان الظاهري شيخ حرب ، قال الموسوي في تنضيد العقود السنية (٤٢٢/٢) : وفي هذه السنة (أي ١١٦١هـ) توفي شيخ بني حرب الساكنين بين الحرمين الشريفين الشيخ



منصور بن بدوي **الذي أقامه صاحب الترجمة الشريف مسعود شيخا عليهم بعد موت شيخهم الأول الشيخ سعد بن بدوي** وصارت تلك الغارة الواقعة بين منصور و بين عيد بن سعد بن بدوي و هزاع بن مبارك ، و أصرف مولانا الشريف فيها أمولا عظيمة على نصرة منصور وإضعاف عيد و هزاع بتجهيز العساكر و الخيل ولم يزل حتى استقام أمر منصور واستقلت مشيخته وضعف هزاع و عيد وكل ذلك قد سبق شرحه مفصلا سنة ١١٥٦هـ ، غير أنه في أثناء هذه السنة لم يزل عيد و هزاع يسلكان مسالك الخضوع ، و يظهران إمارات الرجوع ، و يبذلان الهمة العلية في خدم شريف مكة البهية فلما هلك منصور من بالمشيخة على عيد و أسعفه بالملبوس الجديد و أجراه على قواعده و قوانينه و ألزمه الخدم الواجبة عليه فقام بها أحسن قيام وانتظمت مشيخته أكمل انتظام .

وفي سنة ١١٦٥هـ توفي الشريف مسعود فولي مكة أخوه الشريف مساعد بن سعيد بن سعد بن زيد ، وفي أواخر مدة حكمه وتحديدا في سنة ١١٨٢هـ حصل خلاف بين الشريف مساعد والشريف أحمد بن عبدالكريم البركاتي فاجتمع رأي ذوي بركات على خلع الشريف مساعد و تولية الشريف عبدالله بن حسين بن يحي بن بركات البركاتي كما سيأتي .

وفي مبتدأ سنة ١١٨٤هـ توفي الشريف مساعد فولي بعده أخوه الشريف أحمد ، وبعد مدة قصيرة استعان الشريف عبدالله بن حسين البركاتي بوالي مصر فأرسل معه تجريدة لتمكينه من حكم مكة و نفي ذوي زيد عنها ، هكذا ذكره ابن عبدالشكور في تاريخه (و.ر ٣٨) .

وكان الشريف عبدالله بن حسين قبلها قد جمع جموعا من العرب و العساكر للتغلب على مكة ولكنه لم يتمكن من ذلك لكثرة أتباع الشريف مساعد قبل وفاته .

فولي مكة الشريف عبدالله بن حسين في ربيع أول من تلك السنة بمساندة تلك التجريدة .

ولا شك أن أفعال تلك التجريدة أوغرت صدور ذوي زيد على ذوي بركات .

ولم يدم الأمر للشريف عبدالله بن حسين سوى بضعة أشهر حتى جمع الشريف أحمد بن سعيد له فتغلب على مكة في جمادى الآخر من نفس السنة .

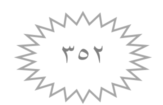
فما إن وليها حتى أمر بحرق دار ذوي بركات بمكة والتي كانوا يباشرون الحكم بها .

ثم بعد مدة يسيرة خرج الشريف سرور بن مساعد بن سعيد بن سعد بن زيد مغاضبا فجمع وحشد وتغلب على مكة وأخرج عمه في أواخر سنة ١١٨٦هـ .

إلا أن عمه لم يستسلم لذلك فحصل بينهما كر و فر كثير مدون في تواريخ مكة ، وقد أسفر هذا النزاع بينهما عن انقطاع السبل و غلاء الأسعار وانعدام الأمن .

قال المؤرخ دحلان في الخلاصة (ص٢٨٢) : وفي سنة سبعة وثمانين خرج كثير من الأشراف منافرين لمولانا الشريف سرور وتفرقوا في كل الجهات ومنعوا السبل وقطعوا الطرقات .

والباعث على ذلك هو تقصيره في دفع مخصصاتهم ومستحقاتهم كما مر .



فيضطرون إلى مثل هذه الأعمال لإجباره على دفعها أو لخلعه إن لم يرضخ لهم .

وفي مثل هذه الظروف يلجأ الأشراف للحشد وتكثير الأتباع للاستعانة بهم في دخول مكة أو لدفع سطوة المتغلب عند انكسار الثوار .

وكان من أولئك الأشراف الذين خرجوا منافرين للشريف سرور بن مساعد ذوو بركات أهل الوادي (الجموم) .

حيث تفيد الوثيقة المؤرخة في سنة ١١٨٧هـ أنهم تحالفوا مع قبائل (زبيد اليمن) من حرب بعد رجوعهم لديارهم الأصلية ، وهم حلفاؤهم منذ القدم ، وهو حلف متكافئ الأطراف لأن الأشراف ذوي بركات بحاجة للحشد والكثرة وقبائل زبيد اليمن بحاجة للتنفذ داخل الدولة و دفع غوائلها عند السطوة .

نص الوثيقة : أقول وأنا أبو نمي بن بركات إني قد تعاملت أنا وزبيد على المال والحال كل عمال مليح و صحيح أنا يا بو نمي قايل على ذوي يعلا ابن أحمد و عبدالله بن شبير وتابعهم ... وعهدهم الذي منهم مال و حال ...يمشي دربهم ... غيره المعترف بي وإن ديرة زبيد ديرتنا وديرتنا ديرتهم و تابعهم الذي معهم إن كان نزالة وإلا رواده لاننكرهم فيه ولا ينكروننا في ديرتهم كذلك وإننا إذا جانا مالهم وعرفناه مع القوم علينا الإجتهاد فيه والفزع به في بقية الديره الذي ماهي مخصوصة بنا والذي مخصوصة بنا مايشمي القوماني عليهم فيها لا غازي ولا كاسب وإن جانا كاسب فكينا من مال عملانا ما يمشي به في ديرتنا المخصوصة بنا ولا ينزل فيها إذا أنكرنا منه وإننا العملا الصحيحين المليحين نجلب الخير عهدنا لعملانا وندفع الشر عهدنا عنهم وإن **جراير الملوك** الذي نخاف منها

إن جاة أحدينا فحنا يد واحده عليها... بطاقته وإن القول على رجال زبيد اليمانية للصحفي ولاه من زبيد و الصبحي ولاه المزروعي ولاه والرايقي ولاه و الجحدلي ولاه والجدعاني ولاه والزنبقي ولاه والقاضي ولاه ووجه سليمان بن خضير على الصحاف ...إلخ .

ولا أدل على تنفذ قبيلة زبيد اليمن في دولة الأشراف من قصة الشريف أبي ملوخية البركاتي مع الشريف حسين حينما سجنه في أمر ما لم أتمكن من معرفته حيث أن الرواة لم يحفظوه .

وكنت قد أعرضت عن ذكرها في كتابي مدرج عثمان خشية الحرج لولده من هذا اللقب ، ولكن لما طالعت معجم الشريف العنقاوي (ص٥٨٣) ووجدته أثبت هذا اللقب له ولبعض عقبه ارتفع الحرج و بحمد الله فتقرر ذكرها حفظا للتاريخ ومروياته .

حدثني أبي و غيره من رواة قبيلة الصحاف من زبيد اليمن من حرب : أن الشريف حسين بن علي سجن الشريف البركاتي (يقال له : أبو ملوخية) في أمر ما ، فسَمِعَتْ قبيلة الصحاف بهذا الأمر ، فذهب جماعة منهم إلى مكة فصبّحوا سجن الشريف حسين وأخرجوه منه .

فما إن علم الشريف حسين بهذا أرسل في طلبهم وإحضارهم .

وهذا من أدبه رحمه الله و ثقته بهم و معرفته بصدق ولائهم له و للشجرة النموية ، وإلا فإنه كان بإمكانه أن يغزوهم في ديارهم على هذه الجرأة ولكن كما أوضحناه .

فلما جاءه بعض أعيان قبيلة الصحاف و دخلوا مجلس حكمه قال لهم : البلد ليست فوضى تهجمون على السجن وتُخرِجون غريم الدولة !.



فقالوا له :

الشريف لا يُسجن يا شريف حسين !.

وليس معنى هذا أنه فوق القانون كما يظنه بعض قليلي البضاعة والمتطفلون على تراث أهل الحجاز وأعرافهم وإنما أرادوا تنبيهه على القوانين النموية والأعراف الحسنية المرعية عند حدوث مثل هذه القضية !.

فأسقط في يد الشريف حسين ولم يزد على أن صرفهم على الفور ثم أرسل لذوي بركات في ابن عمهم كما هو المتبع في قوانينهم ، فإن كان الحق له أخذوه منه و أسلموه إليه بحسب أعرافهم المتبعة في ذلك منذ القدم .

وقد أشار العلامة مؤرخ مكة زيني دحلان لمثل هذه الواقعة في عهد الشريف عون الرفيق سنة ١٣٠٠هـ حيث قال في الخلاصة (ص٤٢٩) : في شهر رمضان من هذه السنة أعني سنة ثلاثمائة وألف كانت فتنة في أطراف مكة **بخروج بعض العرب من قبائل زبيد و بشر و معبد و سليم** خرجوا في طريق جدة وصاروا ينهبون الحمل الذي يمر بهم وهجم جماعة منهم على جدة في ليلة العاشر من رمضان وحصل من ذلك اضطراب كثير ثم هربوا وكان سيدنا الشريف بالطائف فنزل في أواخر رمضان وجهز جيشا لغزوهم ووصل به إلى عسفان ووقع قتال قليل ثم وقع الصلح وجاءوا طائعين وسكنت الفتنة وأمنت الطرق وسلكت ، واعتذروا بأن الفاعل لذلك بعض الجهال منهم ، ولم يرض الشيوخ به ، وأن الحامل على ذلك أن الحكماء الذين بمكة وجدة يأخذون الغنم التي يجلبونها لمكة ويدفنونها في الأرض لأن فيها أثر الوباء الذي يسمونه بالكليرة وأنه ذهب لهم بذلك أموال كثيرة وأن الأنصاري (الصواب النصارى) الذين بجدة يأخذون

رقيقهم ويطلقونه من أيديهم ويرفعون الرق عنه حتى عصى عليهم عبيدهم ، **وقيل** أن من أسباب ذلك حبس الشريف عبدالله بن زين أحد الأشراف ذوي حسين فإن لما قُبض على الشريف عبدالمطلب قبض عليه وعلى الشريف علي بن سعد السروري وحبسا وطالت مدة حبسهما ويدعي عليهما بدعاوي الله أعلم بصحتها .

تحليل النص :

١- قوله : زبيد ، المقصود بهم هاهنا قبيلة الصحاف من زبيد اليمن من حرب على الأرجح ، لأنهم منذ رجوعهم لديارهم الأصلية في بداية القرن الثاني عشر دخلوا في اتحاد حربي مثلث مع بني عمرو (بشر ومعبد) لاشتراك الديار في الحدود .

وخاضوا عدة وقائع سويا ذكرنا بعضها في كتابنا مدرج عثمان كعدوة فيده و عدوة أم الدبيج ، وقد أشار الشريف العنقاوي إليها عند ترجمته للشريف سعود بن هزاع الحارثي في معجمه (١٥٢٩ص) و ذكر أنه توفي بسببها إلا أنه وهم فقال أنه انتصر فيها والصحيح أنه وقع الصلح بعدها .

يقول الشاعر بسام بن عبدالرزاق الصحفي :

ذخر الرجال اللي بوسق الشدادي

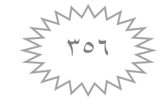
أهل الشجاعة وفرحة الزابنيني

حزام فالوقفات للي ينادي

ويوم المصيح صاح فالاوليني

جوه الرجال اللي تريع المعادي

مانحتجي فالماقف اللي يبيني



فالمحسنية يوم قدح الزنادي

يوم العدو مجهز المعتديني

قفى بجيشه ناو للشرادي

عود وقال الموت للواصليني

ميتين عام عدها بالوكادي

تاريخ يبقى والعرب شاهديني

فقوله : ميتين عام أي على وجه التقريب لأنها موغلة في القدم ، والصحيح أنها في سنة ١٣٣٠هـ .

وقوله : في المحسنية لأن المحسنية قريبة من أم الدبيج جنوبا عنها .

٢- قول الدحلان : وسُليم ، قد استغرب بعض المعاصرين ذكر سليم هاهنا ، وهو معذور في ذلك ، إلا أن كاتب هذه الأسطر يعرفهم جيدا وهم حلفاء للصحاف في تلك المدة وبينهم حلف موثق وهم اليوم ينتسبون لحرب .

٣- قوله : الشريف عبدالله بن زين من ذوي حسين ، أي بركاتي ، فارس شجاع من فرسان ذوي بركات ترجم له الشريف العنقاوي في معجمه (ص٥٢٠) وذكر في الأزهار النادية بعض قصائده التي تسفر عن صحة ما وصفناه به .

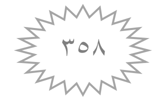
٤- قوله : وقع الصلح ، وهو كما قال ، فحينما أطلق الشريف عبدالله بن زين الحسيني البركاتي من سجنه رجعت القوافل بأحمالها وأمنت الطرق .

٥- وأما واقعة هروب الرقيق و تحريض النصارى (أي القناصل) بجدة لهم على الهروب فقد تفاقم بعد ذلك التاريخ وأسفر عنه مقتل أولئك القناصل سنة ١٣١١هـ كما أوردناه في كتابنا مدرج عثمان إلا أنني لم أعلق على تلك الوثائق وإنما نشرتها هكذا بترجمتها خشية التعويق في فسح الكتاب و ذكرت الرواية الشفهية عند كبار السن حول تلك الواقعة ثم بعد طبع الكتاب نشر المؤرخ المعاصر حسام مكاوي مقالا في جريدة مكة عدد (٧٠٨ السنة٢) بتاريخ (١٤٣٧/٣/١٠) تحدث فيه عن الموضوع وذكر زيادة تفصيل عن دوافع مقتل أولئك القناصل يحسن إيراده حفظا للتاريخ و مروياته .

قال المؤرخ حسام : كما أن كثيرا من الرقيق بدؤوا يهربون من أصحابهم ويسلمون أنفسهم إلى إحدى القنصليات الأوربية في جدة ، ومن ذلك أنه في سنة ١٣٠٩هـ هربت مجموعة من الرقيق من قبيلة الصحاف وسلموا أنفسهم للقنصل الإنجليزي فأرسلهم لقائم مقام والي جدة فأعطاهم أوراقا بالعتق مما تسبب في سوء العلاقة بين الشريف عون الرفيق أمير مكة وبين قبيلة الصحاف .

وهذا الخبر مصدره الوثائق العثمانية التي تحصل عليها المؤرخ حسام مكاوي وقد قصرت في تحصيلها لعدم تمكني ماديا من ذلك ، وكذلك لأن غرضي من تأليف الكتاب لم يكن استقصائيا و إنما لبيان الأوهام التي حصلت في أنسابنا من المعاصرين غفر الله لهم .

وقد ذكر المؤرخ حسام مكاوي في مقاله الآنف أن أصل منشأ هذه الحوادث وقع في عام ١٢٩٦هـ فليراجع .



الفصل السابع :

وقفة أخيرة مع د.مبارك المعبدي .

الفصل السابع : وقفة أخيرة مع د.مبارك المعبدي .

تقدم في الفصول السابقة بعض أوهام د.مبارك رحمه الله وكان بعض تلك الأوهام نتج عن متابعته للشيخ عاتق البلادي ، فرددنا على الأصل و تركنا المقلد له .

ومن ذلك وهمه في تاريخ نزول قبيلة زبيد في خليص و كذلك وهمه في نسب الشيخ مالك بن رومي الزبيدي .

وفي كتابي مدرج عثمان أظهرت فيه وهم د.مبارك في نسبة القايد ملحم بن مفتاح المغربي لقبيلة زبيد ، و غلطه في تقسيم قبيلة زبيد و نسب قبيلة الصحاف .

والأشنع من هذا كله تصرفه في نصوص المؤرخين بالزيادة والتغيير ، وكل هذا مثبت بالأدلة الناصعة فليراجع هناك .

المبحث الأول : طعن د.مبارك في قبيلة زبيد .

للدكتور مبارك المعبدي عدة مؤلفات عن تاريخ المنطقة بحكم سكناه بها ، وكان في تلك الكتب يصف قبيلة زبيد بقوله :

زبيد : فرع من قبيلة حرب التفت حول الشيخ العسمي وتكاملت له بوجودهم مشيخة سادة قبيلة حرب فترة من الزمان .

وقد تكرر هذا التعريف في كتب د.مبارك المعبدي واحدا تلو الآخر منها :

١- مشيخة العسوم (ص٩)

٢- ملامح من تاريخ قبيلة زبيد (ص٦٥)

٣- مقتطفات من تاريخ خليص (ص٢٧)

وهذا التعريف الذي يحفظه د.مبارك المعبدي ويكثر من ترديده في كتبه ، هو تعريف لأحد فروع قبيلة زبيد و هم زبيد خليص (زبيد الشيخ) ، فتوهمه تعريفا لكل القبيلة غفر الله له .

وكنت قد عزمت على الرد على مقالته هذه ولكني وجدت الشيخ البلادي قد سبقني لهذا ، فالمنهج الذي أتبعه وأسير عليه الاعتراف بفضل من سبقني .

يقول البلادي مستدركا على د.مبارك المعبدي هذا التعريف (الميضاح ص٣٠٢) : زبيد : فرع من قبيلة حرب التفت حول الشيخ العسمي ...إلخ أقول : هذا قول مقلوب ولعله يقصد



من يسمون بزبيد الشيخ أما زبيد القبيلة فهي أس من أسس حرب .

ولم يكتف الدكتور مبارك المعبدي عند هذا الخلط في نسب قبيلة زبيد بل وصل به الأمر إلى قول أمر منكر لايمكن السكوت عليه أو البحث له عن مبرر .

يقول الدكتور مبارك المعبدي في كتابه ملامح من تاريخ زبيد (ص١٠١) : وديار زبيد معظمها تقع على سواحل البحر الأحمر فهي أول مكان ينزل فيه الوافد من الدول التي تقع خلف البحر وكانت هجرات القبائل تأتي وتذهب مع هذا البحر لذا أصبحت قبيلة زبيد أكثر القبائل التي تلجأ إليها الوافدين من البحر فتتوالى معهم فتصبح معها بالولاء أي بالحلق ومع الزمن تكون منها بطريقة المصاهرة والتزاوج وهكذا .

أختم هذا المبحث بالاعتذار للقراء الكرام عن التعليق على هذا الكلام لأنه سيذهب بي إلى الوحل الذي وقع فيه الدكتور مبارك المعبدي ، نسأل الله العافية و السلامة .

المبحث الثاني : وهم د.مبارك في تقسيم قبيلة زبيد .

في آخر كتب د.مبارك المعبدي صدورا وهو كتاب ملامح من تاريخ قبيلة زبيد ، توهم فيه تقسيما جديدا لقبيلة زبيد وادعى فيه أن قبيلة زبيد تنقسم إلى قسمين :

كبرى و صغرى !.

الفصل الثالث :

زبيد وأقسامها

أولا: زبيد الشام وتسمى (زبيد الكبرى) وتنقسم إلى عدة فروع :

أ- زبيد العزرة　　ب- زبيد الشيخ

ج – زبيد الشام " زبيد رابغ "　　د- زبيد اليمانية

هـ – زبيد وادي حجر　　و- زبيد الموالي

ثانيا: زبيد اليمن وتسمى (زبيد الصغرى)

أ - زبيد قرماء　　ب- زبيد لومة

ج – زبيد المظيلف

وهذه قصاصة من كتاب ملامح من تاريخ قبيلة زبيد .

فتأمل قوله : زبيد الشام تنقسم إلى زبيد الشام ... إلخ !.

وهذا وهم فاحش عرّض فيه نفسه للتندر غفر الله له .

ويبدو من صنيع د.مبارك المعبدي أن تقسيم قبيلة زبيد كان شغله الشاغل الذي أعياه تحصيله ، فما من كتاب إلا وله فيه رأي ، حتى خرج لنا بهذه الخريطة ، والتي لم يسبق إليها وخالف فيها أقوال عوارف قبيلة زبيد و رواتها الثقات .



ولم يكتف د.مبارك المعبدي بهذا القدر من الغلط والوهم بل ذهب إلى تغيير و تعديل خطابات مشائخ قبيلة زبيد التي أرسلها له بعضهم عند سؤاله لهم عن أنسابهم !.

ومن ذلك تصرفه في مشجرة الشيخ عبدالغالب بن نويهر الغانمي شيخ العزرة من زبيد والتي زوده بها في كتابه ملامح من تاريخ حرب حيث ذكر فيها الشيخ عبدالغالب فروع قبيلة زبيد الرئيسة و منهم : زبيد اليمن .

فقام د.مبارك المعبدي بتعديل الورقة فيما بعد إلى زبيد اليمانية ، وجعل زبيد اليمن هم أبناء عمنا في مركز المظيلف .

وهذا الصنيع غير مبرر و مخالف للأمانة العلمية التي ينبغي أن ينتهجها الكاتب غفر الله له .

وقد حدثني أحد الثقات أن د.مبارك المعبدي رحمه الله كان لا يرد يد لامس لكتبه !.

فتعبث بعض أيدي المقربين منه في مسودات كتبه ، ثم تعود اللائمة عليه ، و ربما عرض نفسه للتهمة ، فإن صح هذا الأمر فهو تساهل منه غفر الله له .

زبيد

زبيد الجنوب
جنوب مكة

زبيد الشام
محافظة رابغ

زبيد العزرة
محافظة خليص
وادي كلية

زبيد الشيخ
محافظة خليص

زبيد اليمن
محافظة خليص
ثول وذهبان

ارباع وأقسام قبائل العزرة بمحافظة خليص

القارسي
الخرماني
الحميري

الجفثمي
الثوري
الشعيبي
المغربي
العدواني
السبعي

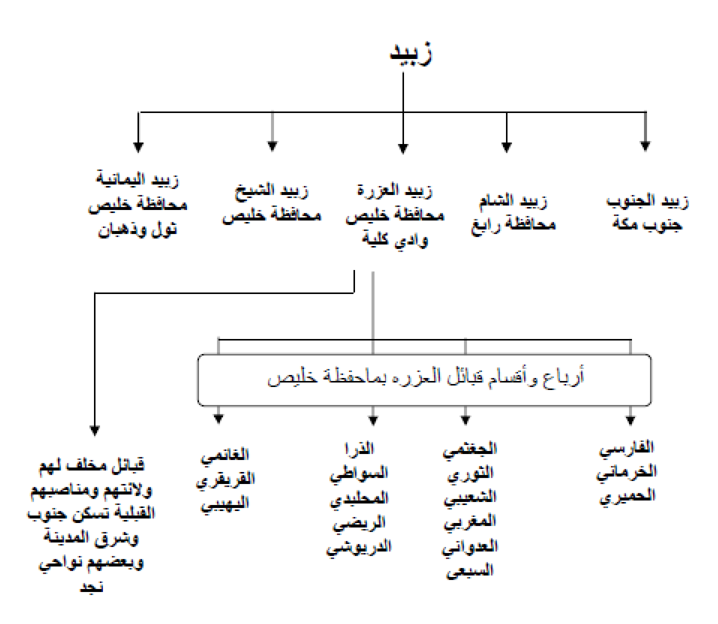
الذرا
السواطي
الملبدي
الريضي
الدريوشي

الغانمي
القريقري
اليهيبي

* الجدول من إعداد الأستاذ عبد الغالب نويهر الغانمي الحربي.

وهذه صورة المشجرة التي أرسلها الشيخ عبدالغالب بن نويهر الغانمي قديما للدكتور مبارك المعبدي ، ويلاحظ أنه لم يجزم بنسب بني عمنا في مركز المظيلف وما حوله ولم يتابع المعاصرين على أقوالهم وإنما قال : زبيد الجنوب . والراجح كما تقدم أنهم من زبيد الشام .





* الجدول من إعداد الأستاذ عبد الغالب نويهر الغانمي الحربي.
* هذا الجدول يوضح فرع العزرة أحد أقسام قبيلة زبيد الحربية.
* الجدول يوافق التقسيم الحالي لقبائل العزرة في خليص وقديد وما حولها: المؤلف.

وهذه صورة المشجرة بعد تعديل د.مبارك المعبدي عليها في الطبعة الثانية من كتابه ملامح من تاريخ حرب .

المبحث الثالث : بيان حول كتاب ملامح من تاريخ حرب .

في عام ١٤٢٣هـ صدر كتاب ملامح من تاريخ قبيلة حرب (ط١) للدكتور مبارك المعبدي وقد غلط فيه غلطا شنيعا في نسب قبيلة الصحاف من زبيد حيث نسبهم لزبيد الموالي ولم تكن الظروف مواتية في تلك الفترة للرد عليه ولا للتواصل معه ولكن بعد أن أصبحت المواقع الإلكترونية في متناول اليد وانتشرت وسائل التواصل وكثر فيها الحديث عن الأنساب وقد رأيت من يتكلم في نسب قبيلتي قبيلة الصحاف معتمدا على الكتاب الآنف الذكر كان لزاما الرد عليه وقد استشرت أحد مشائخ القبيلة فقال : ما نشر في كتب لا يرد عليه إلا بالمثل !.

ثم طبع د.مبارك المعبدي كتابه الآنف الذكر طبعة أخرى عام ١٤٢٩هـ وقام بتصحيح غلطه جزاه الله خيرا ولكن لم تكن هذه النسخة مشتهرة كالطبعة الأولى لذلك كان اعتماد من عول على كتاب د.مبارك على (ط١) .

وفي أثناء تبييض كتابي مدرج عثمان أصدر د.مبارك المعبدي كتابه الآخر ملامح من تاريخ قبيلة زبيد واستدرك فيه غلطه الآنف الذكر ، ولكن كما يقال : سبق السيف العذل !، وذلك أني لم أكن أعلم عن تصحيحه للخطأ في كتابه ملامح من تاريخ قبيلة حرب ، ويشهد الله أني عرضت كتابي على مشائخ القبيلة للإذن بطباعته فقال لي أحدهم : لا نريد أي تجريح أو إساءة للدكتور مبارك المعبدي وإنما ضع القول الصحيح بجوار الخاطئ ، وكان ما طلبوا بل إن الوزارة أكملت الباقي حيث استمر تصريح النشر قرابة العامين مع الحذف والتعديل .

وكنت قد رأيت على الشبكة كتاب ملامح من تاريخ حرب للدكتور مبارك ولكن لم أقرأه لأنه موجود لدي بمكتبتي وقد كانت هذه النسخة المرفوعة على الشبكة هي طبعة ١٤٢٩ﻫ وهي الطبعة المعدلة ولكن الرافع لها عفا الله عنه وضع غلاف الطبعة القديمة ١٤٢٣ﻫ ولما أردت تصوير إحدى الصفحات منه قبل أيام وجدت التصحيح المشار إليه فقلت : هذا يكفيه لأنه صحح الخطأ في نفس الكتاب وإن كنت قبل قد اشترطت الاعتذار الخطي ولكن أما وإنه قد وقع التصحيح في نفس الكتاب فعفا الله عما سلف ولاشك أنه عمل شجاع من شيم أهل المروءة ولا يضيره أن يعود عن الوهم ولكن الضير الاستمرار فيه .

ملامح من تاريخ قبيلة حرب

٥- زبيد اليمانية :-

تتفرع قبيلة حرب إلى قسمين رئيسين كما هو معروف لدى أكثر المهتمين بعلم الأنساب وكما أشرنا سابقاً وهما بنو سالم ومسروح وتنقسم الأخيرة إلى عدة بطون ومن هذه البطون بطن يقال له زبيد وزبيد تنقسم إلى عدة فروع كما هو معروف لدى عامة قبائل زبيد وكما أشرنا إلى ذلك ومن هذه الفروع فرع زبيد اليمانية.

حدود زبيد اليمانية:

وزبيد اليمانية كما اسلفت قبيلة كبيرة من قبائل مسروح من حرب تمتد حدودها على طول ساحل البحر الأحمر من منطقة الشعبية التي تتبع لقبيلة الجدعان إلى منطقة الذنيب جنوب مدينة رابغ والتي تتبع لقبيلة الجحادلة علماً أن قبيلة الجحادلة والجدعان تلتقي حدودهما من منطقة البشيرية على ساحل البحر الأحمر بين ثول وذهبان إلى منطقة ظلع الاخل في الناحية الجنوبية من الحرة المعروفة بالوسامي أو حرة ابن جبير ويفصل بينهما الصبخة المسماة صبخة الدحم وحدود زبيد اليمانية من جهة الشرق تبدأ من جبل أبو شداد في الجنوب بامتداد جبال تهامة شمالا وهو حد قبيلة الجدعان أيضا ومن الشمال حدود قبيلة الجحادلة المتاخمة لقبيلة الغوانم حتى قرية كليه.

أما القرى التابعة لزبيد اليمانية فهي قرى:

القرينية والسرورية والقوزين وذهبان وثول وغران وام الجرم والبريكة وبعض الأماكن في خليص وام الجرم وقديد وصعبر ايضا. وتتفرع هذه القبيلة الزبيدية من عدة بطون وتتفرع هذه البطون إلى عشائر واسر سنذكر كل في مكانه حسب ما ورد في وثيقة العمال (اللزم التي وقعت بين الأشراف وقبائل زبيد اليمانية في عام ١١٨٧هـ).

شيوخ قبيلة زبيد اليمانية:

من شيوخ زبيد اليمانية الذي وقعوا وثيقة العمال (اللزم عام ١١٨٧هـ):

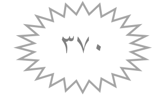
١- الشيخ سليمان بن خضير الصحفي (عن الصحاف) أهل غران.

وإلى هنا انتهى الكلام عن تاريخ أمج والمعالم المرتبطة به وعن سبب اندثاره وانقراض أهله وعن التحولات السياسية والإدارية التي مرت به وأدت إلى اختفاء ذكره وشيوع مسمى خليص و طغيانه على المنطقة بأكملها .

وقد اجتهدت في تحقيق تاريخ خليص وإصلاح ما شابه من أوهام تراكمت في كتب المعاصرين وحاولت إيضاح التغير الحاصل في تركيبته السكانية بقدر المستطاع لحساسية الكلام في مثل هذه المواضيع .

وأسأل الله جل وعلا أن يجعل هذا العمل في موازين حسناتي وشاهدا لي لا علي ، وأعتذر للقراء الكرام من التقصير الحاصل في هذا الكتاب لظروفي الخاصة التي مرت بي أثناء جمعه وتأليفه وأدت لخروجه بهذا الشكل .

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .



مصادر و مراجع كتاب إتحاف المهج :

١- إتحاف الورى – ابن فهد – جامعة أم القرى .

٢- إتحاف فضلاء الزمن – الطبري – الكتاب الجامعي – ط١- ١٤١٣هـ .

٣- إحراز المعلى – المكناسي – السويدي –ط١- ٢٠٠٣م .

٤- أحسن التقاسيم – البشاري – إحياء التراث العربي –ط١- ١٤٠٨هـ .

٥- أخبار مكة – الأزرقي – مكتبة الثقافة – ط١١- ١٤٣٢هـ .

٦- أخبار مكة – الفاكهي – مكتبة الأسدي – ط٥- ١٤٣٠هـ .

٧- أسماء خيل العرب – الغندجاني – الرسالة – ط١- ١٤٢٧هـ .

٨- الإستيعاب – ابن عبد البر – الفكر – ١٤٢٦هـ .

٩- الإصابة – ابن حجر – الكتب العلمية –ط٤- ٢٠١٠م .

١٠- الأغاني – الأصفهاني – دار صادر – ط١- ١٤٢٣هـ .

١١- إفادة الأنام الغازي - مكتبة الأسدي –ط١- ١٤٣٠هـ .

١٢- إكمال المعلم بشرح مسلم – عياض – دار الوفاء – ط١- ١٤١٩هـ .

١٣- الأماكن – الحازمي الهمذاني – دار اليمامة – ط١- ١٤١٥هـ .

١٤- الأمكنة – نصر الإسكندري – دارة الملك عبدالعزيز – ط١- ١٤٢٥هـ .

١٥- أمالي المرتضى – الشريف المرتضى – البابي الحلبي – ط١-١٣٧٣هـ .

١٦- الأنساب – السمعاني – الفكر –ط١- ١٤١٩هـ .

١٧- أنساب الأشراف – البلاذري – الفكر –ط١ .

١٨- أنس الساري – القيسي – وزارة الثقافة بالمغرب .

١٩- الأنس الجليل – العليمي - مكتبة دنديس –ط١- ١٤٢٠هـ .

٢٠- أوجز المسالك – الكاندهلوي – القلم –ط١- ١٤٢٠هـ .

٢١- أوقاف الأشرف شعبان – راشد القحطاني – ١٤١٤هـ .

٢٢- البلدان – اليعقوبي – الكتب العلمية – ط١- ١٤٢٢هـ .

٢٣- بلوغ القرى – عبدالعزيز بن فهد – القاهرة –ط١- ١٤٢٥هـ .

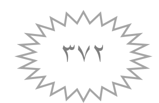
٢٤- البناية في شرح الهداية – العيني – الكتب العلمية – ط١- ١٤٢٠هـ .

٢٥- تأويل مختلف الحديث – ابن قتيبة – المكتب الإسلامي –ط٢- ١٤١٩هـ .

٢٦- تاج العروس – الزبيدي – دولة الكويت .

٢٧- التاريخ الكبير – الإمام البخاري – دائرة المعارف العثمانية .

٢٨- تاريخ العين العزيزية – عبدالقدوس الأنصاري – إدارة العين العزيزية بجدة .



٢٩- تاريخ ابن خلدون – ابن خلدون – دار إحياء التراث – ط١- ١٤٢٢هـ .

٣٠- تاريخ دمشق – ابن عساكر – دار الفكر – ط١- ١٤١٨هـ .

٣١- تاريخ الطبري – الطبري – دار المعارف – ط٢- ١٣٨٧هـ

٣٢- تاريخ بغداد – الخطيب - الغرب الإسلامي –ط١- ١٤٢٢هـ .

٣٣- تاريخ الملك الظاهر – ابن شداد – الريان – ١٤٣٠هـ .

٣٤- تحفة النظار – ابن بطوطة – المكتبة العصرية -١٤٣٦هـ

٣٥- التذكرة الحمدونية – بن حمدون – صادر – ط١- ١٩٩٦م .

٣٦- التعليقات والنوادر – الهجري – دار اليمامة – ط١- ١٤١٣هـ .

٣٧- تفسير الإمام الطبري – دار هجر – ط١ .

٣٨- تنوير الحوالك – السيوطي - البابي الحلبي .

٣٩- تنضيد العقود – الموسوي – معهد الدراسات لتحقيق أنساب الأشراف – ط١- ١٤٣١هـ .

٤٠- تهذيب الآثار – الإمام الطبري – مطبعة المدني .

٤١- تهذيب الأنساب – العبيدلي .

٤٢- تهذيب الكمال – المزي – الرسالة – ط١ – ١٤٠٨هـ .

٤٣- تهذيب اللغة – الأزهري - تحقيق عبدالسلام هارون .

٤٤- التوضيح – ابن الملقن – طبعة وزارة أوقاف قطر .

٤٥- التوشيح – السيوطي - الرشد –ط١- ١٤١٩هـ .

٤٦- التيجان – ابن هشام – مركز الدراسات اليمنية .

٤٧- جامع العلوم والحكم – ابن رجب – الجيل –ط١- ١٤١٧هـ .

٤٨- جمهرة النسب – الكلبي – عالم الكتب - ط١- ١٤١٣هـ

٤٩- جمهرة أنساب العرب – ابن حزم – الكتب العلمية – ط٣- ١٤٢٤هـ .

٥٠- جمهرة نسب قريش – بن بكار – دار اليمامة – ط٢- ١٤١٩هـ .

٥١- جمهرة الأمثال – العسكري – الجيل – ط٢- ١٤٠٨هـ .

٥٢- جمع الجوامع – السيوطي – الأزهر - ١٤٢٦هـ .

٥٣- حسن القرى – جار الله – مكتبة الثقافة –ط١-١٤٢٢هـ

٥٤- الحقيقة و المجاز – النابلسي – مركز تحقيق التراث .

٥٥- خلاصة الأثر – المحبي – الكتب العلمية –ط١- ١٤٢٧هـ .

٥٦- خلاصة الكلام – دحلان – مكتبة الحقيقة .

٥٧- الدر الكمين – ابن فهد – المكتبة الأسدية – ط٢- ١٤٢٥هـ .

٥٨- الدر المنثور – السيوطي – الفكر – ١٤٣٢هـ .



٥٩- الدرر الفرائد – الجزيري – اليمامة –ط٢- ١٤٢٩هـ .

٦٠- دلائل النبوة – البيهقي – الكتب العلمية –ط١ -١٤٠٨هـ

٦١- ديوان كثير الخزاعي – إحسان عباس .

٦٢- ديوان عمر بن أبي ربيعة - الكتاب العربي – ط٢- ١٤١٦هـ .

٦٣- رحلة ابن جبير – صادر – ١٤٠٠هـ .

٦٤- رحلة العبدري – دار سعدالدين – ط٢ – ١٤٢٦هـ .

٦٥- الرحلة الحجازية - الحضيكي – مركز الدراسات بالمغرب

٦٦- الرحلة الحجازية – أوليا جلبي – الآفاق العربية .

٦٧- الرحلة الناصرية – ابن ناصر الدرعي – السويدي –ط١- ٢٠١١ م .

٦٨- الروض المعطار – الحميري – عناية إحسان عباس .

٦٩- الروض الأنف – السهيلي – الكتب العلمية –ط١ .

٧٠- سبل الهدى والرشاد – الصالحي - وزارة أوقاف مصر – ١٤١٨هـ .

٧٠- سر السلسلة العلوية – البخاري – الحيدرية – ١٣٨١هـ .

٧١- سفر نامة – خسرو علوي – الهيئة المصرية للكتاب .

٧٢- السلوك – المقريزي – الكتب العلمية – ط١- ١٤١٨

٧٣- سمط النجوم – العصامي – الكتب العلمية –ط١- ١٤١٩هـ .

٧٤- سنن أبي داوود – مكتبة المعارف –ط٢- ١٤٢٧هـ .

٧٥- سنن ابن ماجة - مكتبة المعارف –ط٢- ١٤٢٩هـ .

٧٦- سنن الترمذي – مكتبة المعارف – ط٢- ١٤٢٩هـ .

٧٧- السيرة النبوية – ابن هشام – الغد الجديد – ١٤٣٤هـ .

٧٨- الشتاء والصيف – كبريت – المكتب الإسلامي – ط٢- ١٣٨٥هـ .

٧٩- الشجرة المباركة – الرازي – مكتبة المرعشي – ط٢- ١٤١٩هـ .

٨٠- شعب الإيمان – البيهقي – مكتبة الرشد –ط١- ١٤٢٣هـ

٨١- شرح صحيح مسلم – النووي – المطبعة المصرية بالأزهر –ط١- ١٣٤٧هـ .

٨٢- شرح صحيح مسلم (المفهم) – القرطبي – دار ابن كثير –ط١- ١٤١٧هـ .

٨٣- شرح المواهب اللدنية – الزرقاني – الكتب العلمية – ط١- ١٤١٧هـ .

٨٤- شرح الموطأ – الزرقاني – دار الحديث – ١٤٣٦هـ .

٨٥- شرح شعر هذيل – السكري – مطبعة المدني .

٨٦- شيخ شمل قبيلة الجدعان – عبدالرزاق أبو داوود .

٨٧- صبح الأعشى – القلقشندي – دار الفكر .

٨٨- الصحاح – الجوهري – العلم للملايين –ط٤- ١٩٩٠م .



٨٩- صحيح البخاري – البخاري – مكتبة الصفا – ط١-١٤٢٣هـ .

٩٠- صحيح مسلم – مسلم – مكتبة الإرشاد – ط١-١٤١٠هـ .

٩١- صحيح ابن حبان (الإحسان) – الرسالة –ط١- ١٤٠٨هـ

٩٢- صفة جزيرة العرب – الهمداني – الإرشاد –ط١-١٤١٠هـ .

٩٣- الطبقات الكبير – ابن سعد – الخانجي – ط٢- ١٤٣٤هـ

٩٤- الطريق – القاضي وكيع – اليمامة – ١٤٢٠هـ .

٩٥- العقد الفريد – ابن عبد ربه – المكتبة العصرية – ١٤٣٦هـ .

٩٦- العقد الثمين – الفاسي – الكتب العلمية – ط١- ١٤١٩

٩٧- عمدة القاري – العيني – دار الفكر – طبعة إدارة الطباعة المنيرية .

٩٨- غاية المرام – العز بن فهد – جامعة أم القرى –ط٢-١٤٢٦هـ .

٩٩- فتح الباري – ابن حجر – المكتبة السلفية – ط١-١٣٧٩هـ .

١٠٠- القاموس المحيط – الفيروزآبادي – الرسالة –ط٨-١٤٢٦هـ .

١٠١- الكامل – المبرد – الفكر العربي – ط٣ – ١٤١٧هـ .

١٠٢- الكامل في التاريخ – ابن الأثير – الكتاب العربي – ط١- ١٤١٧هـ .

١٠٣- الكشف والبيان – الثعلبي – دار التفسير –ط١- ١٤٣٦هـ.

١٠٤- كنز العمال – الهندي – الرسالة – ط٥ – ١٤٠٥هـ .

١٠٥- الكواكب الدراري – الكرماني – إحياء التراث العربي – ط٢- ١٤٠١هـ .

١٠٦- لباب الأنساب – البيهقي – مكتبة المرعشي –ط٢- ٢٠٠٧م .

١٠٧- لسان العرب – ابن منظور – دار صادر .

١٠٨- لمعات التنقيح في شرح مشكاة المصابيح – الدهلوي – النوادر – ط١- ١٤٣٥هـ .

١٠٩- ماء الموائد – العياشي – دار السويدي –ط١- ٢٠٠٦م

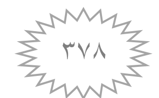
١١٠- المجدي في أنساب الطالبيين – العمري – مكتبة المرعشي –ط٢- ١٤٢٢هـ .

١١١- المجروحين – ابن حبان – الصميعي –ط١- ١٤٢٠هـ .

١١٢- المحبر – ابن حبيب – دائرة المعارف العثمانية – ١٣٦١هـ .

١١٣- المحكم والمحيط – ابن سيده – الكتب العلمية - ط١- ١٤٢١هـ .

١١٤- المحن – أبو العرب التميمي – الغرب الإسلامي –ط٣- ١٤٢٧هـ .



١١٥- المحلى – ابن حزم – الكتب العلمية –ط١- ١٤٢٥هـ .

١١٦- مراصد الاطلاع – البقاعي – دار المعرفة –ط١- ١٣٧٣هـ .

١١٧- مستدرك الحاكم – دار تأصيل –ط١- ١٤٣٥هـ .

١١٨- المسالك والممالك – البكري - الغرب الإسلامي – ١٩٩٢م .

١١٩- مسالك الأبصار – ابن فضل الله – الكتب العلمية – ط١- ٢٠١٠م .

١٢٠- مسند أحمد – أحمد بن حنبل – الرسالة – ط١- ١٤١٨هـ .

١٢١- مشارق الأنوار – لعياض – دار القلم –ط٢- ١٤٤٠هـ .

١٢٢- مصنف ابن أبي شيبة – الفاروق الحديثة –ط١- ١٤٢٩هـ .

١٢٣- المطالب العالية – ابن حجر – العاصمة –ط١- ١٤٢٠هـ .

١٢٤- مطالع الأنوار – ابن قرقول – الفلاح –ط١- ١٤٣٠هـ .

١٢٥- معجم البلدان – الحموي – دار صادر – ط٨-٢٠١٠م

١٢٦- معجم الصحابة – ابن قانع – مكتبة الغرباء الأثرية – ط١- ١٤١٨هـ .

١٢٧- معجم الشعراء – المرزباني – دار الجيل – ١٤١١هـ .

١٢٨- معجم الطبراني الكبير – الطبراني – مكتبة ابن تيمية – ط١- ١٤١٥هـ .

١٢٩- معجم ما استعجم – البكري عالم الكتب – ط٣- ١٤٠٣هـ .

١٣٠- معجم الصحابة – البغوي – البيان –ط١- ١٤٢١هـ .

١٣١- المغازي – الواقدي – الكتب العلمية – ط١- ١٤٢٤هـ

١٣٢- مقاييس اللغة – ابن فارس – الفكر – ١٣٩٩هـ .

١٣٣- ملء العيبة – ابن رشيد – الغرب الإسلامي –ط١- ١٤٠٨هـ .

١٣٤- ملخص رحلتي ابن عبدالسلام الدرعي – حمد الجاسر .

١٣٥- المناقب المزيدية – الحلي – مركز زايد – ١٤٢٠هـ .

١٣٦- المنمق – ابن حبيب – عالم الكتب – ط١- ١٤٠٥هـ .

١٣٧- منائح الكرم – السنجاري – جامعة أم القرى –ط١- ١٤١٩هـ .

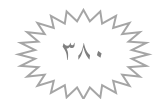
١٣٨- منازل الحج – ابن العطار – جداول –ط١- ٢٠١٤م .

١٣٩- موطأ مالك – إحياء التراث العربي – ١٤٠٦هـ .

١٤٠- المؤتلف والمختلف – للآمدي – دار الجيل – ١٤١١

١٤١- الميسر في شرح مصابيح السنة – التوربشتي – مصطفى الباز – ط٢- ١٤٢٩هـ .

١٤٢- نتائج الأفكار – ابن حجر – دار ابن كثير –ط٢- ١٤٢٩هـ .



١٤٣- النجم الوهاج شرح المنهاج – الدميري – المنهاج – ط١- ١٤٢٥هـ .

١٤٤- نسب معد واليمن الكبير – الكلبي – عالم الكتب - ط١– ١٤٣١هـ .

١٤٥- النفحة المسكية – السويدي – نسخة إلكترونية بالشاملة .

١٤٦- نهاية الأرب – النويري – الكتب العلمية – ط١- ١٤٢٤هـ .

١٤٧- النهاية في غريب الحديث – ابن الأثير – المكتبة الإسلامية –ط١- ١٣٨٣هـ .

١٤٨- نوادر المخطوطات – عبدالسلام هارون – مصطفى البابي – ط٢- ١٣٩٣هـ .

١٤٩- الهداية والإرشاد – الكلاباذي – المعرفة – ط١- ١٤٠٧هـ .

١٥٠- وفاء الوفاء – السمهودي – مؤسسة الفرقان – ط١- ١٤٢٢هـ .

١٥١- الوفيات - ابن رافع – الرسالة – ط١- ١٤٠٢هـ .

المجلات والدوريات :

١- مجلة العرب (ج٧/٨-س١٦) - حمد الجاسر – دار اليمامة

٢- صحيفة مكة – (عدد ٧٠٨) - السنة الثانية .

المخطوطات :

١- إتحاف فضلاء الزمن الطبري – مكتبة الحرم بمكة .

٢- تاريخ أمراء مكة عبدالشكور – مصورة على الشبكة .

٣- الدر الفاخر للطاهر – مكتبة الحرم بمكة .

٤- رحلة المنالي الزيادي - مصورة على الشبكة .

مراجعة ما أشيع حول ماء الرجيع

كتبه

فهد بن محمد بن معيوف الصّحْفِي

١٤٤٥هـ



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، و الصلاة و السلام على سيد الأولين و الآخرين نبينا محمد وعلى آله و أصحابه و أتباعه إلى يوم الدين ، أما بعد :

فهذه رسالة مختصرة بعنوان : مراجعة ما أشيع حول ماء الرجيع ، و هي في الأصل مستلة من كتابي إتحاف المهج بذكر أخبار وادي أمج .

فصل تحقيق موقع سرية الرجيع .

سرية الرجيع حادثة مشهورة و أخبارها مبثوثة قد جاءت في عدد من المرويات عن الصحابة و التابعين و من بعدهم من أئمة السير والمغازي منهم :

١- أبو هريرة رضي الله عنه .

٢- بريدة بن سفيان الأسلمي ، تابعي .

٣- عاصم بن عمر بن قتادة ، تابعي .

٤- عروة بن الزبير بن العوام ، تابعي .

٥- ابن شهاب الزهري .

٦- موسى بن عقبة .

٧- ابن إسحاق .

٨- الواقدي .

و لكي نصل إلى موقع سرية الرجيع لابد من جمع هذه المرويات و فحصها ليسهل بعد ذلك معرفة مراتبها في الاستدلال و من ثم معرفة أقرب الأقوال إلى الصحة في وصف موقعها .

المبحث الأول : رواية أبي هريرة رضي الله عنه عن سرية الرجيع .

و هي أصح المرويات على الإطلاق و أثبتها لذلك عامة أهل العلم على العمل بها و تقديمها على غيرها و هي مخرجة في الصحاح و السنن و المسانيد و المعاجم و المصنفات من طريق الزهري عن عمرو بن أبي سفيان الثقفي عن أبي هريرة و رواها عن ابن شهاب جماعة ، منهم :

١- معمر بن راشد .

٢- إبراهيم بن سعد .

٣- شعيب بن أبي حمزة .

قال الإمام البخاري في صحيحه (٣٩٨٩) :

حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا إبراهيم أخبرنا ابن شهاب قال أخبرني عمرو بن أسيد بن جارية الثقفي حليف بني زهرة وكان من أصحاب أبي هريرة عن أبي هريرة قال : بعث رسول الله ﷺ عشرة عينا وأمر عليهم عاصم بن ثابت الأنصاري جد عاصم بن عمر بن الخطاب **حتى إذا كانوا بالهدة بين عسفان ومكة** ذكروا لحي من هذيل يقال لهم بنو لحيان فنفروا لهم بقريب من مائة رجل رام فاقتصوا آثارهم حتى وجدوا مأكلهم التمر في منزل نزلوه فقالوا : تمر يثرب ، فاتبعوا آثارهم فلما حس بهم عاصم وأصحابه لجئوا إلى موضع فأحاط بهم القوم فقالوا لهم : انزلوا فأعطوا بأيديكم و لكم العهد والميثاق أن لا نقتل منكم أحدا ، فقال عاصم بن ثابت : أيها القوم أما أنا فلا أنزل في ذمة كافر ، ثم قال : اللهم أخبر عنا نبيك ﷺ فرموهم بالنبل فقتلوا عاصما ونزل إليهم ثلاثة نفر على العهد والميثاق منهم خبيب و زيد بن الدثنة و رجل آخر

فلما استمكنوا منهم أطلقوا أوتار قسيهم فربطوهم بها قال الرجل الثالث : هذا أول الغدر والله لا أصحبكم إن لي بهؤلاء أسوة يريد القتلى ، فجرروه وعالجوه فأبى أن يصحبهم فانطلق بخبيب وزيد بن الدثنة حتى باعوهما بعد وقعة بدر فابتاع بنو الحارث بن عامر بن نوفل خبيبا وكان خبيب هو قتل الحارث بن عامر يوم بدر فلبث خبيب عندهم أسيرا حتى أجمعوا قتله فاستعار من بعض بنات الحارث موسى يستحد بها فأعارته فدرج بني لها وهي غافلة حتى أتاه فوجدته مجلسه على فخذه والموسى بيده قالت : ففزعت فزعة عرفها خبيب ، فقال : أتخشين أن أقتله؟ ما كنت لأفعل ذلك قالت : والله ما رأيت أسيرا قط خيرا من خبيب والله لقد وجدته يوما يأكل قطفا من عنب في يده وإنه لموثق بالحديد وما بمكة من ثمرة وكانت تقول : إنه لرزق رزقه الله خبيبا فلما خرجوا به من الحرم ليقتلوه في الحل قال لهم خبيب : دعوني أصلي ركعتين ، فتركوه فركع ركعتين فقال : والله لولا أن تحسبوا أن ما بي جزع لزدت ، ثم قال : اللهم أحصهم عددا واقتلهم بددا ولا تبق منهم أحدا ، ثم أنشأ يقول :

فلست أبالي حين أقتل مسلما

على أي جنب كان لله مصرعي

وذلك في ذات الإله وإن يشأ

يبارك على أوصال شلو ممزع

ثم قام إليه أبو سروعة عقبة بن الحارث فقتله ، وكان خبيب هو سن لكل مسلم قتل صبرا الصلاة وأخبر (يعني النبي ﷺ) أصحابه يوم أصيبوا خبرهم و بعث ناس من قريش إلى عاصم بن ثابت حين حدثوا أنه قتل أن يؤتوا بشيء منه يعرف وكان



قتل رجلا عظيما من عظمائهم فبعث الله لعاصم مثل الظلة من الدبر فحمته من رسلهم فلم يقدروا أن يقطعوا منه شيئا .

و مما جاء فيها عن وصف موقع سرية الرجيع قوله : **حتى إذا كانوا بالهدة بين عسفان و مكة .**

و وقع في رواية شعيب (٣٠٤٥) قوله : **حتى إذا كانوا بالهدأة و هو بين عسفان و مكة .**

المبحث الثاني : تحقيق موقع الهدة .

لاشك أن أول ما يتبادر إلى ذهن القارئ عند ذكر الهدة هو (هدى الشام) ذلك المكان المشهور شمال مر الظهران ولكن نصوص المتقدمين أفادت غير ذلك ، حيث جاء في أكثر من خبر ما يفيد أن مسمى الهدة يصل إلى قريب من عسفان فيشمل (الشامية و المقيطع) أيضا .

بل إن وصفها بالشامية يؤكده ، حيث أن أهل الحجاز يطلقون على شمالي ديارهم الشامية و جنوبها اليمانية إلى يوم الناس هذا ، و منه نخلة اليمانية و الشامية .

قال الواقدي في كتابه المغازي (٥٦/١) : **و الهدة على سبعة أميال من عقبة عسفان على تسعة و ثلاثين ميلا من مكة .**

و قد وقعت في نسخة المقريزي التي نقل عنها في إمتاع الأسماع ، تسعة أميال حيث قال (٩١/١) : وعاد قيس إلى أبي سفيان وقد بلغ **الهدّة على تسعة أميال من عقبة عسفان .**

و هو الصحيح و أما السبعة فمن عسفان و ليس من العقبة كما سيأتي .

و هو وصف دقيق جدا ، يفيد القطع عند أهل التحقيق ولا يتطرق إليه الاحتمال .

و تابعه ابن سعد في الطبقات حيث قال (١٢/٢) : **بالهدة وهي على سبعة أميال من عسفان إذا رحت من مكة عن يسار الطريق و سكانها بنو ضمرة وناس من خزاعة .**

و هو مثل الذي قبله في قطعيته .

ووصفه ابن حبيب في المحبر عند حديثه عن غزوة بني لحيان فقال (ص١١٤) : ومضى منها (أي من غران) حتى نزل عُسفان وبعث منها خيلا إلى **الهدرة** وهي منها (أي من عسفان) على ستة أميال إلى مكة .

و نسخته فيها تصحيف كثير ، إلا أن الذي يعنينا في خبره هاهنا هو وصفه لموضع الغميم الذي أرسل إليه النبي صلى الله عليه وسلم فوارس لتعلم قريش بمقدمه أثناء غزوه لبني لحيان بالهدة ، و منطقة الغميم اليوم هي المقيطع و الشامية و ما حولها .

و قال الواقدي في قصة إسلام عمرو بن العاص رضي الله عنه (١٩٧/٢) : فأدلجنا سحراً فلم يطلع الفجر حتى التقينا بيأجج فغدونا حتى انتهينا إلى **الهدة** فنجد عمرو بن العاص بها قال : مرحباً بالقوم .

و رواها ابن سعد عنه في ترجمة خالد بن الوليد رضي الله عنه و لا يستقيم أن يكون مراده بالهدة هاهنا هدى الشام لأنه يتحدث عن طريقه للمدينة .

و قال ابن سعد في قصة وفد بني سليم (٢٦٥/١) : أخبرنا هشام بن محمد قال حدثني رجل من بني سليم من بني الشريد قال : وفد رجل منا يقال له قدر بن عمار على النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة فأسلم وعاهده على أن يأتيه بألف من قومه على الخيل وأنشد يقول :

شددت يميني إذ أتيت محمدا

بخير يد شدت بحجزة مئزر



وذاك امرؤ قاسمته نصف دينه

وأعطيته ألف امرئ غير أعسر

ثم أتى إلى قومه فأخبرهم الخبر فخرج معه تسعمائة وخلف في الحي مائة فأقبل بهم يريد النبي صلى الله عليه وسلم فنزل به الموت فأوصى إلى ثلاثة رهط من قومه إلى العباس بن مرداس و أمره على ثلاثمائة و إلى جبار بن الحكم و هو الفرار الشريدي و أمره على ثلاثمائة و إلى الأخنس بن يزيد وأمره على ثلاثمائة و قال : ائتوا هذا الرجل حتى تقضوا العهد الذي في عنقي ثم مات فمضوا حتى قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم فقال : أين الرجل الحسن الوجه الطويل اللسان الصادق الإيمان ؟ قالوا : يا رسول الله دعاه الله فأجابه وأخبروه خبره فقال : أين تكملة الألف الذين عاهدني عليهم ؟ قالوا : قد خلف مائة بالحي مخافة حرب كان بيننا وبين بني كنانة قال : ابعثوا إليها فإنه لا يأتيكم في عامكم هذا شيء تكرهونه فبعثوا إليها فأتته **بالهدة** وهي مائة عليها المنقع بن مالك بن أمية بن عبد العزى بن عمل بن كعب بن الحارث بن بهثة بن سليم فلما سمعوا وئيد الخيل قالوا : يا رسول الله أتينا قال : لا بل لكم لا عليكم هذه سليم بن منصور قد جاءت فشهدوا مع النبي صلى الله عليه وسلم الفتح وحنينا .

قلت : هذا حديث ضعيف و لكن لا بأس به في السياق التاريخي ، و به نكتفي في معرفة موقع الهدة و لله الفضل والمنة .

و عليه يتخرج صحة وصف أبي هريرة للهدة الذي وقعت به الحادثة بأنه بين عسفان و مكة ، فأي قول يعارض هذه المرويات لا يعول عليه .

المبحث الثالث : رواية التابعي بريدة بن سفيان عن سرية الرجيع .

أخرجها الحافظ سعيد بن منصور في سننه (٢٨٣٧) فقال : حدثنا سعيد قال نا عبد الله بن وهب ، قال أخبرني عمرو بن الحارث ، أن عبد الرحمن بن عبد الله الزهري أخبره عن بريدة بن سفيان الأسلمي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عاصم بن ثابت ، و زيد بن دثنة أحد بني بياضة وخبيب بن عدي ، ومرثد بن أبي مرثد إلى بني لحيان **بالرجيع** فقاتلوهم حتى أخذوا لأنفسهم عقدا إلا عاصما فإنه أبى و قال : لا أقبل اليوم عهدا من مشرك ودعا عند ذلك وقال : اللهم إني أحمي لك اليوم دينك فاحم لي لحمي ، فجعل يقاتل ويقول :

ما علتي وأنا جلد نابل

تزل عن صفحتي المعابل

الموت حق والحياة باطل

ويقول وهو يحرض نفسه :

أبو سليمان وريش المقعد

وضالة كالجحيم الموقد

إذا النواحي ارتعشت لم أرعد

فلما قتلوه كان في قليب لهم ، فقال بعضهم لبعض : هذا الذي آلت فيه المكية ، وهي السلافة أحد بني الأقلح بن عمرو بن عوف ، و كان عاصم يوم أحد قتل لها نفرا ثلاثة كلهم صاحب لواء قريش يومئذ ، وهم من بني عبد الدار

فجعل يرمي و كان راميا و يقول : خذها وأنا ابن الأقلح فتؤتى به فنقول كلما أتيت بإنسان : من قتله ؟ فيقولون : ما ندري غير أنا سمعنا رجلا وهو يقول : خذها وأنا ابن الأقلح فقالت : أفلحنا ، فحلفت لئن قدرت على رأسه لتشرين في قحفه الخمر فأرادوا أن يحتزوا رأسه ليذهبوا به إليها فبعث الله رجلا من دبر فلم يستطيعوا أن يحتزوا رأسه وأسر خبيب بن عدي و زيد بن دثنة فانطلق بهما حتى قدم بهما مكة فبيع خبيب من بعض الجمحيين بأمة سوداء فجاء عقبة بن عدي أحد بني نوفل بن عبد مناف يسأله أن يعطيه إياه فيقتله مكان أخيه طعمة بن عدي لأنه قتله يوم بدر فأبى أن يبيعه إياه وأعطاه إياه عطية فأساء إليه في إساره ، فقال : ما يصنع القوم الكرام هذا بأسيرهم قال : فأخرجوه وأحسنوا إليه ، و جعلوه عند امرأة تحرسه وهو في إساره حتى قيل : إنك مخروج بك لتقتل ، فقال للمرأة : أعطيني موسى أستطيب به ، فأعطته وكان لها ابن صغير فأقبل إليه الصبي فأخذه فأجلسه عنده فظنت المرأة أنه يريد أن يقتله فصاحت إليه تناشده وأراد أن يفزعها ثم أرسله ، و قال : عند ذلك ما كنت لأغدر فخرج به ليقتل فمر بنسوة ، فقلن : هذا خبيب الأثربي يقتل بطعمة فلما دنا من الخشبة قال :

والله ما أجعل إذا كان في تقى

على أي جنب كان لله مصرعي

وذلك في ذات الإله وإن يشأ

يبارك في أعضاء شلو ممزع

ثم قال : دعوني أسجد سجدتين و كان أول من سنها ثم قال : لو ما أن تقولوا جزع خبيب من الموت لزدت سجدتين

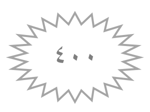


أخريين و قال عند ذلك : اللهم إني لا أجد من يبلغ رسولك مني السلام ، فبلغ رسولك مني السلام فزعموا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال حينئذ : و عليه السلام فقال أصحابه : يا نبي الله ، على من ؟ قال : أخوكم خبيب بن عدي يقتل فلما رفع على الخشبة استقبل الدعاء قال الرجل : فلما رأيته يريد أن يدعو ألبدت بالأرض ، فقال : اللهم أحصهم عددا واقتلهم بددا ، فلم يحل الحول - زعموا – و منهم أحد حي غير ذلك الرجل الذي لبد بالأرض .

و أخرجها البيهقي في دلائل النبوة مختصرة (٣٣١/٣) فقال : وأخبرنا أبو الحسن علي بن محمد المقرئ قال : أخبرنا الحسن بن محمد بن إسحاق قال : حدثنا يوسف بن يعقوب القاضي قال : حدثنا أحمد بن عيسى قال حدثنا عبد الله بن وهب ، قال : حدثنا عمرو بن الحارث ، أن عبد الرحمن بن عبد الله الزهري ، أخبره عن بريدة بن سفيان الأسلمي ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عاصم بن ثابت إلى بني لحيان **بالرجيع** .

و رواها أبو نعيم في حلية الأولياء ترجمة عاصم بن ثابت فقال : حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر ثنا إبراهيم بن عبد الله بن معدان ثنا أحمد بن سعيد ثنا ابن وهب حدثني عمرو بن الحارث أن عبد الرحمن بن عبد الله الزهري أخبره عن بريدة بن سفيان الأسلمي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عاصم بن ثابت وزيد بن الدثنة و حبيب بن عدي ومرثد بن أبي مرثد إلى بني لحيان **بالرجيع**

وليس في هذه الرواية ما يفيد عن مكان الواقعة و إنما جاءت مجملة .



المبحث الرابع : رواية التابعي عاصم بن عمر عن سرية الرجيع .

أسندها إليه ابن إسحاق رحمه الله ثم رواها عنه جماعة منهم :

١- يونس بن بكير .

أخرجها الإمام الحاكم في مستدركه حيث قال (٥٠٥٥) : حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، ثنا أحمد بن عبد الجبار ، ثنا يونس بن بكير ، عن محمد بن إسحاق ، حدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، أن ناسا من عضل والقارة ، و هما حيان من جديلة أتوا النبي صلى الله عليه و آله و سلم بعد أحد ، فقالوا : إن بأرضنا إسلاما ، فابعث معنا نفرا من أصحابك يقرئوننا القرآن و يفقهوننا في الإسلام ، فبعث رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم معهم ستة نفر منهم : مرثد بن أبي مرثد حليف حمزة بن عبد المطلب و هو أميرهم وخالد بن البكير الليثي حليف بني عدي ، وعبد الله بن طارق الظفري ، و زيد بن الدثنة و خبيب بن عدي و عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح فخرجوا وأميرهم مرثد بن أبي مرثد **حتى إذا كانوا بالرجيع** أتتهم هذيل .

و هو وصف مجمل .

و قد ذكر ابن الأثير في أسد الغابة ما يقتضي أن يونس بن بكير ذكر في روايته وصف موقع سرية الرجيع حيث قال في ترجمة زيد بن الدثنة مسندا إليه هذا الوصف : **حتى إذا كانوا بالرجيع فوق الهداة** .

و هي زيادة صحيحة إن شاء الله لاختلاف الرواة و النسخ في هذا .

٢- زياد البكائي .

أخرجها ابن هشام في تهذيبه حيث قال (١٠١/٣) : حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام ، قال : حدثنا زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحاق المطلبي ، قال : حدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، قال : .... **حتى إذا كانوا على الرجيع ماء لهذيل بناحية الحجاز على صدور الهدأة .**

٣- سلمة بن الفضل .

أخرجها الإمام الطبري في تاريخه حيث قال (٥٣٨/٢) : ثم دخلت السنة الرابعة من الهجرة فكان فيها غزوة الرجيع في صفر وكان من أمرها ما حدثني به ابن حميد قال حدثنا سلمة قال حدثني محمد بن إسحاق عن عاصم ابن عمر بن قتادة قال : .... **حتى إذا كانوا على الرجيع ماء لهذيل بناحية من الحجاز من صدور الهدأة .**

٤- بكر بن سليمان و وهب بن جرير بن حازم .

أخرجها خليفة بن خياط في تاريخه حيث قال : حدثنا بكر عن ابن إسحاق و وهب عن أبيه عن ابن إسحاق قال حدثني عاصم ابن عمر بن قتادة قال : ..... **حتى إذا كانوا على الرجيع ماء لهذيل فأما بناحية الحجاز من صدر الهدأة .**

٥- محمد بن سلمة الحراني .

أخرجها الحافظ أبو نعيم في حليته حيث قال في ترجمة عاصم : حدثنا محمد بن أحمد بن الحسن ، ثنا أبو شعيب الحراني ، ثنا أبو جعفر النفيلي ثنا محمد بن سلمة الحراني ثنا محمد بن إسحاق ، حدثني عاصم بن عمرو بن قتادة قال : ...... **فلما كانوا بالرجيع .**



و هذا وصف مجمل موافق لرواية يونس بن بكير التي أخرجها الحاكم .

٦- عبدالله بن إدريس الأودي .

أخرجها الحافظ ابن سعد في طبقاته حيث قال (٣٠٩/٤) : أخبرنا عبد الله بن إدريس قال : حدثنا محمد بن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة ، قال : لما كان من غدر عَضَل والقارة بخبيب بن عدي وأصحابه ما كان **بالرجيع و هو ماء لهُذيل بناحية الحجاز بصدور الهدة .**

و جميع هذه الأوصاف (صدور ، صدر ، فوق) من كلام ابن إسحاق و من دونه وليس في الرواية الأصلية من ذلك شيء والدليل على ذلك ما يلي :

١- أن موسى بن عقبة ساق عين الرواية و لم يذكر وصف موقع سرية الرجيع بها ، و كذلك لم يصرح بسماعها من عاصم .

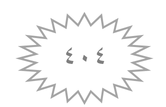
قال الحافظ البيهقي في دلائل النبوة حيث قال (٣٢٧/٣) : قال موسى بن عقبة : و يقال : كان أصحاب الرجيع ستة نفر منهم : عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح ، وخبيب بن عدي وزيد بن الدثنة البياضي ، وعبد الله بن طارق حليف لبني ظفر ، وخالد بن البكير الليثي ومرثد بن أبي مرثد الغنوي حليف حمزة بن عبد المطلب ، وكان من شأنهم أن نفرا من عضل و القارة قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : إن فينا مسلمين فابعث معنا نفرا من أصحابك يفقهوننا فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم ، **حتى نزلوا بالرجيع** استصرخوا عليهم هذيلا فلم يرع القوم إلا والقوم مصلتون عليهم بالسيوف وهم في رحالهم فلما رأوهم

أخذوا سيوفهم فقالت هذيل : إنا لا نريد قتالكم ، فأعطوهم عهدا وميثاقا لا يريبونهم ، فاستسلم لهم خبيب بن عدي وزيد بن الدثنة و عبد الله بن طارق و لم يستسلم عاصم بن ثابت ، ولا خالد بن البكير و لا مرثد بن أبي مرثد و لكن قاتلوهم حتى قتلوا وخرجت هذيل بالثلاثة الذين استسلموا لهم حتى إذا كانوا **بمر الظهران** نزع عبد الله بن طارق يده من قرآنه ثم أخذ سيفا فرموه بالحجارة حتى قتلوه ، وقدموا بخبيب بن عدي ، وزيد بن الدثنة مكة فأما خبيب فابتاعه آل حجير بن أبي إهاب ، فقتلوه بالحارث بن عامر و ابتاع صفوان بن أمية زيد بن الدثنة ، فقتله بأبيه قتله نسطاس مولاه .

و قد وافقه الواقدي في سياقه لحادثة سرية الرجيع و لم يذكر وصف موقع سرية الرجيع بها إلا أن الواقدي لم يصرح عمن نقلها و يصعب تخمين ذلك لأنه روى في مغازيه عن عاصم وموسى ، كليهما .

قال الواقدي في مغازيه (٣٠٠/١) : حدثني محمد بن عبد الله و معمر بن راشد و عبد الرحمن بن عبد العزيز و عبد الله بن جعفر و محمد بن صالح و محمد بن يحيى بن سهل ابن أبي حثمة و معاذ بن محمد في رجال ممن لم أسم وكل قد حدثني ببعض الحديث و بعض القوم كان أوعى له من بعض و قد جمعت الذي حدثوني قالوا : ..... فخرجوا **حتى إذا كانوا بماء لهذيل يقال له الرجيع قريب من الهدة** .

و حتى لا يستدرك علينا ننوه بأن الواقدي خالف أصل الرواية و زاد و أنقص بحسب ما أداه إليه اجتهاده ، و مثله ابن إسحاق رحمهما الله .



و مما جاء في رواية عاصم أيضا ذكره لمكان قبر عبدالله بن طارق حيث قُتل بمر الظهران و قُبر به ، و قد اتفق على هذا النقل جميعهم ، موسى و ابن إسحاق و الواقدي ، و هذا الاتفاق سيقترن بالرأي الراجح في تحديد موقع سرية الرجيع ويعضده .

و كذلك سيأتي في الرواية القادمة من أين استقى ابن إسحاق وصف موقع سرية الرجيع إن شاء الله تعالى .

المبحث الخامس : رواية التابعي عروة بن الزبير عن سرية الرجيع .

أخرجها الطبراني تامة في المعجم الكبير حيث قال (٥٢٨٤) : حدثنا محمد بن عمرو بن خالد الحراني ، حدثني أبي ، ثنا ابن لهيعة ، عن أبي الأسود ، عن عروة قال : كان من شأن خبيب بن عبد الله الأنصاري ثم من بني عمرو بن عوف وعاصم بن ثابت بن الأفلح بن عمرو بن عوف و زيد بن الدثنة الأنصاري من بني بياضة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثهم عيونا بمكة ليخبروه خبر قريش **فسلكوا على النجدية حتى إذا كانوا بالرجيع من نجد** اعترضت لهم بنو لحيان من هذيل فأما عاصم بن ثابت فضارب بسيفه حتى قتل ، وأما خبيب وزيد بن الدثنة فأصعدا في الجبل ، فلم يستطعهما القوم حتى جعلوا لهما العهود والمواثيق فنزلا إليهم فأوثقوهما رباطا ثم أقبلوا بهما إلى مكة فباعوهما من قريش فأما خبيب فاشتراه عقبة بن الحارث بن نوفل أخو حسين بن الحارث وشركه في ابتياعه معه أبو إهاب بن عزيز بن قيس بن سويد بن ربيعة بن عدس بن عبد الله بن دارم ، و كان قيس بن سويد بن ربيعة أخا عامر بن نوفل لأمه أمهما بنت نهشل التميمية وعكرمة بن أبي جهل والأخنس بن شرنون بن علاج بن غبرة الثقفي وعبيدة بن حكيم السلمي ثم الذكواني وأمية بن عتبة بن همام بن حنظلة من بني دارم ، وبني الحضرمي وسعية بن عبد الله بن أبي قيس من بني عامر بن لؤي ، وصفوان بن أمية بن خلف بن وهب الجمحي ، فدفعوه إلى عقبة بن الحارث ، فسجنه عنده في دار ، فمكث عنده ما شاء الله أن يمكث ، وكانت امرأة من آل عقبة بن الحارث بن عامر تفتح عنه وتطعمه ، فقال لها : إذا أراد القوم قتلي فآذنيني قبل ذلك ، فلما أرادوا قتله أخبرته ، فقال لها : ابغيني حديدة

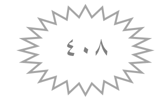
أستدف بها أي أحلق عانتي فدخل ابن المرأة التي كانت تنجده والموسى في يده ، فأخذ بيد الغلام ، فقال : هل أمكن الله منكم ؟ فقالت : ما هذا ظني بك ، ثم ناولها الموسى فقال : إنما كنت مازحا ، وخرج به القوم الذين شركوا فيه وخرج معهم أهل مكة وخرجوا معهم بخشبة حتى إذا كانوا بالتنعيم نصبوا تلك الخشبة فصلبوه عليها ، وكان الذي ولي قتله عقبة بن الحارث وكان أبو حسين صغيرا وكان مع القوم وإنما قتلوه بالحارث بن عامر وكان قتل يوم بدر كافرا وقال لهم خبيب عند قتله : أطلقوني من الرباط حتى أركع ركعتين فأطلقوه ، فركع ركعتين خفيفتين ثم انصرف فقال : لولا أن تظنوا أني جزع من الموت لطولتهما فلذلك خففتهما و قال : اللهم إني لا أنظر إلا في وجه عدو اللهم إني لا أجد رسولا إلى رسولك فبلغه عني السلام ، فجاء جبريل عليه السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره ذلك ، وقال خبيب وهم يرفعونه على الخشبة : اللهم أحصهم عددا واقتلهم بددا ، ولا تبق منهم أحدا ، وقتل خبيب بن عدي أبناء المشركين الذين قتلوا يوم بدر فلما وضعوا فيه السلاح وهو مصلوب نادوه وناشدوه : أتحب محمدا مكانك ؟ فقال : لا والله العظيم ما أحب أن يفديني بشوكة يشاكها في قدمه فضحكوا وقال خبيب حين رفعوه على الخشبة :

قد جمع الأحزاب حولي وألبوا

قبائلهم واستجمعوا كل مجمع

وقد جمعوا أبناءهم ونساءهم

وقربت من جذع طويل ممنع



إلى الله أشكو غربتي بعد كربتي

وما أرصد الأحزاب بي عند مصرعي

فذا العرش صبرني على ما يراد بي

فقد بضعوا لحمي وقد ياس مطمعي

وذلك في ذات الإله وإن يشأ

يبارك على أوصال شلو ممزع

لعمري ما أحفل إذا مت مسلما

على أي حال كان لله مضجعي

وأما زيد بن الدثنة فاشتراه صفوان بن أمية بن خلف فقتله بأبيه أمية بن خلف ، قتله نسطاس مولى بني جمح ، وقتلا بالتنعيم ، فدفن عمرو بن أمية خبيبا ، وقال حسان بن ثابت في شأن خبيب :

ليت خبيبا لم تخنه دمامة

وليت خبيبا كان بالقوم عالم

شراك زهير بن الأغر و جامع

و كانا قديما يركبان المحارما

أجرتم فلما أن أجرتم غدرتم

و كنتم بأكناف الرجيع اللهازما

و مما جاء في رواية الطبراني عن موقع الرجيع قوله : **فسلكوا على النجدية حتى إذا كانوا بالرجيع من نجد .**

و قد تابع ابن لهيعة في الرواية عن أبي الأسود موسى بن يعقوب الزمعي أخرجها الواقدي في مغازيه مختصره حيث قال (٣٠٠/١) : غزوة الرجيع في صفر على رأس ستة وثلاثين شهراً حدثني موسى بن يعقوب عن أبي الأسود عن عروة قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلّم أصحاب الرجيع عيوناً إلى مكة ليخبروه خبر قريش **فسلكوا على النجدية حتى كانوا بالرجيع فاعترضت لهم بنو لحيان .**

فخالفه و لم يذكر **(من نجد)** فدل على أنه من تفسير ابن لهيعة و هو قول ضعيف منكر ظاهر البطلان ، و عليه يظهر اتفاق التابعين المتقدمين (بريدة و عروة و عاصم) في عدم تعيين موقع الرجيع .

المبحث السادس : رواية الإمام الزهري عن سرية الرجيع .

أخرجها الحافظ أبو نعيم في معرفة الصحابة عند ذكر زيد بن الدثنة من طريق موسى بن عقبة فقال : حدثنا فاروق الخطابي ثنا زياد ثنا إبراهيم بن المنذر ثنا محمد بن فليح عن موسى بن عقبة عن ابن شهاب قال : ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن الدثنة أخا بني بياضة في أصحابه إلى مكة يتخبرون له خبر كفار قريش **حتى إذا كانوا بالرجيع بين رهاط ومكة** اعترضت لهم بنو لحيان من هذيل فأسر خبيب بن عدي وزيد بن الدثنة فأما ابن الدثنة فقتله نسطاس مولى صفوان بن أمية وزعموا أنهم رموا زيدا بالنبل وأرادوا فتنته فلم يزدد إلا إيمانا وتثبيتا .

و أقول و بالله التوفيق :

١- قوله : عن موسى بن عقبة عن ابن شهاب ، هذا وهم بلا شك ، و قد يكون من عبث النساخ ، لأن الحافظ البيهقي أخرجها في الدلائل موقوفة على موسى بن عقبة ، و هو الراجح إن شاء الله .

قال البيهقي في الدلائل (٣٢٦/٣) : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ قال حدثنا أبو جعفر البغدادي قال حدثنا محمد بن عمرو بن خالد قال حدثنا أبي قال حدثنا ابن لهيعة قال حدثنا أبو الأسود عن عروة بن الزبير .

(ح) و أخبرنا أبو الحسين بن القطان قال أخبرنا أبو بكر بن عتاب قال حدثنا القاسم بن عبد الله بن المغيرة قال حدثنا

ابن أبي أويس قال **حدثنا إسماعيل بن إبراهيم بن عقبة عن موسى بن عقبة قالا :**

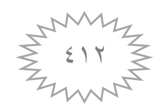
و قد وافقه ابن سيد الناس في عيون الأثر و هو ينقل عن مغازي موسى بن عقبة بنفس إسناد أبي نعيم فقال (٤٥٧/٢) : وما كان فيه من كتاب المغازي عن موسى بن عقبة فقد سمعت من شيخنا الإمام عز الدين أحمد بن إبراهيم بن الفرج الفاروثي أكثر هذا الكتاب وأجاز لي سائره بسماعه من أبي محمد إسماعيل بن علي بن بانكين الجوهري بسماعه من أبي بكر أحمد بن المقرب الكرخي قال: أنا أبو طاهر أحمد بن الحسن بن أحمد بن الباقلاني عن أبي طالب حمزة بن الحسين بن أحمد بن سعيد بن القاسم بن شعيب بن الكوفي عن أبي الحسن علي بن محمد الشونيزي، عن أحمد بن زنجوية المخرمي، **عن إبراهيم بن المنذر عن محمد بن فليح عنه .**

فإن اعترض معترض وقال : بل الأصل ما جاء في نسخة أبي نعيم و أن الوهم حصل في نسخة البيهقي و ابن سيد الناس .

قلنا : هذا غير مؤثر فالجواب سيكون على أصل الرواية وليس على قائلها و إنما أردنا عرض رأينا في المسألة و لا نحجر على من أخذ بخلافه .

٢- أن هذه الرواية هي عين رواية عروة لذلك قرن الحافظ البيهقي بين الإسنادين كما تقدم ، و رواية عروة هي عين رواية أبي هريرة مع بعض الزيادة و النقص .

٣- أن قوله : **حتى إذا كانوا بالرجيع بين رهاط ومكة** ، هذا من كلام موسى بن عقبة على الراجح كما تقدم أو من كلام الزهري عند من قال به .



لأن الرواية الأصلية عن عروة تقدم تخريجها عند الطبراني وليس فيها هذا الوصف ، و في رواية موسى بن عقبة أو الزهري لم يصرحا بإسنادها إليه .

و بناء عليه يكون قوله : **حتى إذا كانوا بالرجيع بين رهاط ومكة** ، هو القول الأول في المسألة .

و أما قول ابن إسحاق (على صدور الهدة) فهو تفسير له وأخذه عنهم و لا يصح وصفه بقول آخر في المسألة .

٤- أن حكم هذا الوصف بغض النظر عن قائله هو وصف شاذ لأنه خالف الرواية الأصلية و هي رواية أبي هريرة حيث صرحت بأنهم بين عسفان و مكة و ليس بين رهاط و مكة وهو وهم وقع فيه موسى بن عقبة ثم تابعه عليه ابن إسحاق و أما الإمام الحافظ المتقن الزهري فيبعد أن يقع منه كما تقدم لأنه هو من روى حديث أبي هريرة بذلك الضبط والاتقان ، فلا يتصور أنه يخالفه ، و لو وقع منه تنزلا فالقاعدة عند أهل التحقيق : **أن الراوي اذا خالف ما رواه فالعبرة بما رواه لا بما رآه .**

و يعتذر لموسى بن عقبة أنه التبس عليه موقع وادي الرجيع بماء الرجيع فالأول قد ينطبق عليه ما ذكره ، و الله أعلم .

القول الثاني :

و هناك قول آخر في المسألة ، و موافق لرواية أبي هريرة وأعطى دلالة قطعية عن موقعها ، بحيث يبعد الوهم من قائله . وهو قول الواقدي و بيانه كالتالي :

المبحث السابع : تجقيق موقع سرية الرجيع .

قررنا سابقا أن الأصل في موقع ماء الرجيع هو رواية أبي هريرة و إن كانت لم تصرح به و إنما ذكرت الهدة ، وقد اعتنى علماء السير في زمن متقدم بتحديده و التعريف به فمنهم من أخطأ و منهم من أصاب ، و ميزان الصواب و الخطأ هو موافقة ما ورد في الصحيح .

و قد أخرج البيهقي عن الواقدي وصف موقع ماء الرجيع بالأميال و هي زيادة ليست موجودة في كتاب مغازي الواقدي المطبوع اليوم حيث قال في دلائل النبوة (٣٢٣/٣) :

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ قال : أخبرنا أبو عبد الله الأصبهاني قال : حدثنا الحسن بن الجهم قال : حدثنا الحسين بن الفرج قال : حدثنا الواقدي قال : و غزوة الرجيع كانت في صفر على رأس ستة وثلاثين شهرا **و الرجيع على سبعة أميال من عسفان .**

و هذه الزيادة صحيحة إن شاء الله تعالى لاختلاف الرواة عنه وهي في كتاب الإكليل المفقود اليوم للإمام الحاكم شيخ البيهقي كما حكاه ابن الملقن حيث قال (٢٦٦/١٨) : وكذا في الإكليل ، قال الواقدي : **و الرجيع على سبعة أميال من عسفان .**

و قد نسبها إلي الواقدي جماعة من العلماء غير الحاكم منهم :

١- الحافظ الذهبي في تاريخه و في السير حيث قال : غزوة الرجيع وهي في صفر من السنة الرابعة فيما ورخه الواقدي وقال : **هي على سبعة أميال من عسفان .**

٢- الحافظ ابن كثير في البداية و النهاية حيث قال (٥٨/٤) : غزوة الرجيع قال الواقدى : وكانت فى صفر ، يعنى سنة أربع بعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهل مكة ليجيزوه قال : **و الرجيع على ثمانية أميال من عسفان .**

قلت : و لعله سبق قلم ، صوابه سبعة أميال ، أو اختلاف في نسخته .

و ذكره قبلهم أجمعين الإمام الماوردي في الحاوي إلا أنه لم ينسبه حيث قال (٣٧/١٧) : **والرجيع ماء بالهداة على سبعة أميال من عسفان .**

و الماوردي (ت٤٥٠) معاصر للحافظ البيهقي (ت٤٥٨) .

و قد وهم الحافظ ابن حجر في الفتح حيث قال : وعند ابن إسحاق الهدة بتشديد الدال بغير ألف قال : **وهي على سبعة أميال من عسفان .**

و تابعه السمهودي في وفاء الوفا (١١٤٢) و الزرقاني في شرحه للمواهب اللدنية **و الراجح** أنه سبق قلم وقع منه لكثرة حفظه رحمه الله و إنما هو من كلام الواقدي .

و هذا الوصف ينطبق على ماء (الوطية) انطباقا تاما والأهم من ذلك أنه يوافق ما في الصحيح من رواية أبي هريرة حينما وصفه بين عسفان و مكة ، فلا عبرة لقول قائل بعد ذلك كائنا من كان .

و أما ما ذكره ابن سعد تلميذ الواقدي في طبقاته عن موقع ماء الرجيع حينما قال : **و الهدة على سبعة أميال منها والهدة على سبعة أميال من عسفان .**

فيجاب عنه من وجهين :



١- إعمال ظاهره ، فيصح قوله إذا حُمل مراده بالهدة على الشامية لأن المسافة بين الشامية و الوطية قريبة من سبعة أميال .

٢- إرجاعه لأصله وهو كلام الواقدي شيخ ابن سعد وهو الذي أميل إليه فيظهر عندئذ حصول القلب في كلامه وصوابه : و الهدة على سبعة أميال من عسفان و الرجيع على سبعة أميال منه ، أو صوابه : و عسفان على سبعة أميال منها و الهدة على سبعة أميال من عسفان ، و بهذا يطابق قول شيخه لأنه الأصل .

و تحديد المسافة بالأميال يدل على معرفة الواصف بها وعنايته بضبط المسافة إليها ، أو على الأقل نقله عمن اتصف بذلك .

و قد نبه على ذلك الحافظ ابن حجر في فتح البارئ أثناء مقارنته لأقوال العلماء في تحديد موقع ضجنان الملاصق للهدة فقال (٧٦/٣) :

(قوله بضجنان) هو بفتح الضاد المعجمة وبالجيم بعدها نون على وزن فعلان غير مصروف قال صاحب الصحاح وغيره هو جبل بناحية مكة وقال أبو موسى في ذيل الغريبين هو موضع أو جبل بين مكة والمدينة وقال صاحب المشارق ومن تبعه هو جبل على بريد من مكة وقال صاحب الفائق بينه وبين مكة خمسة و عشرون ميلا وبينه وبين وادي مريسعة أميال انتهى وهذا القدر أكثر من بريدين **وضبطه بالأميال يدل على مزيد اعتناء و صاحب الفائق ممن شاهد تلك الأماكن واعتنى بها خلاف من تقدم ذكره ممن لم يرها أصلا** ويؤيده ما حكاه أبو عبيد البكري قال وبين قديد وضجنان يوم قال معبد الحزاعي :

قد جعلت ماء قديد موعدي

و ماء ضجنان لها ضحى الغد

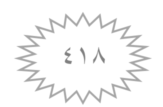
و لذلك حينما سئل الإمام عطاء بن أبي رباح عن حاضري المسجد الحرام أجابهم بأنهم أهل مر الظهران و ضجنان والرجيع ، أسنده إليه الأزرقي فقال (١٥٧/٢) :

حدثنا أبو الوليد قال حدثني جدي قال حدثنا مسلم بن خالد عن ابن جريـج قال : قلت لعطاء من له المتعة ؟ قال : قال الله عز وجل (ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام) [البقرة : ١٩٦] فأما القرى الحاضرة للمسجد الحرام التي لا يتمتع أهلها فالمطنبة بمكة المظلة عليه نخلتان و مر الظهران و عرنة و ضجنان و الرجيع وأما القرى التي ليست بحاضرة المسجد الحرام التي يتمتع أهلها إن شاءوا فالسفر والسفر ما يقصر إليه الصلاة ، قال عطاء : وكان ابن عباس يقول : تقصر الصلاة إلى الطائف ، وعسفان ، وجدة ، والرهاط و ما كان من أشباه ذلك .

و هذه المواقع متقاربة لذلك قرن بينها ، و كون أهلها من حاضري المسجد الحرام لأنهم دون مسافة القصر إلى مكة فدل على صحة تحديد من وصفه بالأميال .

و قد قال قريبا من قول الزمخشري في تحديد المسافة بين ضجنان و مكة المحدث ابن وهب في جامعه حيث قال (٤٨٤) :

حدثنا بحر قال قرئ على ابن وهب : أخبرك عمر بن محمد و عبد الله بن عمر ، عن نافع أن عبد الله بن عمر نادى بالعشاء و هو بضجنان (وهو من مكة على بريدين) في ليلة باردة ، ثم ينادي أن صلوا في رحالكم .



ثم أخبرهم ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأمر مناديه فينادي بالصلاة ، ثم ينادي في إثرها أن صلوا في رحالكم ، في الليلة الباردة والليلة المطيرة .

و البريدان أقل من خمسة و عشرين ميلا بقليل و هما دون مسافة القصر .

و أعلم أن هذا التحديد للمسافة بين ضجنان و مكة يقع على ما يلي مكة منها ، لأنه قد تقدم في الكلام على الرواية الأولى تحديد الواقدي للمسافة بين الهدة (الشامية) و مكة بتسعة وثلاثين ميلا .

و يؤكده قوله : وادي مريسعة أميال ، و صوابه إن شاء الله : وادي مر سبعة أميال .

و في هذا القدر كفاية في تحديد موقع ماء الرجيع و أنه ماء (الوطية) من نصوص المتقدمين و الله أعلم .

و أما القرائن المحتفة بالخبر و تعضد هذا الرأي فكثيرة منها :

١- انطباق معنى الاسم على المسمى و هو الذي جعل البلادي رحمه الله يكتفي به في تحديد موقعه و هو محق في ذلك و لكن في التحقيق لا يكفي لاحتمال وجود ماء آخر يشبهه كما اشتبه على غيره .

٢- أن ماء الوطية يقع على حدود ديار بني لحيان كما نص عليها السكري في شرحه لشعر هذيل حيث ذكر أنهم نزحوا إلى وادي غران و وادي فيدة بعد يوم الأخت ، و وادي فيدة يفصله عن ماء الوطية ثنية عسرة ، أخبرني أحد كبار السن من أهل غران أنهم كانوا يطرقونها للذهاب للشامية بدلا من المرور بعسفان .

٣- أن ماء الوطية يمكن أن يكمن به بنو لحيان في الشمال منه خلف الثنية المتقدم ذكرها دون أن يراهم الصحابة ، ويمكنهم المباغتة أو سماع الاستصراخ إن صح .

٤- أنه يقبع بين عسفان و مكة كما في رواية أبي هريرة .

٥- أنه على الطريق إلى مر الظهران لذلك ورد أنهم قتلوا عبدالله بن طارق به كما حكينا اتفاق الأئمة عليه آنفا .

٦- أنه ذكر في بعض طرق الحديث أن الصحابة لجأوا إلى فدفد و هو محيط بها في بعض جهاتها .

فهل هذه القرائن تنطبق على ماء الرجيع الذي ظهر على الخريطة ؟!.

لذلك رجحنا شذوذ قول موسى بن عقبة أنه بين رهاط و مكة و من ثم متابعة ابن إسحاق له ، بل إن وصف ابن إسحاق بأنه على صدور الهدة لا ينطبق على ماء الرجيع الذي ظهر على الخريطة لأن صدور الهدة تكون بأعلى مدركة أو أعلى حشاش أو بمحاذاة وادي حماة .

و لعله اشتبه عليه وادي الرجيع بماء الرجيع ، فالأخير يصح وصفه في تلك الناحية ، و أما تحديد موقعه فعسير ، و أنا أتوقف فيه حاليا .

و أما ماء الرجيع الذي ظهر على الخريطة فالجواب عليه كالتالي :



المبحث الثامن : الجواب عن ماء الرجيع الذي ظهر على خرائط جوجل (google) .

و أما سد البناية بأعلى الهدة و الذي ظهر على الخريطة باسم ماء الرجيع فلا أغلط القائلين به و لكن ظهر لي و العلم عند الله أنه : ماء الحديبية .

و هو ماء و عليه قرية مشهورة في القرن الثاني الهجري مما جعل عرام السلمي يذكرها في رسالته أسماء جبال تهامة في موضعين منها بل و يحدد المسافة بينها و بين المسجدين بحيث يبعد تطرق الوهم لوصفه ، و لو كانت ماء الرجيع لما خفي عليه ذلك .

قال عرام السلمي في رسالته : ويطيف بشمنصير من القرى قرية كبيرة يقال لها رهاط ، وهي بواد يسمّى غران وأنشد :

فإن غراناً بطنُ وادٍ أحبُّه

لساكنهِ عهدٌ عليّ وثيق

وبغربيه قرية يقال لها الحديبية ليست بالكبيرة ، وبحذائها جبيل يقال له ضعاضع و عنده حبس كبير يجتمع عنده الماء و الحبس : حجارة مجتمعة يوضع بعضها على بعض قال الشاعر :

وإنّ التفاتى نحو حبس ضعاضع

وإقبالَ عيني في الظُّبا لطويلُ

فهؤلاء القريات لسعد و بني مسروح ، وهم الذين نشأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم ، ولهذيل فيها شيء ، ولفهم أيضاً ومياههم بثور وهي أحساء وعيون ليست بآبار ، و من

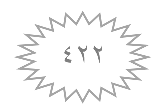
الحديبية إلى المدينة تسع مراحل وإلى مكة مرحلة وميل أو ميلان .

و قد وهم بعض المتأخرين فظن عراما يقصد بالحديبية هذه الحديبية التي وقع عندها الصلح المشهور بين النبي صلى الله عليه وسلم و كفار قريش غربي مكة و لعله ليس كذلك ، لأني وجدته وصفها في موضع آخر من رسالته فقال (٤١٥/٢) :

ثم **عسفان** ، وهو على ظهر الطريق لخزاعة خاصة ، بها منبر و نخيل ومزارع كثيرة ، ثم إن فصلت من عسفان لقيت البحر ، و تذهب عنك الجبال و القرى ، إلا أودية مسماة بينك و بين مر الظهران ، يقال لواد منها : **مسيحة** و واد يقال له : **مدركة** ، وهما واديان كبيران بهما مياه كثيرة ونخيل منها ماء يقال له **(الحديبية)** بأسفله ، يصبان من رؤوس الحرة مستطيلين إلى البحر .

فيصح وصف عرام إذا حملت قوله : بينك و بين مر الظهران أي بين ساية و مر الظهران لأن الكلام متصل به ، و عسفان ذُكر استطرادا ، و أما قوله بأسفله فالأظهر أن الضمير يعود لمدركه ، و سد البناية يقع بالقرب من التقاء مدركه باللصب فهو أسفله ، و مما يجدر ذكره أن أهل تلك الناحية يسمونه (سد البناية) و السد هو الحبس كما ذكر عرام ، و الله أعلم .

إلى هنا انتهى الكلام عن موقع ماء الرجيع و سريته ، و أنوه إلى أن كتاب موقع ماء الرجيع الذي صنفه أحد المعاصرين لم أتمكن من الاطلاع عليه وكذلك كتاب مغازي موسى بن عقبة و الذي يقال أنه عثر على مخطوطته و حقق في أيامنا هذه ولهذا جرى الاعتذار ، وصلى الله و سلم و بارك على نبينا محمد و على آله و صحبه أجمعين



المصادر و المراجع :

١- صحيح البخاري - مكتبة الصفا – ط١ – ١٤٢٣هـ

٢- المغازي – الواقدي – الكتب العلمية – ط١- ١٤٢٤هـ

٣- إمتاع الأسماع – المقريزي – الكتب العلمية – ط١ – ١٤٢٠هـ

٤- الطبقات الكبير – ابن سعد – مكتبة الخانجي – ط٢- ١٤٣٤هـ

٥- المحبر – ابن حبيب – دائرة المعارف العثمانية – ١٣٦١هـ

٦- سنن سعيد بن منصور – الدار السلفية – ط١- ١٤٠٣هـ

٧- دلائل النبوة – البيهقي – الكتب العلمية – ط١ – ١٤٠٨هـ

٨- حلية الأولياء – أبو نعيم – مكتبة الخانجي – ط١ – ١٤١٦هـ

٩- مستدرك الحاكم – دار التأصيل – ط١ – ١٤٣٥هـ

١٠- السيرة النبوية – ابن هشام – دار الغد الجديد – ١٤٣٤هـ

١١- تاريخ الطبري – دار المعارف – ط٢ - ١٣٨٧هـ

١٢- تاريخ خليفة بن خياط – دار طيبة – ط٢ – ١٤٠٥هـ

١٣- معجم الطبراني الكبير – مكتبة ابن تيمية – ط١- ١٤١٥هـ

١٤- معرفة الصحابة - أبو نعيم - دار الوطن – ١٤١٧هـ

١٥- عيون الأثر – ابن سيد الناس – دار ابن كثير

١٦- التوضيح – ابن الملقن – دار الفلاح – ط١ – ١٤٢٩هـ

١٧- سير أعلام النبلاء – الذهبي

١٨- تاريخ الإسلام – الذهبي

١٩- البداية و النهاية – ابن كثير – دار المنار – ط١ – ١٤٢٤هـ

٢٠- الحاوي – الماوردي - الكتب العلمية – ط١- ١٤١٤هـ

٢١- فتح الباري – ابن حجر – الرسالة – ط١ – ١٤٣٤هـ

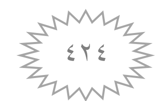
٢٢- وفاء الوفا – السمهودي – الفرقان – ط١ – ١٤٢٢هـ

٢٣- شرح المواهب – الزرقاني – الكتب العلمية – ط١ – ١٤١٧هـ

٢٤- البناية شرح الهداية – العيني – الكتب العلمية – ط١ – ١٤٢٠هـ

٢٥- أخبار مكة – الأزرقي - مكتبة الثقافة – ط١١- ١٤٣٢هـ

٢٦- معجم معالم الحجاز – البلادي – دار مكة



٢٧- شرح أشعار الهذليين – السكري – مطبعة المدني

٢٨- نوادر المخطوطات – هارون - مصطفى البابي – ط٢-١٣٩٣هـ .